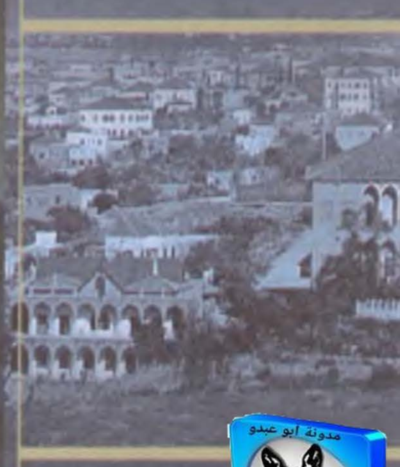






الشيخ عبد القادر قباني

— وجريدة —



الشيخ عبد القادر القباني

الشيخ عبد القادر القباني

الشيخ عبد القادر القباني

و

جريدة ثمرات الفنون



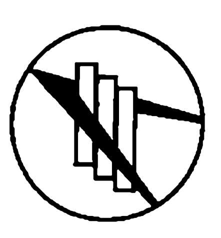
دراسة أعدتها السيدة
ايمان محي الدين المناصفي
باشراف الدكتور هشام نشابة

بيروت في ١٣ ذي الحجة ١٤٠٨ هـ
٢٧ تموز ١٩٨٨ م

دار العلم للملايين

مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

شارع مار الياس، بناية متكو، الطابق الثاني
هاتف: ٣٠٦٦٦٦ - ٧٠١٦٥٥ - ٧٠١٦٥٦ - ١١٧٠١٠
فاكس: ٧٠١٦٥٧ (٠١)
ص.ب ١٠٨٥ بيروت - لبنان
www.malayin.com



الطبعة الأولى

2008

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تتناول هذه الدراسة حياة الشيخ عبد القادر القباني (١٨٤٨ - ١٩٣٥) وجريدة **ثمرات الفنون** التي ارتبطت به ارتباطاً كبيراً لكونها المرجع الأساسي والأوحد لفكره، والسمة البارزة لحياته العملية.

فالقباني رجل سياسي عاش في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وشهد الحقبة الأخيرة من تاريخ الدولة العثمانية. كما عاصر كبار رجال الإصلاح، أمثال جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وغيرهما، وكان له دوره المهم في النهضة الإسلامية في لبنان وبلاد الشام. فلقد نشطت في تلك الفترة الحركة العلمية، حيث انتشرت المدارس والإرساليات وتأسست المطابع والصحف. فيما كان المسلمون يعيشون في غفلة عن ذلك كله، حتى دخلت سنة ١٨٧٥ م وكانت عنواناً لمرحلة جديدة بدأت تظهر فيها نشاطات المسلمين المتنوعة، وفيها بدأ نشاط القباني على الصعيد الصحافي والتربوي.

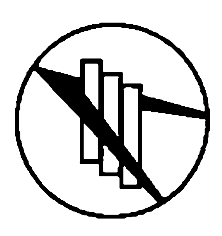
فلقد كان القباني عضواً في الجسم البيروتي الذي تحرّك فيه الإحساس بالمسؤولية تجاه الإسلام والمسلمين في مسقط رأسه، فقام بمحاولات عديدة سعياً لبعث النهضة في نفوسهم، فانخرط في جمعية الفنون الإسلامية التي أسسها سعد الدين حمادة، وقامت بإصدار جريدة **ثمرات الفنون** أوكلت إدارتها للقباني. وبعد أن تنازل المساهمون للقباني عن أسهمهم، تفرّد بالجريدة وبدأ يدعو من خلالها للإصلاح الاجتماعي والسياسي بغية تغير الأوضاع السيئة التي يشكو منها المواطن من جهل وفساد، ومن ظلم وتحكم المأمورين المستغلين، ومن أخطار الاستعمار الغربي الذي يهدد كيان الدولة العثمانية. فكانت دعوته قائمة على مجابهة الاستعمار من طريق الوحدة الإسلامية في ظل الدولة العثمانية، كما دعا لتحسين الوضع الاقتصادي حتى تصير البلاد في مصاف البلدان المتقدمة حضارياً وثقافياً وعمرانياً، وحمل لواء الدعوة لافتتاح المدارس الإسلامية حتى تم تأسيس جمعية المقاصد الإسلامية بهمته، فكان أول رؤسائها.

وانطلاقاً من الدور العلمي لمعهد الدراسات الإسلامية، كان من المهم البحث عن إسهام المسلمين ودورهم في الحركة الفكرية الإسلامية في لبنان، والقباني باعتباره أحد المساهمين في هذه الحركة وأبرزهم، صاحب أول جريدة إسلامية في لبنان، والمؤسس الأول لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية كان

دار العلم للملايين

مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

شارع مار الياس، بناية بتكو، الطابق الثاني
هاتف: ٣٠٦٦٦٦ - ٧٠١٦٥٥ - ٧٠١٦٥٦ (٠١)
فاكس: ٧٠١٦٥٧ (٠١)
ص.ب ١٠٨٥ بيروت - لبنان
www.malayin.com



الطبعة الأولى

2008

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

تتناول هذه الدراسة حياة الشيخ عبد القادر القباني (١٨٤٨ - ١٩٣٥) وجريدة **ثمرات الفنون** التي ارتبطت به ارتباطاً كبيراً لكونها المرجع الأساسي والأوحد لفكره، والسمة البارزة لحياته العملية.

فالقباني رجل سياسي عاش في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وشهد الحقبة الأخيرة من تاريخ الدولة العثمانية. كما عاصر كبار رجال الإصلاح، أمثال جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وغيرهما، وكان له دوره المهم في النهضة الإسلامية في لبنان وبلاد الشام. فلقد نشطت في تلك الفترة الحركة العلمية، حيث انتشرت المدارس والإرساليات وتأسست المطابع والصحف. فيما كان المسلمون يعيشون في غفلة عن ذلك كله، حتى دخلت سنة ١٨٧٥ م وكانت عنواناً لمرحلة جديدة بدأت تظهر فيها نشاطات المسلمين المتنوعة، وفيها بدأ نشاط القباني على الصعيد الصحافي والتربوي.

فلقد كان القباني عضواً في الجسم البيروتي الذي تحرّك فيه الإحساس بالمسؤولية تجاه الإسلام والمسلمين في مسقط رأسه، فقام بمحاولات عديدة سعياً لبعث النهضة في نفوسهم، فانخرط في جمعية الفنون الإسلامية التي أسسها سعد الدين حمادة، وقامت بإصدار جريدة **ثمرات الفنون** أوكلت إدارتها للقباني. وبعد أن تنازل المساهمون للقباني عن أسهمهم، تفرّد بالجريدة وبدأ يدعو من خلالها للإصلاح الاجتماعي والسياسي بغية تغيير الأوضاع السيئة التي يشكو منها المواطن من جهل وفساد، ومن ظلم وتحكم المأمورين المستغلين، ومن أخطار الاستعمار الغربي الذي يهدد كيان الدولة العثمانية. فكانت دعوته قائمة على مجابهة الاستعمار من طريق الوحدة الإسلامية في ظل الدولة العثمانية، كما دعا لتحسين الوضع الاقتصادي حتى تصير البلاد في مصاف البلدان المتقدمة حضارياً وثقافياً وعمرانياً، وحمل لواء الدعوة لافتتاح المدارس الإسلامية حتى تم تأسيس جمعية المقاصد الإسلامية بهمته، فكان أول رؤسائها.

وانطلاقاً من الدور العلمي لمعهد الدراسات الإسلامية، كان من المهم البحث عن إسهام المسلمين ودورهم في الحركة الفكرية الإسلامية في لبنان، والقباني باعتباره أحد المساهمين في هذه الحركة وأبرزهم، صاحب أول جريدة إسلامية في لبنان، والمؤسس الأول لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية كان

من أبرز الشخصيات التي تستحق الدراسة، ومن المؤسف أن تكون مثل هذه الشخصية الهامة في تاريخ المسلمين الثقافي بلبنان بعيدة عن مجال الاهتمام. ومن ناحية أخرى، فإن **ثمرات الفنون** كان لها الدور البارز والمهم في الثقافة الإسلامية بلبنان، وكانت أبرز الأعمال الفكرية الصحافية الإسلامية في منطقة بلاد الشام في حقبة من الزمن.

ولقد قسمت العمل إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: يتناول الحياة العامة في سورية ولبنان منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى بدايات القرن العشرين، تحدثت فيه بإيجاز عن الوضع السياسي العام والوضع الثقافي التربوي والصحفي، وذلك لأن القباني رجل تربية وصحافة.

الفصل الثاني: ويتناول حياة الشيخ القباني: نشأته وحياته العملية والمشاريع المتعددة التي قام بها في حياته، والوظائف التي تسلمها، وحياته الخاصة، وصداقاته، وصفاته، وتكريمه.

الفصل الثالث: ويتناول كتابات القباني التي منها كتاب **الهجاء**، وبعض المقالات في مجلة **الكشاف**، ورسالة للسيدة عنبرة سلام. فتناولت بالوصف هذه الكتابات مع بعض التحليل لملامح فكر القباني، أما مقالات القباني في **ثمرات الفنون**، فلقد جعلت لها فصلاً مستقلاً ضمن القسم المخصص للجريدة، لأننا لا نستطيع أن ندرك أبعادها كاملة قبل أن نتعرف بالجريدة نفسها.

الفصل الرابع: ويتناول الشيخ القباني **وثمرات الفنون**:

بدأت فيه أولاً بمقدمة تمهيدية عن الصحافة اللبنانية في ظل القوانين بين ١٨٧٥ - ١٩٠٨ م.

وتناولت ثانياً المرحلة التأسيسية للجريدة من خلال الأمور التالية: الإدارة، والمطبعة، والوكلاء، ومواعيد الصدور، وشكل الجريدة.

تحدثت ثالثاً عن سياسة الجريدة، وعلاقتها بالدولة، حيث عرضت مواقف الجريدة وطبيعة علاقتها مع الدولة، وبالتالي موقف الدولة منها.

وتناولت رابعاً وصف مواضيع الجريدة المتنوعة، ومنها المواضيع السياسية والمواضيع الاجتماعية، والمواضيع الفنية، والمواضيع الحضارية، والمواضيع العلمية، والمواضيع الاقتصادية، والمواضيع الدينية، والإعلانات. حيث استعرضت الملامح العامة والأكثر بروزا في كل موضوع منها.

وتناولت خامساً مقالات القباني في **ثمرات الفنون**، حيث تعرضت لأبرز المواضيع التي طرحها في مجال الإصلاح السياسي والاقتصادي والتربوي.

وتناولت سادساً أبرز الأدباء والعلماء الذين كتبوا في **ثمرات الفنون**.

أما الصعوبات التي صادفتني في دراستي هذه، فكانت في البداية ندرة المصادر التي تتكلم عن حياة القباني، لذلك فلقد اعتمدت على المصادر الشفهية، حيث قابلت عدداً من أفراد أسرة القباني في بيروت،

ما ساعدني على إبراز بعض المراحل التي مرّ بها في حياته، وكذلك اعتمدت بشكل كبير على جريدة **ثمرات الفنون**، وكتاب **تاريخ الصحافة العربية** لفيليب دي طرازى الذي خصص ترجمة للشيخ القباني، وهناك أيضاً محاضر جلسات جمعية المقاصد للسنة الأولى التي استطعت من خلالها الاطلاع على المشاريع الكبرى التي شارك فيها القباني في الجمعية والأعمال التربوية التي أسهم فيها.

وأثناء عملي، عثرت على كتاب **الهجاء** للشيخ القباني لدى حفيدته السيدة أسمى قباني طيا، حيث كانت هذه النسخة هي الوحيدة المتبقية - فيما أعلم - .

كما أن هناك صورة للرسالة التي بعث بها القباني إلى السيدة عنبرة سلام، وهي موجودة لدى الدكتور هشام نشابة. بالإضافة إلى بعض الأوراق والوثائق الخاصة بالقباني.

أما ثمرات الفنون، فبالكاد يمكن أن نعثر على كل شيء مكتوب عنها فكانت المصادر بشأنها قليلة. وقد اعتمدت على النسخة المصورة على الميكروفيلم الموجودة في الجامعة الأميركية في بيروت، وهي مؤلفة من ستة أشرطة وتحتوي على ١٦٨٦ عدداً من الجريدة ما بين (١٢٩٢ - ١٣٢٦ هـ) (١٨٧٥ - ١٩٠٨ م).

وأنني لا أدّعي قراءة كاملة لهذه الأعداد، وإنما ما يمتّ إلى عملي بصلة، فإن دراستها تستدعي سنوات طويلة، حيث إن كل موضوع من مواضيع الجريدة السياسية أو الاجتماعية أو الدينية... يستحق رسالة علمية مستقلة، وإنما وقفت على أهم المقالات التي تبرز الصفة الغالبة لكل موضوع من المواضيع التي تحدثت عنها في الرسالة.

كما اعتمدت على كتاب هدى صياح **فهرسة صحيفة ثمرات الفنون** الذي ساعدني كثيراً وسهّل لي عملي في الحصول على المواضيع المطلوبة.

وفي النهاية، أتقدم بالشكر إلى الأستاذ هشام نشابة الذي كان له الفضل في إبراز هذا البحث وفي مساعدتي الفكرية والمنهجية، ولإشرافه على رسالتي وإرشاداته العلمية المفيدة.

كما أشكر للأستاذ رضوان السيد مدير المعهد قراءته للعمل، ، وأتقدم بالشكر للأستاذ علي ذو الفقار شاكر أستاذ اللغة العربية في المعهد، وإلى جميع أفراد الهيئة التعليمية والإدارية.

كما أتقدم بالشكر إلى أسرة القباني وأحفاده وحفيداته، خصيصاً السيد رياض القباني، والسيد عبد القادر القباني، والسيدة أسمى قباني، والشكر أولاً وأخيراً لله سبحانه وتعالى الذي وفقني لإنجاز هذا العمل والذي أرجو أن يكون عملاً نافعاً ومقبولاً.

والله ولي التوفيق

* * *

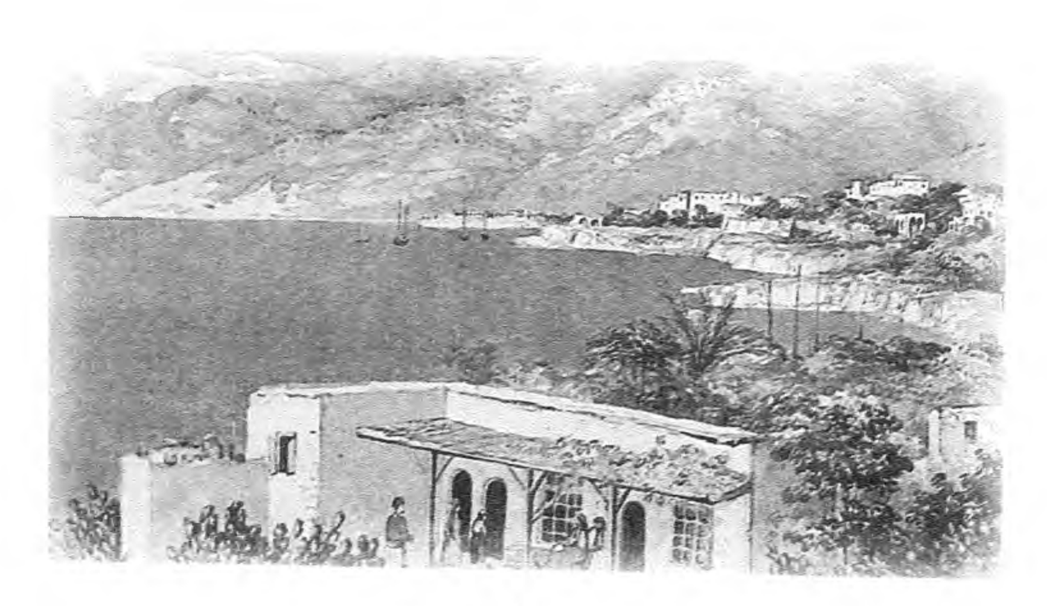
الفصل الأول

لمحة عن الحياة العامة

في سورية ولبنان

منذ منتصف القرن التاسع عشر

حتى أواخر عهد الانتداب الفرنسي



الفصل الأول

لمحة عن الحياة العامة في سورية ولبنان[1]

يتناول هذا الفصل الحياة العامة في سورية ولبنان منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى أواخر عهد الانتداب الفرنسي، وهي الفترة التي عاش فيها الشيخ القباني (١٨٤٨ - ١٩٣٥) وذلك بالإطلال على الوضع السياسي والثقافي العام، ولما تركاه من أثر في حياة الشيخ، إذ إن القباني مرّ بمراحل وتطورات تاريخية بارزة فشهد نهاية الدولة العثمانية كما شهد بداية الانتداب الفرنسي.

أولًا الوضع السياسي العام

ظلت معظم البلاد العربية خاضعة للدولة العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وفق نظام إداري تحدده الدولة التي كانت تقسم إلى ولايات، والولايات إلى ألوية (سناجق)، والألوية إلى أقضية، والأقضية إلى نواح[2].

ومنذ القرن الثامن عشر قسمت بلاد الشام إلى ثلاث ولايات هي: ولاية حلب، وولاية الشام، وولاية طرابلس.

أما ولاية حلب، فكان مركزها حلب ولقد ضمت ألوية عدة منها أضنه، وباليس وحلب. بينما ضمت ولاية الشام ومركزها دمشق الألوية التالية: دمشق، والقدس، وغزة، ونابلس، وعجلون، وصفد، وصيدا، وبيروت، والكرك، والشويك.

وضمت ولاية طرابلس ومركزها طرابلس لواء طرابلس، وحمص، وحماه، والسلمية جبلة[3].

وبعد عام ١٨٦٤ م جرت تقسيمات جديدة، فقسمت ولاية سورية أو (الشام) إلى عدة ألوية منها: لواء القدس، ولواء طرابلس، ولواء بيروت ولواء عكا، ولواء، اللاذقية[4].

---

(١) لا تتحدث المراجع في فترة موضوع هذا الفصل عن لبنان مستقلا عن سورية، بل إن التعبير الجغرافي المقصود من سورية كان يشمل سورية ولبنان والأردن وفلسطين. وكلها تعرف ببلاد الشام.

(٢) ساطع الحصري، **البلاد العربية والدولة العثمانية**، معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٥٧ م، ص ١٣٨.

(٣) عبد العزيز محمد عوض، **الإدارة العثمانية في ولاية سورية**، دار المعارف مصر، لات ص ٦٩.

(٤) عبد العزيز محمد عوض، المصدر السابق، ص ٧٠.

أما بيروت، فقد فصلت عن ولاية سورية سنة ١٨٨٧ م، وأصبحت ولاية مستقلة، وذلك نتيجة لازدياد أهميتها. وضمت لواء بيروت ولواء عكا ولواء البلقاء ولواء طرابلس ولواء اللاذقية، وعيّن علي باشا والياً عليها[١].

وفي سنة ١٨٦٠ م وضع نظام جديد لجبل لبنان فجعل متصرفية يتولى إدارتها حاكم مسيحي ينصبه الباب العالي، ويكون مرجعه إليه رأساً. وهو يولي مأموري الأقضية والمديريات. ثم قسم جبل لبنان إلى سبعة أقضية. وقسمت الأقضية إلى مديريات ونواح. أما الأقضية، فهي الشوف والمتن وكسروان والكورة وجزين وزحلة.[٢]

ولقد شهد لبنان منذ منتصف القرن التاسع عشر نهضة علمية واسعة، كانت من أسبابها الحملة المصرية بقيادة إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا على سورية ولبنان (١٨٣٣ - ١٨٣٩)، إذ قامت سياسته على التقرب من الرعايا وخاصة النصارى. وفي الوقت نفسه وفد الأربيون بكثرة إلى البلاد ناقلين معهم عوامل النهضة الأوربية العلمية والفكرية، وكانت أهم وسائلهم البعثات التبشيرية والإرساليات[٣].

وحين قوي نفوذ محمد علي، تدخلت الدول الأجنبية ولا سيما إنكلترا للحد من سيطرته[٤]، فاتصلت بالباب العالي عام ١٨٣٨ م ووقّعت معه معاهدة ضمنت إلغاء جميع الامتيازات في الممالك العثمانية حتى في مصر وسورية بهدف إضعاف محمد علي باشا.[٥]

وبمجرد إخلاء الجيوش المصرية لبلاد الشام وجبل لبنان، تحركت العداوة الدينية بين المسيحين والدروز في الجبل فحدثت الفتنة سنة ١٨٤١ م وقامت الدسائس الأجنبية لتشعل نار الفتنة الداخلية، فكانت فرنسا تساعد الموارنة الكاثوليك، وانكلترا تساند الدروز. وبهذه الدسائس ساد الهياج في جميع أنحاء الجبل، فما كان من الباب العالي إلا أن أبطل جميع الامتيازات الممنوحة لسكان الجبل[٦].

---

(١) المصدر نفسه، ٧١ - ٧٢.
(٢) اسماعيل حقي، لبنان (مباحث علمية واجتماعية) المطبعة الأدبية، بيروت، سنة ١٣٣٤ هـ، ص ٤٤.
(٣) فيليب حتي، تاريخ العرب، ترجمة ادوارد جرجي وجبرائيل جبور، دار غندور الطبعة الخامسة ١٩٧٤، ص ١٤٥.
(٤) بدأت الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية حين منح السلطان سليمان القانوني في القرن السادس عشر ممثلي حكومة البندقية حق النظر في دعاوى البندقيين المقيمين في بلاده وحق إرسال ترجمان إلى المحاكم العثمانية. ثم عقد السلطان سنة ١٥٣٥ م معاهدة خولت الأجانب حق الترافع في القنصلية المنتمين إليها. وعلى مرّ الزمن شملت الامتيازات معظم الدول الأوروبية، وجعلت للأجنبي حصانة في كل ملاحقة إدارية أو قضائية ميزته عن أبناء البلاد في عقر دارهم.
(٥) اسماعيل حقي، لبنان، ص ٢٩٦.
(٦) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، دار الجيل، بيروت ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م. ص ٢٥١.
ولقد كانت إمارة الجبل تقوم على تنظيم إقطاعي، فكان الشيخ يدير شؤون مقاطعته ويلتزم دفع الضرائب لأمير الجبل الذي له الرياسة العليا على العامة والمشايخ والأمراء ويلتزم أمام باشا صيدا بدفع الضرائب المستحقة للدولة على المقاطعات التي يحكمها بنفسه أو بوساطة أتباعه من المقدمين والمشايخ الإقطاعيين.

وفي سنة ١٨٤٢ م تمّ الاتفاق مع سفراء الدول الأوروبية[1] الذين تدخلوا في سياسة الدولة العثمانية، على أن يكون للوالي العثماني قائم مقام؛ أحدهما ماروني والآخر درزي. يتولى كل منهما النظر في شؤون أبناء طائفته. لكن هذا النظام لم ينجح فعادت الفتنة من جديد عام ١٨٤٥ م ثم اشتعلت بشدة عام ١٨٦٠ م وامتدت إلى جميع أنحاء الشام، فحصلت مذابح عدة في طرابلس وصيدا، واللاذقية ودمشق، ما دعا الدولة العثمانية للتدخل وإخماد الثورة[2].

لكن الدول الأوروبية اتفقت على أن ترسل فرنسا إلى الشام ستة آلاف مقاتل لمساعدة الجيش العثماني، فنزلت الجيوش الفرنسية بيروت سنة ١٨٦٠ واستمر بقاؤها لمدة سنة [3]

وإثر تلك الحوادث المشؤومة، انعقد مؤتمر في بيروت حضره المفوض السلطاني فؤاد باشا مع خمسة من وكلاء الدول ومفوضيهم، وهم انكلترا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا. ورفعت التقارير إلى الآستانة فكانت أساساً لنظام لبنان الجديد، الذي أقره السلطان عبد المجيد في ٩ جزيران ١٨٦١ م / ١٢٧٧ هـ. ونص على أن تكون إدارة الجبل بوساطة متصرف مسيحي تعينه الدولة العلية، ويكون معه مجلس إدارة من اثني عشر عضواً من مختلف طوائف الجبل. ويقسم الجبل إلى سبعة أقضية وإلى نواح ومحاكم، كما أعلن النظام المساواة بين الجميع، وألغى امتيازات رجال الإقطاع[4].

وفي سنة ١٨٧٦ م اعتلى السلطان عبد الحميد الثاني العرش، وكانت البلاد العثمانية تمر في مرحلة صعبة، إذ إن الامتيازات الأجنبية قد ازدادت، وسمحت للدول بالتدخل أكثر فأكثر في شؤون السلطنة الداخلية، خاصة منذ مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ م وذلك بسبب ما قدمته انكلترا وفرنسا وسردينيا من مساعدات لتركيا في حرب القرم[5]. وحين تولى السلطان عبد الحميد عرش الخلافة، كان قد وعد رئيس الأحرار مدحت باشا[6] بمنح القانون الأساسي (الدستور) وامتاع الأمة العثمانية بالحرية. وفي اليوم السابع

---

(١) إنكلترا وفرنسا وروسيا والنمسا.
(٢) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ٢٥٣.
(٣) **تاريخ الدولة العثمانية**، ص ٢٨٦.
(٤) اسماعيل حقي، **لبنان**، ٣٠١.
(٥) محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ العثماني**، طبع شركة فرج الله، بيروت ١٩٥٤ م، ص ١٧١،
(٦) مدحت باشا (١٨٢٢ - ١٨٨٣ م) أبو الأحرار. ولد في استنبول. تعلم العربية والفارسية وتقلب في وظائف عدة. فكان والياً على الدانوب وعين رئيساً لمجلس شورى الدولة في الآستانة. ووالياً على بغداد (١٢٨٦ - ١٢٨٨). ثم تولى منصب الصدارة العظمى في الآستانة وأصدر الدستور العثماني (١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦ م)، لم يتفق مع السلطان عبد الحميد في سياسة الدولة فجرد من الوزارة وسافر إلى أوروبا ثم صدر أمر بتعيينه واليا على الشام فأنشأ فيها جمعيات علمية وأدبية ونقل منها إلى ازمير حيث اعتقل وحوكم بتهمة المشاركة في قتل السلطان عبد العزيز (١٢٩٣ هـ ١٨٧٦ م)، فنفي إلى قلعة الطائف بالحجاز ثم وُجد فيها مقتولاً. له مذكرات نشرها «علي حيدر» (خير الدين الزركلي، **الأعلام**، الجزء السابع ص ١٩٥).

من شهر ذي الحجة ١٢٩٢ هـ الموافق سنة ١٨٧٧ م. اجتمع الوكلاء والعلماء والأمراء في الباب العالي، ثم أقبل مدحت باشا وقرأ الإرادة الشاهانية التي منحت الأمة العثمانية الدستور والحرية[١].

لكن السلطان كبر عليه تدخل مدحت باشا وحزبه وإصرارهم عليه في تنفيذ وعوده، فعزل مدحت باشا من منصب الصدارة العظمى (تضاهي رئاسة الوزارة اليوم) وشتت أعوانه. بينما كانت الدول الأوروبية تلح عليه بتنفيذ الإصلاحات في البلاد[٢].

ثم عمدت الدول الاوربية إلى تفكيك الدولة العثمانية من طريق بث الدسائس بين عناصرها، وذلك بغية الوصول إلى نصيبها من تركة «الرجل المريض» فجنح السلطان عبد الحميد إلى سياسة «الجامعة الإسلامية» لدفع المؤامرات الأوربية، وكان العرب وقتئذ بعيدين عن النزعات الاستقلالية التي سرت بين العناصر العثمانية. فرأى أن يستعين أولاً بالمسلمين للدعوة إلى الجامعة الإسلامية، وأن يتقرب من العرب، فعهد إليهم بالوظائف والمناصب الرئيسة في الدولة من دون تفريق بين الملل، ورفع بعضهم درجات عليا في العسكرية واتخذ منهم خاصة له. وفتح أبواب معاهد الآستانة أمام جميع الطلبة. وجعل هذه المعاهد تغرس في نفوس الطلبة أنهم عثمانيون. . كما أمر بمدّ خط حديدي بين الشام والحجاز لتسهيل أمر الحج إلى بيت الله الحرام.[٣]

وفي الوقت نفسه كانت الإساليات والمدارس الأجنبية تعمل على إثارة روح العداء نحو الدولة، فخاف السلطان من مغبة هذا الأمر وحذّر المسلمين من هذا الخطر. ولما كانت بلاد الشام تجمع بين النصراني والمسلم، كانت التفرقة بين الطوائف والملل أسرع إليها من سائر الأقطار. فدخلت التفرقة في ميدان التربية

---

(١) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٤٠٩.

(٢) بدأت حركات الإصلاح والتجديد في الدولة العثمانية في أواسط القرن الثامن عشر، لكنها واجهت سلسلة من العراقيل. ولذلك لم تدخل في طور التأثير المثمر إلا في أواسط القرن التاسع عشر ولقد سارت الإصلاحات بوجه عام على أساس اقتباس النظم الغربية، لأن انحطاط الدولة العثمانية بدأ في الوقت الذي كانت فيه الدول الغربية تدخل في النهضة الشاملة. وتمت الإصلاحات على مرحلتين: الأولى عرفت بالتنظيمات وبدأت منذ عهد السلطان عبد المجيد إلى عهد السلطان عبد العزيز. وعرفت الثانية بالمشروطية، وبدأت منذ عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) فصدر عن الأولى سنة ١٨٣٩ منشور الكلخانة، وسنة ١٨٥٦ التنظيمات الخيرية. ولقد صدر منشور الكلخانة في بداية عهد عبد المجيد في قصر كلخانة وهو يتضمن قوانين مالية وعسكرية، وكذلك منشور التنظيمات في عهد عبد المجيد أيضاً بعد حرب القرم. وقد أضاف فيه مبدأ معاملة جميع تبعة الدولة معاملة متساوية على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، وإبقاء الامتيازات لرؤساء الملل غير المسلمة. أما المشروطية فقد عرفت بهذا الاسم لأنها حاولت أن تقضي على نظام الحكم المطلق وأن تجعل حكم السلطان مشروطا بقيود «القانون الأساسي» (الدستور) الذي عُطل قبل أن يمضي على نشره سنتان.

(راجع ساطع الحصري، **البلاد العربية والدولة العثمانية**، ص ٦٠ - ٦٢ وص ٧٥ - ٧٦).

(٣) محمد جميل بيهم، **فلسفة التاريخ العثماني**، ص ١٧٨، أيضاً **ثمرات الفنون** العدد ١٢٩٧ سنة ١٩٠٠ م «العيد الحميدي السعيد» وفيه تعداد لمآثر السلطان عبد الحميد والإصلاحات التي قام بها على جميع الأصعدة التربوية والعمرانية والعسكرية.

والتعليم عبر الكتب التي كانت توزعها المدارس الأجنبية وفيها الطعن جهاراً بالإسلام، وإلقاء الرعب في أفئدة طلابها النصارى لتنفيرهم من الامبراطورية العثمانية.[1]

ومما ساعد على خلق روح العداء في لبنان نحو الأتراك انتشار التعليم الغربي، وتغلغل آراء الثورة الفرنسية، وتأسيس المطابع وإنشاء الصحف، وكذلك هجرة الكثيرين إلى الخارج. زيادة على أن المسيحين كانوا يعتبرون أنفسهم مواطنين غرباء في ظل السيادة التركية، ولم يشعروا بأن الحكومة العثمانية حكومتهم، بل كانوا يشعرون بضرورة توفير نوع من الحماية الأجنبية، وآثروا الحماية الفرنسية، لأن فرنسا كانت تقليدياً حامية الموارنة في الشرق[2]. وبما أن لبنان بلد منفتح على العالم، وعلاقاته التجارية مع الخارج كانت ناشطة بسبب موقعه الجغرافي، فقد ساعد هذا الأمر في انتشار التيارات الفكرية الوافدة لدى أبنائه. ومن التيارات التي كانت سائدة تبين أربعة كانت الأبرز، وإن لم يكن لها الأثر نفسه في نفوس اللبنانين المتنوعي الميول، وهي:

التيار العثماني: وكانت أهدافه تقضي بالمحافظة على الدستور، وتوحيد الأجناس المختلفة في الدولة العثمانية في أمة واحدة على أساس المساواة بين الجميع[3].

التيار الطوراني: ينادي بالقومية التركية، ويدعو إلى تمجيد العنصرية التركية من طريق تجديد الإيمان بانتساب الشعب التركي إلى أصول طورانية. ويسعى أنصار هذا التيار لتتريك جميع رعايا السلطنة[4]. لكنه قوبل بالمعارضة الشديدة في لبنان.

التيار العربي: من أهدافه أن تنال الولايات العربية في الدولة العثمانية حكماً ذاتياً، وأن تبتعد عن المركزية[5].

التيار الإسلامي: ويدعو إلى «الجامعة الإسلامية»، غاياته رفع الشعوب الإسلامية إلى مستوى الشعوب الحرة المتقدمة، وتطبيق الدين الإسلامي تطبيقاً يلائم مقتضيات العصر، وقام دعاته بالدعوة إلى تحرير

---

(١) **فلسفة التاريخ العثماني**، ص ١٧٧.

(٢) زين نور الدين زين، **نشوء القومية العربية**، دار النهار، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٩، ص ٤٦.

(٣) جورج أنطونيوس، **يقظة العرب**، ترجمة ناصر الدين الأسد والدكتور احسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٢، ص ١٧٧.

(٤) **يقظة العرب**، ص ١٨١.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٨٣. ولقد تألفت جمعيات عدة تقوم على أهداف القومية العربية، منها جمعية الاخاء العربي، المنتدى العربي، جمعية اللامركزية الإدارية العثمانية، الجمعية القحطانية، جمعية العربية الفتاة، وكذلك لجنة الإصلاح في بيروت.

البلاد الإسلامية من السيادة الأجنبية، تمهيداً لنهضتها الفكرية والروحية، وأن تتحد في ظل خليفة واحد ومن أهم دعاتها الأفغاني[١] ومحمد عبده[٢]، ورشيد رضا[٣] وغيرهم.

انتشرت هذه التيارات في لبنان وكان لها مؤيدون ومعارضون. أما فكرة «القومية العربية»، فكانت الأبرز في لبنان، حيث أخذت تتبلور في البداية في أذهان بعض المفكرين المسيحين متحدية العصبية الدينية عند المسلمين ومتحدية الفكرة العثمانية عند العثمانيين[٤]. ولكن بعد الانقلاب على السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ م واستلام «حزب الاتحاد والترقي» الحكم ومحاولته التتريك، بدت تباشير حركة قومية عربية بين مسلمي بلاد الشام نشطت في دمشق وحلب وبيروت بهدف الانفصال عن السلطنة العثمانية، وإنشاء امبراطورية عربية شاملة تضم جميع البلدان الإسلامية الناطقة بالعربية. فتحفظ المسيحيون اللبنانيون أزاء هذا الأمر لتحوّل القيادة إلى المسلمين. ثم نشبت الحرب العالمية الأولى، وفي أوائلها أُلغيت الامتيازات التي تمتع بها لبنان سابقاً، وتعاون اللبنانيون القوميون مع القوميين العرب ضد الدولة العثمانية بمؤازرة الحلفاء، فأدّى ذلك لإعدام ثلاثة وثلاثين منهم بين سنة ١٩١٥ و١٩١٦ م وذلك في بيروت ودمشق، بتهمة الخيانة للدولة العثمانية[٥].

وفي نيسان ١٩١٦ م ثار الشريف حسين سيد الحجاز ضد الأتراك بتشجيع من البريطانيين، وأعلن استقلال العرب عن الحكم العثماني، متوجاً نفسه ملكا على البلاد العربية. وفي ١٩١٨ م دخلت فصيلة من الجيش العربي مع جند بريطاني إلى بيروت بأمرة اللواء شكري باشا الأيوبي، فرفعت علم الشريف فيصل بن الحسين على السراية والدور الرسمية، وعين شكري باشا عمر بن الداعوق حاكماً على بيروت، وحبيب باشا السعد حاكماً على جبل لبنان مع توليه رئاسة مجلس الإدارة. ولما وصلت الفصيلة الفرنسية الحليفة إلى بيروت انسحب الجيش العربي وشكري باشا الأيوبي إلى دمشق. وعُين جورج بيكو قنصل فرنسا القديم في بيروت أول مفوض سام[٦]. وذلك بناء على مقررات مؤتمر سان ريمو الذي منح فرنسا الانتداب على

---

(١) جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩ - ١٨٩٧) أول زعيم من زعماء الحركات الإسلامية دعا إلى الوحدة الإسلامية وإلى التعاون بين الزعماء الدينيين والسياسيين وإلى تضامن الأمة من طريق الشعور بالمسؤولية لدى كل أبنائها والرغبة في العيش معاً في مجتمع واحد والعمل لخيره (البرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة**، ترجمة كريم عزقول، دار النهار بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٧، ص ١٤٩.

(٢) الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) نظر إلى انحطاط المجتمعات الإسلامية وحاول إصلاح أحوالها، وكان هدفه تحرير الفكر من قيد التقليد وإصلاح أساليب اللغة العربية، فاهتم بالتعليم الديني في مدارس المملكة العثمانية. (أحمد أمين، **زعماء الإصلاح**، دار النهار، لات ص ٣٠٨ - ٣٠٩).

(٣) رشيد رضا (١٨٦٥ - ١٩٢٥) ثابر على السير في اتجاه الشيخ محمد عبده والافغاني في الخط الإسلامي ورأى أن المسلمين بوسعهم أن يجدوا مبدأ الوحدة والولاء في دينهم نفسه لأن الإسلام أنشأ مجموعة من الناس يربطهم الايمان والعبادة. (البرت حوراني، ص ٢٧٥) وأصدر مجلة «المنار» لبث آراء في الإصلاح الديني والاجتماعي.

(٤) كمال الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، بيروت، دار النهار، الطبعة الرابعة ١٩٧٨، ص ١٩٩.

(٥) كمال الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٦) بشارة خليل الخوري، **حقائق لبنانية**، منشورات أوراق لبنانية، الجزء الأول (من سنة ١٨٩٠ - ١٩٤٣) ص ٩٢.

سوريا ولبنان. وفي عام ١٩٢٠ م أعلن الأمير فيصل ملكا على سوريا فاحتج بعض اللبنانيين بمظاهرة خوفا من أن يسعى البعض الآخر من المنضوين تحت راية الملك الجديد في دمشق لضم لبنان إلى المملكة المستحدثة[١].

إلا أن الحكومة الفرنسية سعت لإفشال حركة الأمير فيصل، فأرسلت جيوشها إلى دمشق، حيث جرت معركة ميسلون المشهورة في ٢٥ تموز سنة ١٩٢٠ م. وغادر الملك فيصل الأراضي السورية، وابتدأ البحث في ضم بيروت وطرابلس وبعض الأقضية وإعلان لبنان الكبير مستقلا تحت الانتداب الفرنسي.[٢]

طبقت الدولة المنتدبة في لبنان بعض المبادىء المنصوص عليها في جمعية الأمم[٣]، لكنها أطلقت يدها في البلاد، وأفرطت في تعيين الفرنسيين في شتى الدوائر ووضعت يدها على دخل الجمارك وحجبته عن الخزانة الوطنية، كما استأثرت بالسلطة والإدارة وتجسدت سيادة الدولة المنتدبة في فرد واحد هو «المفوض السامي». فكان الآمر الناهي والحاكم بمقدرات الناس، يوقف الدستور عندما يشاء ويعيده منقوصا ثم كاملا متى يشاء[٤]. ومما استحدثته السلطة الفرنسية هو إصدار قانون انتخاب دعت بموجبه لانتخاب ثلاثين عضوا يمثلون المناطق والطوائف على أساس المحافظات والبلديات الممتازة. وتم انتخاب أول مجلس تمثيلي للبلاد وانتخب حبيب باشا السعد رئيساً له.[٥]

وفي أيام المفوض السامي دي جوفنيل عام ١٩٢٦ م دعي المجلس النيابي لوضع دستور للبلاد. وبعد أن وضعت البنود أعلنه أمام ممثلي الشعب. ثم انتخب المجلس شارل دباس رئيساً للجمهورية بالإجماع. وبقي مدة ست سنوات حتى سنة ١٩٣٢ منتخباً انتخابا شرعيا وحاميا لذمام الدستور[٦].

وهكذا انقلبت الأوضاع إلى حكم دستوري برئاسات لبنانية مع بقاء سلطة الانتداب وتغلغل موظفيه ومستشاريه في جميع الدوائر.

---

(١) حقائق لبنانية، ص ١٠٣.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٧.

أما التقسيمات الإدارية في دولة لبنان الكبير فهي: (١) متصرفية لبنان الشمالي» ومركز حكومتها زغرتا (٢) متصرفية «جبل لبنان» ومركز حكومتها بعبدا (٣) متصرفية «لبنان الجنوبي» ومركز حكومتها صيدا (٤) متصرفية البقاع ومركز حكومتها زحلة. واعتبار مدينة بيروت وضواحيها منطقة قائمة بذاتها وكذلك الأمر بالنسبة لطرابلس وضواحيها، وتم إعلان بيروت عاصمة للبنان الكبير (حقائق لبنانية، ج ١ - ٣١٢).

(٣) نص البند ٢٢ من ميثاق جمعية الأمم بأن «رفاهية وتقدم الشعوب التي انسلخت عن الدول الحاكمة فيها سابقاً والتي لا تقوى أن تتولى قيادة نفسها بنفسها بسبب مصاعب العالم الحديث يستلزمان رسالة تمدين مقدسة» (حقائق لبنانية ج١ ص ١٠٨).

(٤) حقائق لبنانية، ج١، ص ١١١ - ١١٢.

(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ١١٦.

(٦) حقائق لبنانية. ج١ ص ١٣٤.

ثانياً: موقع بيروت الثقافي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

تتميز هذه الفترة بتأثير المدنية الأوروبية في الحياة الثقافية في لبنان. وذلك من خلال انتشار المدارس وتأسيس المطابع والصحف وتشكيل الجمعيات. وبما أن القباني (موضوع الدراسة) رجل صحافة وتربية فسيتضمن هذا البحث الحركة التربوية التي سبقت تأسيس جمعية المقاصد الإسلامية. وكانت عاملا في دفع الشباب المسلم ليشكلوا جمعية منهم تكون غايتها فتح المدارس الإسلامية، وترقية المعارف والعلوم. كما سيتناول الحركة الصحافية التي رافقت صحيفة **ثمرات الفنون** أولى الجرائد الإسلامية في بيروت ولبنان لصاحبها الشيخ عبد القادر القباني.

كانت بيروت في تلك الفترة آخذة بالتوسع والازدهار، فلقد أصبحت مركزاً تجاريا وصناعيا يقصده الأوروبيون والسوريون وأهالي جبل لبنان. كما أصبحت مركزاً للقنصليات الأجنبية، ومركزاً للإرساليات التبشيرية والتعليمية من فرنسية وأميركية وإنكليزية. ولقد ازداد عدد سكانها وازدادت العائلات الأوربية فيها كما كثرت أنواع التسلية والترفيه[١].

وبالنسبة للطرق، فلقد فتحت الطرق الرحبة بين بيروت ودمشق، ومدت السكك الحديدية فضلا عن سكك الترامواي من بيروت إلى الجبل ومنها إلى مرفأ طرابلس. وكذلك أضاءت بيروت بأنوار الكاز والكهرباء العمومية.[٢] وأخذت تشاد فيها الدور الجميلة وتنشأ فيها المدارس والمطابع وتعقد الجمعيات فازداد تمدن أهلها وبسطت فيها التجارة براً وبحراً فكان ميناؤها لا يخلو ساعة من السفن الكبار[٣]. وفي سنة ١٨٨٨م أعلنت بيروت ولاية مستقلة تشتمل على سواحل سورية وأسندت إلى صاحب الدولة علي باشا[٤].

أولاً - الحركة التربوية

نشطت الحركة التربوية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وساعدت في تنمية الحركة الفكرية الثقافية، والمعروف أن لبنان يتميز بتعدد طوائفه، لذلك يلاحظ أن كل طائفة أخذت تسعى لإنشاء مدرسة خاصة لتعليم أبنائها. وخاصة بعد انتشار الإرساليات الأجنبية بشكل جلي، فتعددت لذلك المدارس وتنوعت اتجاهاتها.

أما أنماط التعليم، فتميز منها ثلاثة: المدارس التابعة للدولة العثمانية، والمدارس الأجنبية، والمدارس الوطنية.

---

(١) فيليب حتي، **تاريخ لبنان**، دار الثقافة بيروت ١٩٧٢، الطبعة الثانية، ص ٥١٦ - ٥١٧.

(٢) اسماعيل حقي، **لبنان** (مباحث علمية واجتماعية) ص ٣٠٣.

(٣) **ثمرات الفنون**، العدد ١٧٦ (٣ شعبان ١٢٩٥ هـ / ٢٢ آب ١٨٧٨ م) ص١

(٤) **ثمرات الفنون**، العدد ٦٦٣ (١٨ ربيع الثاني ١٢٣٠ هـ / ٢٠ ك١ ١٩٨٨م) ص ١.

المدارس العثمانية: وهي المدارس التابعة للدولة ومنها الكتاتيب، والمدارس الرشدية، والمدارس الإعدادية، والمدارس السلطانية، والمدارس العالية.

الكتاتيب: وهي نمط قديم في التعليم كان يقوم على أساس تحفيظ التلميذ القرآن الكريم في المرحلة الأولى، ثم ينتقل بعدها إلى كتاب آخر يتصف بالبساطة في التعليم تقوم مبادئه على القراءة والكتابة وحفظ القرآن وتعلم الحساب[١].

المدارس الرشدية: وينحصر التعليم فيها بالمرحلة الابتدائية. ولم تكن متقدمة حضارياً وعلمياً، أما مناهجها، فكانت تتضمن العلوم الدينية واللغة التركية ومبادىء اللغتين العربية والفارسية[٢].

المدارس الإعدادية: ومدة الدراسة في هذه المدارس ثلاث سنوات يدرس فيها أساتذة من دار المعلمين، وتقوم مناهجها على أساس تعليم اللغة التركية والحساب والهندسة والقانون العثماني. إضافة إلى تعليم لغة أوروبية هي اللغة الفرنسية[٣].

المدارس السلطانية: يقبل فيها الطلاب الناجحون في المرحلة الإعدادية، ولا توجد هذه المدارس إلا في مراكز الولايات. وتقسم الدراسة فيها إلى قسمين العالي والمعتاد. فالدراسة في العالي ست سنوات وفيها شعبتان هما شعبة الآداب وشعبة العلوم.

أما القسم المعتاد: فالدراسة فيه ثلاث سنوات. ومناهجه كالمرحلة الإعدادية، ويتم التعليم باللغة التركية في هذه المدارس. ومن أراد متابعة الدراسة فيلتحق بمدارس الاستانة العالية[٤].

المدارس العالية: تشمل دار المعلمين والمعلمات ودار الفنون في استانبول ومكاتب الفنون والصنائع المختلفة. ويشترط في قبول الطلاب أن يحصلوا على شهادات الدراسة الرشدية والإعدادية والسلطانية[٥].

كما كان هناك مدارس رشدية عسكرية يلتحق بها الطلاب بعد إتمامهم الدراسة الابتدائية، وبعد إتمام الدراسة في المدرسة الرشدية العسكرية، ينتقل الطالب إلى المدرسة الإعدادية العسكرية ليتخرج فيها برتبة ضابط[٦].

ولقد زالت هذه المدارس العثمانية بزوال الدولة العثمانية.

---

(١) عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية ولاية سورية. ص ٢٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

(٥)و(٦) عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية، ص ٢٥٦.

المدارس التبشيرية:

وهي المدارس التي كانت تؤسسها الإرساليات الأجنبية. وأكثر البعثات الدينية سعيا في إنشاء المدارس هم الآباء اللعازاريون واليسوعيون والمبعوثون الأمريكيون. أما اللعازاريون، فقد أنشأوا مدرسة عينطورا بلبنان سنة ١٨٣٤ م ثم أنشأ القس وليم طمسن الأمريكي مدرسة في بيروت عام ١٨٣٥. وفي سنة ١٨٤٧ م أنشأ الدكتور فانديك مدرسة عبيه وهي مدرسة عالية. وفي السنة نفسها أنشأ الآباء اليسوعيون مدرستهم في غزير[١].

على أن الأجانب لم ينشئوا المدارس الكبرى في بيروت إلا بعد حوادث سنة ١٨٦٠ وأقدم تلك المدارس أنشئت للبنات وأسبقها المدرسة الإنكليزية التي أنشأتها مسز بوين طمسن ١٨٦٠ م. ثم المدرسة الكلية الإنجيلية الامريكية للبنات سنة ١٨٦١م. وتفرع عن هاتين المدرستين بعد ذلك مدارس كثيرة في بيروت ولبنان. وكذلك أنشئت مدارس أخرى للبنات منها: مدرسة الراهبات اللعازاريات ومدرسة راهبات المحبة والناصرة ومدرسة بروسيا ومدرسة تيلر، ومدرسة زهرة الإحسان للروم الارثوذكس[٢].

المدارس الأجنبية العالية في بيروت:

الكلية السورية الإنجيلية (الأميركية): وأنشأها المبعوثون الأمريكيون في بيروت سنة ١٨٦٦م. وكانت مدرستهم سابقاً في عبيه تعلم الرياضيات والطبيعيات وغيرها. ويعود الفضل في إنشائها إلى الدكتور دانيال بلس وكان مرسلاً للتبشير في سورية عام ١٨٥٦ م. وكانت علومها محصورة بالطب وبعض فروع العلم فتعددت فروعها وأقيمت لها الأبنية حتى صارت جامعة كبرى مؤلفة من كليات عدة. وكانت منذ نشأتها تعلم باللغة العربية وأساتذتها يعملون على نقل العلوم الطبية والطبيعية إلى اللغة العربية، ثم عدلت بعد ذلك عن التدريس بها[٣].

وأيضاً الكلية اليسوعية: أنشأها الآباء اليسوعيون أولا في غزير ثم نقلوها إلى بيروت سنة ١٨٧٤ . وهي تعلم اللغات والآداب والطبيعيات والرياضيات والتجارة والفلك وغيرها. كانت تعلم اللغة العربية ثم عدلت عنها إلى اللغة الفرنسية وأنشئت فيها فروع عديدة[٤].

---

(١) جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان الطبعة الثانية، سنة ١٩٧٨، الجزء الرابع، ص ٣٩٦.

(٢) جرجي زيدان، الجزء الرابع، ص ٣٩٧.

(٣) جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج ٤، ص ٣٩٨ - ٣٩٩.

(٤) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٩٩ - ٤٠٠.

المدارس الوطنية

أقدم المدارس الوطنية هي الكلية الوطنية في بيروت للمعلم بطرس البستاني. وهو السبّاق في هذا المضمار الوطني. أنشأ مدرسته سنة ١٨٦٣ وكانت مزدهرة ونبغ منها طائفة من الأدباء وأرباب الأقلام. وامتازت بحرية الدين والتعليم[١]. وقد أقفلت سنة ١٨٧٦ م.

ثم أُنشئت مدارس وطنية لطوائف أخرى، منها المدرسة البطريركية للروم الأرثوذكس، نقلت إلى بيروت عام ١٨٦٦ م. وكان لها شأن بين المدارس الوطنية. ومدرسة الحكمة للمطران يوسف الدبس عام ١٨٦٥م للطائفة المارونية[٢].

وهكذا نجد أن الطوائف المسيحية كانت سبّاقة إلى افتتاح المدارس في لبنان، أما حال مدارس المسلمين، فيصفها لنا **الفجر الصادق**:

«أما الطائفة الإسلامية فإنها كانت غافلة عن ذلك خمس عشرة سنة مقتصرة من المدارس على بعض زوايا مهجورة مملوءة بالعفونة والرطوبة، مما يضر بصحة الأولاد. ومن المعلمين على المشايخ العميان الذين لا ننكر فضلهم لأنهم قاموا بواجباتهم على قدر استطاعتهم. ومن الأطباء على أناس من الحلاقين والحجامين. وبقيت محرومة من الفوائد التامة بالمدارس الملقبة بالعمومية لأن مبادىء تعليمها لا توافق المشرب الإسلامي من وجوه معلومة، كيف لا وقد يشترط في بعضها على التلامذة الخضوع لدين المدرسة»[٣].

ولقد كانت جريدة **«ثمرات الفنون»** تحثّ أبناء البلاد بصورة دائمة على افتتاح المدارس الإسلامية واقتفاء أثر مدارس الطوائف الأخرى، ومن ذلك في أحد أعداد الجريدة: «قلت فنحث نحن أهالي بلادنا كبيروت أن يخلعوا عن مناكبهم رداء العار والكسل.. وإذا لم نتأسَّ بالجار من عموم الطوائف فتستغني أولادنا عن الغير ونأمل غوائل الحوادث لا سيما إنشاء مدرسة للبنات التي هي ألزم لصونهن مما يختلج في الأفكار كثيرا. وقد نوهنا بذلك مراراً وتكراراً وندبنا أهل الغيرة والحمية وأسمعنا (لو وجدنا من يسمع) وأملنا أن يجاب نداؤنا وتزال شكوانا وإن كانت لغير عصمت فالأمر لله القدير»[٤].

إلا أن النداء سمع، وتأسست جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت سنة ١٨٧٨ م / ١٢٩٥ هـ وأعلنت الجريدة خبر تأسس الجمعية وأهدافها فذكرت:

---

(١) جرجي زيدان، ج ٤، ص ٣٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٩٨.

(٣) **الفجر الصادق**. البيان السنوي الأول لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت مطبعة ثمرات الفنون سنة ١٢٩٧ هـ.

(٤) **ثمرات الفنون**، العدد ٥٤ (٣ ربيع الأول ١٢٩٣ هـ / ٢٧ نيسان ١٨٧٦ م) ص ١

«قد يسرنا أنا حصلنا على ما تمنيناه عند أبناء الطائفة الإسلامية في بيروت وذلك أنه تألفت جمعية من خمسة وعشرين شاباً من الأهالي انتخب منهم الرئيس وأمين الصندوق والكاتب وقد سميت (بجمعية المقاصد الخيرية) وموضوعها تفقد أحوال الفقراء بحسب الاقتدار وإيجاد مدارس للذكور والإناث بما يكون به سداد من عوز وكل أمر خير دون المداخلة في الأمور السياسية»[1].

ثم أخذت هذه الجمعية توسع نشاطاتها على جميع الأصعدة، التربوية والاجتماعية.

ومن الكليات الإسلامية في بيروت «الكلية العثمانية الإسلامية» وأنشئت بعد الدستور أي بعد ١٩٠٨ م، ولما أعلن الدستور جعلت كلية وسميت «الكلية العثمانية الإسلامية» ويرأسها الشيخ أحمد عباس الأزهري بإدارة نخبة من أدباء بيروت ووجهائها المسلمين. وكانت كما ذكر «جرجي زيدان» من أقوى عوامل النهضة الإسلامية في بيروت»[2].

ولقد ذكرت مجلة الكشاف عن تطور هذه الكلية التي كانت مدرسة ثم صارت كلية ما يلي:

«جرت المدرسة العثمانية على نظام عصري في الإدارة والتدريس لم يعهد بمثلها في المدارس التي ينفرد بتدبيرها شخص واحد حتى زهت في برهة يسيرة وانشرت شهرتها في الآفاق فأمّها الطلبة من أقصى البلاد الإسلامية فضلاً عن الأرجاء السورية، ثم اتسعت دائرتها وجمعت داخل محيطها أقسام التعليم الثلاثة الإبتدائي والاستعدادي والعلمي وبهذا صارت «كلية»[3].

وفي نهاية القرن التاسع عشر، أصبح لبنان بلا منازع أكثر أجزاء السلطنة العثمانية تقدما في مجال التربية العامة، بسبب ما نقلته إليه المدرسة من علوم ومعارف مختلفة. وكانت دور العلم والمدارس ميدانا فسيحا لنشر المبادىء والتعاليم، نشطت الإرساليات وكثرت المدارس الطائفية التي كانت كل منها تسعى لنشر العلم والمعرفة بين أبناء طائفتها، بدافع المنافسة، وخوفاً من طغيان طائفة على أخرى بعلمها أو بمستواها الاجتماعي والثقافي والاقتصادي. فكانت عاملاً للنهوض بأبناء الوطن الواحد. فعربت المناهج وأصبحت العلوم الطبيعية من المواد الأساسية في المناهج المدرسية. واهتم الشعب باتقان اللغات الأجنبية بسبب ما أصبح للبنان من علاقات ثقافية وسياسية واقتصادية مع هذه البلاد الأجنبية[4].

---

(١) ثمرات الفنون، العدد ٨١ (١٣ رمضن ١٢٠٥ / ٩ ايلول ١٨٧٨ م) ص ١

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٤، ص ٣٩٨.

(٣) مجلة الكشاف مديرها بهاء الدين الصباغ، بقلم عبد الباسط فتح الله، تصدر عن مقر الكشاف العام، بيروت، لبنان، السنة الأولى، المجلد الأول، العدد الخامس سنة ١٩٢٧ ص ٢٩٧.

(٤) جهينة الأيوبي «جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت» رسالة إلى دائرة التربية في الجامعة الأميركية في بيروت لنيل درجة أستاذ علوم الجامعة الأميركية، بيروت، ١٩٦٦، ص ١٤.

ثانياً: الحركة الصحافية

تعتبر الصحافة اللبنانية رمز حضارة البلد، وأولى المؤسسات الفكرية التي مثلت حضوره في العالم العربي. وكانت منبراً للتعبير عن ثقافته العربية[١].

ولقد نشأت الصحافة في لبنان بفعل مساعدة المبشرين الأجانب الذين تدخلوا في أمور البلاد لنشر العلوم والمعارف. وكانت الصحف وسيلة من وسائلهم التي استخدموها في سياستهم. وأسبق الجماعات الدينية هم المبعوثون الأمريكيون الذين أصدروا سنة ١٨٥١م نشرة أو مجلة دينية بقلم القس «غالي سميث» وهي أشبه بالتقاويم أو المناشير منها بالصحف. وكانت تصدر مرة في السنة في ابتداء أمرها. كما اشتملت على أبحاث دينية وعلمية وجغرافية[٢].

ثم ظهرت مجلة **أعمال الجمعية السورية** فلقد أنشأت هذه الجمعية مجلة باسمها في بيروت سنة ١٨٥٢ م لنشر العلوم وتنشيط الفنون بين الناطقين بالضاد، وعهدت بكتابة مقالاتها إلى المعلم بطرس البستاني، واشتملت مباحثها على المواد العلمية والفنية والتاريخية والأدبية وغير ذلك. ثم أصدر رزق الله حسون **مرآة الأحوال** سنة ١٨٥٥ م، وهي جريدة أسبوعية سياسية. كما أصدر اسكندر شلهوب جريدة سياسية بعنوان السلطنة سنة ١٨٥٧، وكلتا الجريدتين صدرتا في الآستانة[٣].

وفي سنة ١٨٥٨ م قام خليل خوري بإصدار **حديقة الأخبار** وهي صحيفة أسبوعية سياسية علمية تجارية، وهي أول جريدة سياسية أنشئت في البلاد العثمانية عن عاصمة السلطنة[٤].

ثم أنشأ أحمد فارس الشدياق صحيفة كان لها الأثر العظيم هي **الجوائب** وهي جريدة أسبوعية سياسية ظهرت بتاريخ ١٨٦٠ م في الآستانة، وكانت تطبع في المطبعة السلطانية[٥].

وفي السنة نفسها (١٨٦٠ م) ظهرت **نفير سوريا** للمعلم بطرس البستاني، وهي جريدة صغيرة مؤلفة من صفحتين، نشرها بعد الحرب الأهلية في بر الشام، وهي على شكل رسائل وطنية تتضمن نصائح مفيدة لشد روابط الألفة بين سائر السكان، وعلى مختلف انتماءاتهم المذهبية[٦].

ثم أصدر يوسف الشلفون سنة ١٨٦٦ **الشركة الشهرية**، ونشرها في المطبعة العمومية. وفي السنة ذاتها

---

(١) يوسف أسعد داغر، **مصادر الدراسة الأدبية**، بيروت، المكتبة الشرقية ١٩٧٢ م، ص ١٦

(٢) جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج ٤، ص ٤١٢.

(٣) الفيكونت فيليب دي طرزي، **تاريخ الصحافة العربية** بيروت، المطبعة الأدبية، ١٩١٣، ج ١، ص ٥٣.

(٤) طرازى، **تاريخ الصحافة العربية**، الجزء الأول، ص ٥٥.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٦١.

(٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٤.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص ٦٨.

أنشأ الدكتور كرنيليوس فان ديك **النشرة الشهرية**، وهي جريدة شهرية دينية مصوّرة، ذات ثماني صفحات صغيرة، غايتها بث التعليم البروتستنتي، وإذاعة أخبار المبشرين به وأعمالهم[١].

ثم أصدر داود باشا حاكم جبل لبنان سنة ١٨٦٧ م صحيفة أسبوعية رسمية باسم **لبنان** تقوم على خدمة مصالح الحكومة اللبنانية، وإذاعة أوامرها وإعلاناتها[٢].

كما أصدرت سنة ١٨٦٨م مجلة **مجموعة العلوم**، وهي تشتمل على أعمال «الجمعية العلمية السورية»، وعلى مباحث عمومية كالزراعة والصناعة والتجارة والتاريخ والشعر وسائر المواضيع العلمية[٣].

ويميز طرازي الصحافة منذ نشأتها إلى هذه الفترة بأنها كانت ركيكة التعابير، سقيمة، خالية من تبويب أبحاثها إلا فيما ندر. لأن الفن كان مجهولا وسوق العلوم كاسدة. ثم أخذت ترتقى شيئا فشيئا بسبب إقبال الأدباء على السفر والاختلاط بالغربيين ومجاراتهم في أمور كثيرة[٤].

أما انتعاش الحركة الفكرية، فكان بعد خروج العساكر الفرنسية من بيروت التي دخلوها بعد سنة ١٨٦٠م لتهدئة الأوضاع إثر المذابح التي جرت في سوريا. وكثرت بعد ذلك في بيروت الصحف ذات الاتجاه السياسي والعلمي.

ففي سنة ١٨٧٠ م صدرت **الزهرة** ليوسف الشلفون وتتضمن فصولا تاريخية وفوائد علمية. كما صدرت **المهماز** لخليل عطية وهي نشرة دينية أدبية. **والجنة** لسليم البستاني وهي صحيفة أسبوعية سياسية تجارية وأدبية. **والبشير** وهي صحيفة كاثوليكية دينية أنشأها الأب امبروسيوس مونو لخدمة الطوائف المسيحية الشرقية الكاثوليكية[٥].

وفي سنة ١٨٧١ صدرت **كوكب الصبح المنير** للقسوس الأميركان، وهي نشرة دينية مصوّرة. **والنشرة الأسبوعية** للدكتور كرنيليوس فان ديك، وهي صحيفة دينية للمرسلين الأميركان. **والجنينة** لسليم البستاني، وهي أول صحيفة عربية يومية وهي جريدة سياسية تجارية[٦]. وفي سنة ١٨٧٤ م ظهرت **التقدم** ليوسف الشلفون وهي جريدة عمومية[٧].

كل ما سبق ذكره من صحف كان لكتاب من المسيحيين. ولم تصدر جريدة إسلامية في بيروت قبل سنة ١٨٧٥ م، إلى أن صدرت جريدة **ثمرات الفنون**، وهي أولى الجرائد الإسلامية في بيروت وثانيتها في

---

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٩.
(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٣.
(٣) طرازى، ج ١، ص ٧٥.
(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٧٩.
(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨ - ١١.
(٦) طرازى، ج ٢، ص ١٨ - ٢٢.
(٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٢.

السلطنة العثمانية بعد **الجوائب**. وهي صحيفة أسبوعية سياسية علمية أدبية أنشأتها جمعية الفنون في بيروت المؤلفة من أدباء مسلمين برئاسة الحاج سعد الدين حمادة، وفوضت إدارتها لصاحب امتيازها السيد عبد القادر قباني أحد أعضائها. وتوقفت سنة ١٩٠٨م إثر إعلان الدستور[١].

ولقد رافقت **ثمرات الفنون** خلال مدة صدورها صحف عديدة نذكر منها **لسان الحال** لخليل سركيس سنة ١٨٧٧ م، وهي جريدة سياسية تجارية علمية[٢]. **والصباح** لنقولا نقاش، وخطتها كاثوليكية، وهي جريدة سياسية تجارية صدرت سنة ١٨٨٠ م [٣].

ثم صدرت نشرة شهرية دينية لأولاد المدارس الارثوذكسية باسم **الهدية** وذلك بإيعاز السيد غفرائيل شاتيلا، مطران الروم الارثوذكس[٤]. وفي عام ١٨٨٦ م صدرت جريدة عرفت باخلاص النية في دخمة الوطن هي جريدة **بيروت** لمحمد رشيد الدنا، وهي جريدة علمية تجارية أدبية[٥]. ثم صدرت صحيفة بيروت الرسمية سنة ١٨٨٨ م، بعناية علي باشا حاكم بيروت، باللغتين العربية والتركية[٦].

وفي سنة ١٨٩١ م صدرت **الأحوال** لخليل البدوي وهي جريدة سياسية تجارية علمية. **ولبنان** وهي جريدة سياسية أسبوعية تجارية علمية وتاريخية لأبراهيم الأسود[٧].

وفي عام ١٩٠٠ صدرت **الحديقة** لنجيب نصار، ثم صدرت جريدة **الاقبال** لعبد الباسط الأنسي عام ١٩٠٢ م. وفي ١٩٠٨ صدرت **الاتحاد اللبناني** لأحمد حسن طبارة وخليل عورا. وكذلك **المارونية الفتاة** ليوسف خطار غانم[٨].

ومما يجدر ذكره بشأن هذه الصحف إلى جانب كثرتها واختلاف موضوعاتها وتباين ألوانها، هو تنوع اتجاهاتها واختلاف دورات صدورها، بحيث وفرت للناس غذاء فكريا منوعا. فكان منها الجرائد اليومية **كالاهرام ولسان الحال**، ونصف الأسبوعية كالمفيد، والأسبوعية **كثمرات الفنون**، والشهرية **كالهوية والنشرة الشهرية**[٩].

---

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٥.
(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٧.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣٣.
(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٥.
(٥) طرازى، ج ٢، ص ٣٧.
(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٠.
(٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢.
(٨) يوسف أسعد داغر، **قاموس الصحافة اللبنانية**، ص ٢٣١، ونكتفي بذكر الصحف والمجلات التي صدرت حتى العام ١٩٠٨م، سنة إقفال ثمرات الفنون.
(٩) كمال اليازجي، **روّاد النهضة الأدبية في لبنان الحديث**، مكتبة رأس بيروت لبنان، الطبعة الأولى، أيار ١٩٦٢، ص ١٣٦.

وكذلك اختلفت اتجاهاتها الفكرية فكان منها الصحف الدينية المذهبية نظير **البشير** للكاثوليك، **والهدية** للأرثوذكس، **وثمرات الفنون** للمسلمين.

ومنها الصحف السياسية **كنفير سوريا** لبطرس البستاني، **ولسان الحال** لخليل سركيس.

ومنها الصحف العلمية التجارية **كالأحوال** لخليل البدوي، وجريدة **لبنان** لابراهيم الأسود وجريدة **بيروت** لمحمد رشيد الدنا[١].

أما الصحافة الدينية، فهي التي كانت تمثل وجهة نظر مذهب من المذاهب، أو طائفة من الطوائف[٢].

ولقد كانت الصحافة اللبنانية منذ بدء انتشارها سنة ١٨٥٨ م حتى أواخر القرن التاسع عشر تنطق بلسان الطوائف الدينية. وقد أخذت كل طائفة تنافس الأخرى في إصدار جريدة أو مجلة تمثل رأيها، وتبث الدعاية لعقيدتها، وتدافع عن مصالحها. وغالبا ما كانت الصحف الطائفية تدخل في جدل ديني حول مسائل لاهوتية لا علاقة لها مطلقا بالحالة السياسية أو الاجتماعية في البلاد.

ونجد أن معظم الصحف اللبنانية نشأت نتيجة دوافع طائفية مذهبية، ثم تحولت على مر السنين إلى جرائد وطنية جامعة، وإن كانت لم تستطع التحرر نهائياً من صبغتها الدينية[٣].

ولقد نشأت الصحافة اللبنانية والبيروتية خاصة في ظل الدين، ورعت نموها المنافسة والصراعات القائمة بين الطوائف آنذاك. وإذا كنا لا نرى في القرن الماضي صراعات عقائدية واضحة بين صحافة مسيحية وأخرى إسلامية، فإننا نلمس هذا النوع من الصراع بين الصحف المسيحية نفسها، لا سيما بين صحافة الآباء اليسوعيين وصحافة المرسلين الأميركان[٤].

ويذكر «جبران مسعود» أن الجرائد قد حفلت بالأبحاث القيمة رغم أن بعض الموضوعات المطروحة كانت غثة، وأن بعض المناظرات والمشاحنات بين الجرائد اللبنانية كانت عقيمة[٥].

ولقد احتدم الجدل مرة بين **ثمرات الفنون** الموصوفة بتعصبها للدين الإسلامي وبين جريدة **البشير** المعروفة بتعصبها للدين الكاثوليكي وذلك بسبب مسألة «النخاسة»[٦]

ومن طابع الصحف الدينية أنها تكثر من الكتابات الدينية خدمة للدين. وغايتها جمع كلمة المؤمنين وتوجيههم وتعليمهم أصول الدين من طريق شرح أو تفسير ما يصعب عليهم فهمه. وتبسط وجهة نظر الدين

---

(١) اليازجي، المصدر نفسه، ص ١٣٧.

(٢) جوزيف الياس، **الصحافة السورية في مائة عام** (١٨٦٥ - ١٩٦٥) دار النضال، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٢، الجزء الأول ص ٢٢٥.

(٣) أديب مروة، **الصحافة العربية**، ص ١٧٠.

(٤) جوزيف الياس، المصدر نفسه، ص ٢٢٥.

(٥) جبران مسعود **لبنان والنهضة العربية الحديثة**، بيت الحكمة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٧، ص ٥٣.

(٦) طرازى، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٦.

في كثير من القضايا من طريق التفريق بين ما هو ضار، وما هو نافع من العادات، والحض على التخلق بالأخلاق الكريمة(١).

وتنشر الصحف الدينية كذلك، أخبار المؤمنين من أبناء ملتها وأخبار الجمعيات الخيرية في البلاد وخارجها، والمؤسسات كافة التي تسهم في إعلاء كلمة المؤمنين. ويمكن القول بأن هذه الصحافة تسعى إلى التربية، وإلى إعداد أبناء الملة الإعداد الذي تراه مثالياً(٢).

وتلتقي الصحافة الإسلامية والمسيحية عند موقف واحد تجاه بعض المسائل الغربية، فهما ترفضان البدع الغربية، وبعض عادات الغربيين الاجتماعية، وتدعوان معاً للوقوف في وجه المد المتحرر أكثر مما يجب، والحفاظ على روحانية الشرق وقيمه.

ونتيجة تأثر الصحافة المسيحية بالفكر الغربي، فهي تنقل وتترجم من الفكر والآداب الغربية، وتنشر باستمرار القصص القصيرة والروايات المسلسلة وأخبار العالم الغربي، وتياراته الفكرية المعاصرة. بينما تبقى الأخرى محافظة وشرقية إسلامية. وكلا الاتجاهين نجده يخوض في المواضيع الأخرى الأدبية والعلمية والاجتماعية والتاريخية والفلسفية وغيرها(٣).

أهمية الصحافة اللبنانية

كانت الصحافة اللبنانية منذ فجر ميلادها أهم منابر التعبير عن الثقافة العربية كما كانت عرضاً من أعراض الاحتكاك والتفتح الفكري في العالم العربي(٤). ولقد مرّت بمراحل عديدة، أولاها مرحلة التأسيس ممثلة بالصحف التالية: **حديقة الأخبار والنفير ولسان الحال وثمرات الفنون والبشير والمشرق وبيروت**. وتركت إرثاً قومياً عظيماً حمله الصحفيون وخلقوا به نهضة أدبية. فقد كانت تختمر في الصحافي خلاصة الأدب والفكر. أمثال بطرس البستاني، وسليم البستاني، وابراهيم اليازجي، وعبد القادر القباني، وغيرهم. فكانوا من أكبر العوامل التي ساعدت في النهضة الفكرية(٥).

ولقد شاركت الصحف اللبنانية المبكرة في تأسيس الصحف العربية، سواء في الآستانة أو مصر أو سورية. وربطت بين المجتمع الثقافي اللبناني، وبين النشاط الصحفي العربي، إذ سمحت للصحف العربية فرصة الاستفادة من مواهب العديد من النوابغ في لبنان، كما احتضنت العديد من الأقلام العربية المتفوقة في مجالي السياسة والأدب(٦).

---

(١) جوزيف الياس، المصدر نفسه، ص ٢٢٦.
(٢) جوزيف الياس، المصدر نفسه، ص ٢٢٦.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٧.
(٤) يوسف أسعد داغر، **مصادر الدراسة الأدبية**، المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٧٢ م ص ١٤.
(٥) يوسف داغر، **مصادر الدراسة الادبية**، ص ١٤.
(٦) **مرونة الصحافة العربية**، اعداد الدكتور يوسف فخوري، تحرير علي ذو الفقار شاكر معهد الانماء العربي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٥٨، المجلد الثالث، ص ٧.

كما خدمت الصحافة اللغة والأدب، أما اللغة فقد كان التفاعل بينها وبين الصحافة متبادلا. وكانت اللغة في بداية عهدها ركيكة العبارة مائعة الأبحاث، فأدى اشتغال أهل الأدب بها إلى تحسين كبير في مباني تعابيرها، ومادة محتوياتها[1].

وأما خدمتها للأدب، فمن طريق المراسلات والمناظرات الأدبية. وكانت الصحف مجالاً لتبادل الآراء، وتناحر الأفكار في شؤون مختلفة، منها المناظرات الدينية المذهبية نظير ما كان بين **النشرة الإنجيلية**، **والبشير** الكاثوليكي، أو بين البشير **والهدية** الأرثوذكسية. أو بين **البشير وثمرات الفنون** الإسلامية، وجلّ الخلاف بين هذه الصحف كان في مثل رئاسة بطرس، وعصمة البابا، وشفاعة القديسين، وجدوى الصلوات من أجل الموتى. ومنها الموضوعات العلمية الدينية كالذي تناولته كل من الصحف التالية: **النشرة والمقتطف، والبشير، والمقتطف** وخصوصاً في موضوع العلم والدين، ولا سيما نظرية النشوء والارتقاء، وعقائد الدين. والمناظرات بين **البشير والتقدم** في قيمة التعليم العلماني.

ومنها العلمية اللغوية كما جرى بين الشدياق واليازجي، وبين اليازجي والاب لويس شيخو. وبين ميخائيل مشاقة وبعض الآباء اليسوعيين[2]. فتكاتفت العوامل وتضافرت الجهود على دفع الفكر العربي مجدداً في سبيل النهوض العلمي.

ولقد فتحت الصحافة المجال أمام الناس لينهلوا من معين الثقافة، فيطلعوا على أحوال بلادهم المحلية، وأحوال العالم من حولهم. كما يلاحظ أن الصحيفة في لبنان كانت من عمل الأفراد والجماعات، ولم تكن عملا رسمياً تقوم به الحكومة. فكانت كل جريدة تقوم بالدعوة التي ينشدها صاحبها إن على صعيد القومية العربية أو الدعوة للاتحاد العثماني أو الاتحاد اللبناني أو الدعوات الدينية المختلفة، فكانت عاملاً لتبادل الآراء في النواحي الفكرية السياسية المتنوعة.

وفي هذا الجو السياسي والثقافي العام عاش القباني، وكانت له مواقفه الخاصة من الدولة العثمانية والدول الأوروبية، وظهرت له اعمال نشطة على الصعيد التربوي والصحافي.

---

(١) كمال اليازجي، رواد النهضة الادبية، ص ١٣٨.

(٢) كمال اليازجي، رواد النهضة العربية، ص ١٣٩.

الفصل الثاني

الشيخ عبد القادر القباني

(حياته وأعماله)



الفصل الثاني

الشيخ عبد القادر القباني: حياته وأعماله

أولاً: مولده ونشأته:

هو عبد القادر بن مصطفى «آغا»[1] بن عبد الغني القباني[2]، ولد سنة ١٢٦٤ للهجرة الموافق ١٨٤٨ للميلاد[3]. ويعود أصل عائلته إلى بلاد الحجاز، ثم انتقلت إلى جهات العراق. وفي أيام الحروب الصليبية توجه بعض أفراد العائلة إلى سورية ليحاربوا إلى جانب السلطان صلاح الدين الأيوبي، فسكنوا أولاً في مدينة جبيل بلبنان ثم تحولوا إلى بيروت.

وفي أيام ولاية عبد الله باشا على عكا، عين مصطفى «آغا» والد عبد القادر قائداً للعساكر. لكن العساكر انهزمت، وسقطت عكا في ٢٧ أيار ١٨٣٢م بيد ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا المصري، وجرح مصطفى ونقل إلى مصر وهناك عرض عليه محمد علي أن يعينه أمير لواء بشرط أن يكون مخلصاً له كإخلاصه لعبد الله باشا، إلا أنه أبى هذا المنصب، وهرب من مصر متنكراً حتى وصل إلى القسطنطينية فأكرمته الدولة العثمانية وجعلت له راتباً كافياً لمعيشته. بينما كانت عائلته في بيروت تحت سيطرة ابراهيم باشا الذي اساء كثيرا من مصطفى آغا، وأبعد عائلته إلى جزيرة قبرص حيث أقامت هناك. وبعد خروج الجيوش المصرية من البلاد السورية، أعاد مصطفى عائلته إلى بيروت وأقاموا فيها حيث ولد عبد القادر القباني[4].

---

(١) لقب آغا هو لقب شيوخ الأكراد وكبارهم (النقود العربية وعلم النُميات للأب أنستاس الكرملي البغدادي، المطبعة العصرية، القاهرة ١٩٣٩، ص ١٣٦) ثم تحول اللقب ليطلق على أصحاب الرتب العالية في الجيش العثماني كما يدل لقب والد المترجم له ذو العدلول العسكري (كما يذكر طه الولي في مجلة المقاصد عدد ٢٥ سنة ١٩٨٤ م ص ٥٦).

(٢) القباني بفتح القاف وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف نون هذه النسبة إلى عمل القبان الذي يوزن به كما ورد في اللباب في تهذيب الأنساب، عز الدين بن الأثير الجزري، دار صادر ب يروت ١٤٠٠ هـ، ص ١١.

(٣) خير الدين الزركلي، الأعلام، الجزء الرابع، الطبعة الخامسة، أيار ١٩٨٠ دار العلم للملايين، بيروت - لبنان ص ١٧١.

(٤) فيليب دي طرازي، تاريخ الصحافة العربية، الجزء الأول ص ٩٩.

وفي ظل هذه العائلة نشأ عبد القادر القباني متعلماً شيم الإخلاص والشجاعة من والده، حيث ترسخت فيه جذور النزعة الوطنية والولاء للدولة العثمانية.

ولقد نشأ عبد القادر نشأة إسلامية وطنية، حيث تلقى علومه في المدارس الإسلامية التي كانت منتشرة آنذاك، ثم انتقل إلى المدرسة الوطنية[(١)] للمعلم بطرس البستاني[(٢)].

ولقد ساعده على دخول المدرسة الشيخ يوسف الأسير[(٣)] الذي كان يسكن في جوارهم، وكان استاذاً في المدرسة الوطنية، فوجد عند عبد القادر ميلا للعلم وحبا للمعرفة والاستطلاع فشجعه على المثابرة[(٤)].

ثم لازم حلقات الدروس الدينية التي كانت تقام لأكابر العلماء، أمثال الشيخ محي الدين اليافي[(٥)]، والشيخ ابراهيم الأحدب[(٦)]، والشيخ يوسف الأسير. وكلهم شغل مناصب بارزة في الوسط العلمي في بيروت. ومن المحتمل أنه اكتسب لقب الشيخ نتيجة اتصاله بهؤلاء العلماء، لأنه لم يذكر أنه ذهب إلى الأزهر ليتلقى تعليمه هناك كعادة العلماء في زمنه[(٧)].

---

(١) المدرسة الوطنية أسسها بطرس البستاني عام ١٨٦٣ م وأقامها على مبدأ وطني أساسه الوحدة الوطنية وكان شعارها «حب الوطن من الايمان» إضافة إلى الاهتمام باللغة العربية والعلوم الحديثة (البرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة**، ص ١٢٧).

(٢) بطرس البستاني (١٢٣٤ - ١٣٠٠ هـ / ١٨١٩ - ١٨٨٣ م) بطرس بن بولس بن عبد الله البستاني صاحب دائرة المعارف العربية عالم واسع الاطلاع ولد ونشأ في الدبية من قرى لبنان وتعلم بها وببيروت آداب العربية واللغات السريانية والايطالية واللاتينية ثم العبرية واليونانية وتعين استاذاً في مدرسة عبية واستعان به المرسلون الاميركيون على إدارة الأعمال في مطبعتهم وعلى ترجمة التوراة من العبرية إلى العربية وصنف كتاب «محيط المحيط» واختصره «قطر المحيط» وله كتاب «كشف الحجاب» وكتاب «مسك الدفاتر» توفي في بيروت.
(خير الدين الزركلي، **الأعلام**، المجلد الثاني، ص ٥٨).

(٣) يوسف الأسير (١٢٣٢ / ١٣٠٧ هـ / ١٨١٧ - ١٨٨٩)، يوسف بن عبد القادر بن محمد الحسيني الازهري كاتب وفقيه وشاعر ولد في صيدا وانتقل إلى دمشق سنة ١٢٤٧ هـ ثم عاد إلى صيدا فتعاطى التجارة وتوجه إلى الأزهر بمصر وتولى رئاسة محكمة طرابلس الشرعية ثم تولى منصب الافتاء في عكا وسافر إلى الآستانة وتولى رئاسة تصحيح الكتب في نظارة المعارف وتدريس العربية في دار المعلمين وعاد إلى بيروت وتول التدريس في بعض مدارسها وتولى التحرير في **ثمرات الفنون ولسان الحال** من كتبه «رائض الفرائض». وشرح أطواق الذهب توفي في بيروت سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م (**الاعلام**: المجلد الثامن، ص ٢٣٨).

(٤) مقابلة مع حفيدي الشيخ عبد القادر القباني، السيد رياض والسيد عبد الرؤوف قباني في منطقة زقاق البلاط.

(٥) محي الدين اليافي (١٢١٨ - ١٣٠٣ هـ / ١٨٠٣ - ١٨٨٦ م) الدمشقي الحنفي، فقيه ولد بدمشق وقدم بيروت فسكنها له مؤلفات (كحاله، **معجم المؤلفين**، الجزء الثاني عشر، ص ٢٠٩).

(٦) ابراهيم الأحدب ولد سنة (١٢٤٢ - ١٣٠٨ هـ / ١٨٢٦ - ١٨٩١ م) في طرابلس وطلب العلوم اللسانية فنصب مستشاراً في الأمور الشرعية لحاكم مقاطعة الشوفين ثم جعل نائبا في المحكمة الشرعية ثم كاتبا أول فيها، تولى تحرير جريدة «**ثمرات الفنون**» ثم انتخب عضواً في مجلس المعارف، ببيروت وتقلد كثيراً من الرتب السلطانية كان سريع الخاطر ينظم القصيدة في جلسة واحدة من تآليفه «فرائد اللآل في مجمع الأمثال - ط» و«كشف الأرب عن سر الأدب ط» توفي في بيروت ١٣٠٨ هـ / ١٨٩١ م (**الاعلام**، الجزء الأول، ص ٥٥).

(٧) **الحياة الفكرية في المشرق العربي**، إعداد مروان بحيري، مترجم عن الانكليزية مركز دارسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى ١٩٨٣، مقال بقلم الدكتور هشام نشابة بعنوان «الشيخ عبد القادر القباني وجريدة **ثمرات الفنون** ص ١٠١.

ثانياً: القباني وجمعية الفنون الإسلامية:

وبعد أن نهل من معين العلم والمعرفة، بدأ مرحلة العمل والعطاء فظهر اسمه في سنة ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م بين أعضاء جمعية عرفت باسم «جمعية الفنون» وكان من دواعي تأليفها حاجة المسلمين الملحة إلى تحسين أحوالهم. فلقد ازداد عددهم وأصبحوا بحاجة إلى المدارس، فيما كانت حركة التعليم تسير بطيئة، وتقتصر على تعلم القراءة والكتابة والحساب عند بعض المشايخ. حيث كان يقصدهم التجار لحاجتهم للكتابة والقراءة في معاملاتهم التجارية[١].

ولما كانت بيروت في حال تقدم علمي وأدبي، والمسلمون غائبون عن ذلك، أشارت جريدة **البصيرة**[٢] التركية إلى هذا التقدم، وإلى عدم اشتراك المسلمين فيه، ما أثار الغيرة الوطنية والحمية في نفس الفاضل الحاج سعد الدين حماده[٣]. وكان من أصحاب الفكر ففاوض من رأى فيهم الهمة والإقدام من أصحابه في أمر المسلمين، وألف منهم «جمعية الفنون الإسلامية». وكان هو ناظرها، والعلاّمة الشيخ يوسف الأسير رئيسها، إضافة إلى عدد من الأعضاء من بينهم القباني. فكانوا يحضرون دروس الرئيس ليلاً في منزله، ليتم لهم العمل من علم وذلك بإرشاد الناظر. وكانت أهداف الجمعية تقوم على الاهتمام بفتح المدارس ونشر المعارف وعمل البر كما قامت الجمعية بأعمال خيرية وفنية[٤].

ولم يقف نشاط الحاج حمادة عند هذا الحد، بل قام بمشروع جديد وهو تأليف شركة مساهمة من أعضاء الجمعية لتأسيس مطبعة ونشر جريدة هي **ثمرات الفنون** فتبرع أعضاء «جمعية الفنون» من مالهم الخاص بمبلغ خمسة وعشرين ألف غرش استحضروا ببعضها مطبعة عرفت بـ«مطبعة ثمرات الفنون»[٥] كما قامت هذه الجمعية بأعمال فنية، منها ما ذكرته الجريدة عن خبر تقديم مسرحية فدرا[٦] وعلى مرسح سورية، وذلك قبل أن تصبح بيروت ولاية مستقلة كما جاء في **ثمرات الفنون**.

«إن من عوائد جمعية الفنون في بيروت أن تشخص في كل سنة رواية تستعين بها على أعمالها الخيرية، وقد عزمت في هذا العام على تشخيص رواية فدرا المشهورة مترجمة إلى العربية...»[٧].

---

(١) مجلة **الكشاف** مديرها «بهاء الدين الطباع» السنة الأولى، العدد الأول ١٩٢٧ م بقلم الشيخ عبد القادر القباني ص ٢٩.

(٢) جريدة ذات مكانة مهمة تصدر في استانبول.

(٣) سعد الدين حمادة، كان رئيس محكمة التجارة في بيروت وكانت مساكن آل حمادة بجوار مساكن آل القباني ومن هنا كانت معرفته بالشيخ عبد القادر القباني.

(٤) **الكشاف**، المصدر نفسه، العدد الثاني، ص ٨٧.

(٥) لقد طبعت هذه المطبعة الكتب النادرة الفريدة، ومنها الكتب العلمية والأدبية، التي لم تكن مطبوعة انذاك (**ثمرات الفنون**، عدد ١١٠٥، (١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م) ص ٣).

(٦) وهي رواية فرنسية ترجمها إلى العربية انطوان شحير.

(٧) **ثمرات الفنون**، عدد ٤٣ (١٥ محرم ١٢٩٤ هـ / ١٠ شباط ١٨٧٦ م) ص ١.

إلا أنه لم يطل عمر الحمعية لحلول روح الحسد في بعض النفوس ومحاولتهم إفشال مسيرتها الخيرية[١]. ثم إن الحاج سعد الدين حمادة مرض وتوفي، لكن آماله بالمشاريع الخيرية لم تدفن معه، بل استمرت بفضل همة الشيخ عبد القادر القباني، الذي أخذ على عاتقه المسيرة الوطنية والإسلامية عبر جريدة **ثمرات الفنون** التي أسستها الجمعية وفوضت إدارتها إليه، وأخذت الامتياز باسمه. وفي ذلك يخبرنا الشيخ القباني بنفسه في الجريدة فيقول:

«.. وحيث وجدنا في هذا العصر الذي عرف طيبه فاح، وفي ظل هذه الدولة المحبة للتقدم والنجاح، إنتدبنا - أعني جمعية الفنون - لإنشاء صحيفة أخبار ذات فوائد، بها تقر العيون ويليق بها الانتشار، وحيث إني أحد أعضاء هذه الجمعية، ونعمت المعية، فهؤلاء الجماعة ذوي الالمعية، اختاروا أن أكون لهذه الصحيفة مديراً، فاستخرت الله واتخذته ظهيراً، وأجبتهم إجابة المطيع. وها أنا ذا باذل جهد المستطيع، أسأل الله تعالى أن يديم توفيقنا لما فيه رضاه، أن يبلغ كلاً منا بفضله سؤله ومناه»[٢].

سارت جريدة **ثمرات الفنون** على الخطة الوطنية التي كان صاحبها يتميز بها ولاقت مكانة سامية ورواجا لدى المسلمين الذين اعتبروها لسان حالهم لما كانت تنشره من أخبار عن مختلف البلاد الإسلامية.

ولقد بقيت الجريدة لسان حال المسلمين مدة خمسة وثلاثين عاماً، يحاول القباني من خلالها جمع كلمة المسلمين، ودعوتهم إلى طاعة أمير المؤمنين والالتفاف حول عرش الخليفة.

كما اتخذ القباني من الجريدة منبراً للدعوة إلى مساعدة المهاجرين والمنكوبين في الحرب، ففي هجرة أهالي الروملي من بلادهم إثر الهجوم الروسي، نجد القباني يدعو لمساعدتهم بكل شيء يمكن سد احتياجهم فيقول:

«.. ولما شاهدنا ما ذكر في جرائد الآستانة من أحوال المهاجرين.. التزمنا أن ندعو أهل الخير، ونحرك حاسات الشفقة والانسانية من نوع الانسانية ليمدوا يد الاسعاف لتخفيف أوجاع أبناء نوعهم ولا يلزم أن تستحقر القليل فإنه من الكثير كثير..

ثم يتابع عارضاً استعداد الجريدة تقبل الاحسانات فيقول:

.. فإني مستعد لأقوم بهذه الخدمة واستقبل إحسان المحسنين في إدارة جريدة **ثمرات الفنون**[٣].

وكان يقوم بفتح الاكتتابات العديدة للمشاريع الخيرية الانسانية والمشاريع الاقتصادية كما قام مدة طويلة بالدعوة لتنفيذ مشروع السكة الحجازية، والذي أمر به السلطان عبد الحميد الثاني في مطلع القرن العشرين.

---

(١) طرازي، المصدر السابق، ص ٢٥.

(٢) **ثمرات الفنون**، العدد الأول، (١٤ ربيع الأول ١٢٩٢ / ٢٠ نيسان ١٨٧٥) ث ١.

(٣) **ثمرات الفنون** عدد ١٤٤ (٢٧ محرم ١٢٩٥ / ٣١ ك ٢ ١٩٧٨ م/ ص ١

واتجه خطة الدعوة للاتحاد العثماني فكان يقوم بنشر المقالات التي تحث على تدعيم هذا الاتحاد وخدمة مصالح الدولة العثمانية.

ويُذكر أن القباني قد أنشأ في بيروت «الجامعة العثمانية» التي قامت على أساس الوفاق العثماني العربي[1]. وفي ذلك يقول محمد جميل بيهم:

«تألفت في حواضر البلاد العربية مثل هذه الجمعيات، منها «الجامعة العثمانية في بيروت برئاسة عبد القادر القباني، وكنت على صغر سني عضواً فيها»[2]. ولكن المصادر لم تذكر شيئا من أعمال تلك «الجامعة». وكان القباني من مؤيدي تعميم اللغة العثمانية في البلاد، لأن من شأنها جمع الوحدة القومية وتوحيد التربية على المبادى العثمانية[3].

وبعد مرور خمس وعشرين سنة على إصدار **ثمرات الفنون**، احتفل القباني بهذه المناسبة في منزله، وكان الاحتفال على ثلاث ليال أيام الجمعة والسبت والأحد، حيث دعا إليها في الليلة الأولى نخبة من أولي العلم، وحملة الكتاب العزيز، وأولي الوجاهة والفضل لحضور الختم الشريف والدعاء للسلطان، وفي الليلة الثانية دعا العلماء والرؤساء الروحين والكبراء وأرباب الجرائد والقرّاء والأدباء، والصيدلين، وفريق من القرّاء وكثير من الأطباء. وفي الليلة الثالثة جعلها لقرّاء الجريدة وكانت على ليلتين لكثرة المدعوين[4]..

وقد تلا القباني في تلك المناسبة خطاباً شكر فيه الدولة والسلطان والوزراء ومسؤول الولاية رشيد أفندي، وكل من ساهم في مساعدة الجريدة لأداء خدمتها الوطنية، وكل من قدم لها يد المعونة مادياً وأدبياً.

وتكلم في الاحتفال أيضاً الشيخ أحمد حسن طبارة محرر الجريدة، مظهراً أهميتها ومراعاتها لحال القرّاء وتدرجها معهم حيث كانت مراقبة شروط الصحافة الصحيحة ومراعية قواعدها الثابتة.

وكذلك ألقى القس جسب الاميركاني مدير جريدة **النشرة الاسبوعية** خطابا مدح فيه همة القباني ومثابرته على أداء خدمته الوطنية رغم المتاعب والصعاب.

ولقد جمع هذا الاحتفال مختلف وجوه البلاد وطوائفها، فنذكر من الخطباء الحاج محمد أفندي الحبال، ونجيب طراد، وعبد الباسط الأنسي. ومن الذين ألقوا الشعر: أحمد عباس الأزهري، وعبد الرحمن قريطم، ومحمد الكستي، وسليم الجارودي والشيخ مصطفى نجا، والياس طراد وابراهيم الأسود صاحب جريدة لبنان؛ ومما قاله محمد الكستي باشكاتب المحكمة الشرعية قصيدة نجتزىء منها آخر بيتين:

---

(1) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، الدار الجامعية، بيروت ١٩٨٢ م ص ١١٨.
(2) محمد جميل بيهم، العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب، بيروت ١٩٥٧ م ص ١٥١.
(3) ثمرات الفنون عدد ١٠٠٥ (٢١ جمادى الأولى ١٣١٢ / ١٩ ت ٢ ١٨٩٤ م) ص ١.
(4) ثمرات الفنون عدد ١٢٣٠ (٥ محرم ١٣١٧ / ١٥ نوار ١٨٩٩) ص ١.

هذي فضائل عبد القادر اشتهرت وحلقت بعلاها السبعة الشهبا
وذي جريدته الغراء كما خدمت بالصدق دولتنا والدين والأدبا

أما سليم الجارودي أحد أعضاء المحكمة البدائية فقال:

لجريدة الثمرات أصدق لهجة في خدمة السلطان والأوطان
عنها سلوا الأيام تخبركم بما لمديرها بين الورى من شان

ولقد ظهرت الجريدة في تلك المناسبة بحلة بهية طالعت بها القرّاء وافتتحها الشيخ القباني بأبيات شعرية قال فيها:

إنني أرفع رايات الثنا ولها الشكر بنود تخفقُ
الذي وفقني في خدمتي ربع قرن ذرّ منه الأفق
ثم إني أرفع الشكر إلى ملك العصر وفيه أصدق
ثم من آزرني في خدمتي عنه إن أسكت فقلبي ينطق

ولقد بقيت الجريدة محافظة على النهج الذي ارتضاه الشيخ القباني حتى آخر سنواتها.

ثالثاً: القباني وجمعية المقاصد

كانت **ثمرات الفنون** برئاسة الشيخ القباني أول من حمل لواء الدعوة لافتتاح المدارس لأبناء المسلمين وبناتهم في بيروت. فلقد عنيت عناية خاصة بالمسائل التربوية. وكان القباني يحث على تأليف جمعية تعنى بشؤون الطائفة الإسلامية أسوة بغيرها. فجاء في **ثمرات الفنون**:

«قلت قد حصلت جميع الطوائف في بيروت إلا طائفتنا بمساعي أولي الخير والحمية والغيرة من أبناء طوائفهم على مدارس ذات نفع عام وفوائد كثيرة. فنتأمل من أولي الحمية والغيرة من أبناء طائفتنا المسلمين أن يرفعوا عنا حمل العار بتأسيس مدرسة نظير احدى تلك المدارس يدرس بها أنواع اللغات والفنون من العلوم النافعة بحيث يكون ذلك محكم الترتيب منتظم الفوائد...»[1]

وفي مكان آخر:

«لم تبق طائفة في بيروت حتى أنشأت مدرسة أو أثنين مكملة نجحت بها أبناؤها بمساعيها واجتهادها إلا طائفتنا فإن كثيراً من أولادنا يلعبون في الطرقات وطوفون في الشوارع يتعلمون قلة الأدب لعدم وجود مدرسة لنا يأوون ويمتنعون بها من مزاولة أسباب الشقاء»[2].

---

(١) **ثمرات الفنون** عدد ١٠١ (١٥ ربيع الأول ١٢٩٤ هـ / ٢٩ اذار ١٨٧٧ م) ص ٣.
(٢) **ثمرات الفنون** ، عدد ١٠٧ (٢٧ ربيع الثاني ١٢٩٤ / ١١ ايار ١٨٧٧ م) ص ٤.

. ومن الأسباب الداعية لتأليف الجمعية ما جاء في الفجر الصادق[1] بأن الطوائف المختلفة أخذت تؤلف جمعيات خيرية، وتفتح المدارس لأبنائها جاعلة رأس مالها مساعدات أولي البر والإحسان من طوائفها، ومساعدات الأجانب المالية، واعتنت بالأماكن المناسبة لتدريس أبنائها، فاستحضرت المعلمين المختصين لتعليم اللغات الأجنبية، واهتمت أيضاً بالعلوم المفيدة كالطب والجراحة حتى نبغ منهم العديد، فعملوا على نشر المطابع والجرائد. أما الطائفة الإسلامية فقد غفلت مدة طويلة عن هذا التقدم العلمي، فيما كانت أحوال مدارسها سيئة وأماكن التدريس فيها تسيء إلى صحة الأولاد. أما المعلمون فكانوا من المشايخ والعميان. وكان الاطباء من الحلاقين والحجامين. وهذا ما دفع أبناء المسلمين لترك هذه المدارس والانجذاب نحو مدارس ومكاتب الطوائف الأخرى[2].

هذا الأمر كاد يقضي على الوطن العزيز بالمرض العضال، لأن تأخر الطائفة الإسلامية الأكثر عدداً يؤثر في تقدم غيرها. لذلك لزم جعل الجمعيات الطائفية عمومية، ذات مقصد واحد، لينتفع مجموع جسم الوطن لأن تقوية عضو دون آخر يُنشيء التباين والتنافر[3].

إزاء هذه الأحوال وإزاء صرخات جريدة الثمرات وتشكي الكثير من المسلمين من سوء أحوال أولادهم، وإحساس الأمة الإسلامية بلزوم تأليف جمعيات لها تخدم مبادئها، تحركت همم الشباب المسلم مستمدين العون من الله ومسترشدين بنصائح أولي الفضل من أعيان الوطن، أمثال رائف باشا متصرف بيروت، وجمال الدين أفندي قاضي بيروت، اللذين ساعدا على إنجاح تلك الفكرة، فتأسست جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت سنة ١٢٩٦ هـ لخدمة المعارف والإنسانية[4]. وفي ذلك يروي لنا **الفجر الصادق**:

«وهكذا اتحدت الهمم الشبانية في بيروت على تأليف جمعية إسلامية خيرية فتم ذلك بالمساعدات الإلهية ليلة غرة شعبان المعظم لسنة خمس وتسعين ومائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل التحية حيث اجتمعنا نحن أعضاءها العجزة في منزل أحدنا السيد عبد القادر قباني وهناك تلا علينا أحدنا الشيخ سعيد الجندي الأحاديث الشريفة النبوية الآمرة بلزوم الاتحاد لخدمة الأمور الخيرية فتعاهدنا على ذلك ووضع كل منا ما ألهمه الله من النقود رأس مال لصندوقها وكتبنا لها تعليمات على شكل قانون لترتيب داخليتها واجتماعها ومذاكرتها وربط أمورها وأمضى كل منا بعد التعهد بانفاذه ومراعاته وقدمنا بذلك عريضة لجانب الحكومة السنية واستدعينا مساعداتها ليحيط علمها بعملنا الخيري. كما أننا بادرنا لطبع تلك

---

(١) وهو البيان السنوي لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت.

(٢) **الفجر الصادق**، أعمال السنة الأولى، طبع بمطبعة ثمرات الفنون سنة ١٢٩٧ هـ ص ٣.

(٣) **الفجر الصادق**، أعمال السنة الأولى، ص ٥.

(٤) **الكشاف**، المجلد الاول، السنة الاولى، العدد الثاني ١٩٢٧ م ، بقلم الشيخ عبد القادر القباني وفيها يذكر سنة ١٢٩٦ هـ لتأسيس جمعية المقاصد بينما في الفجر الصادق سنة ١٢٩٥ هـ ص ٨٧.

التعليمات وعرضها على الحكومة والأمة وبعد القبول والاتكال على الله سبحانه وتعالى ميسر الخير باشرنا بالأعمال.»[١]

إذاً في بدء الليل من غرة شعبان ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨ م كان منزل الشيخ القباني يضم نفرا من ا لشباب هم بحسب الحروف الهجائية:

أحمد دريان بشير البربير بديع اليافي حسن بيهم حسن الطرابلسي حسن محرم خضر الحص راغب عز الدين سعيد الجندي سعيد طرباه طه النصولي عبد الله الغزاوي عبد القادر سنو عبد اللطيف حمادة عبد الرحمن النعماني محمود خرما محمد ديه محمود رمضان مصطفى شارو محمد الفاخوري محمد اللبابيدي مصباح محرم محمد أبو سليم المغربل هاشم الجمال[٢].

وكما يقول «يزبك» إن أفراد هذا الرعيل لم يكونوا متساوين ثقافة ووعياً ولكنهم تساووا إيماناً وإخلاصاً ومروءة وأول عمل قاموا به فور تأليفهم الجمعية في تلك الليلة انتخابهم عبد القادر القباني رئيساً لها وبشير البربير أميناً للصندوق ومصباح محرم كاتباً للأعمال[٣].

وأول عمل قام به أعضاء الجمعية تحت رئاسة القباني أن وجهوا اهتمامهم للإناث فافتحوا مدرسة لهن، واستحضروا لها المعلمات وجعلوا التعليم مجاناً، فاجتمع بها مائتا تلميذة. ثم بعد مدة يسيرة وبمساعدة الأهالي افتحوا مدرسة ثانية على نسق الأولى، فبلغ عدد التلميذات مئتين وخمسين. ثم بعد مساعدة الحكومة المحلية استطاعوا أن يفتحوا مدرسة للذكور، فاجتمع بها ما ينوف عن أربعمائة يتعلمون أنواع العلوم الابتدائية مجاناً[٤].

ثم أرسلت أولاداً من النبهاء إلى المدرسة الطبية في مصر ليتابعوا تعليمهم على نفقتها بموافقة الحكومة. وأعطي للجمعية بالاتفاق مع الحاكم الشرعي ومفتي البلدة بعض الأوقاف غير المضبوطة وصدر هذا الأمر من الولاية الجليلة[٥].

ولقد باشرت الجمعية بناء مدرستين في محلة رأس النبع، وقامت ببناء جامع في محلة الأشرفية، وأنشأت ثلاثة مخازن في أرض الشمطية، وعينت لجنة منها لمداواة المحتاجين والمرضى، والإنفاق عليهم. وساعدت بقدر إمكانها الفقراء ورتبت للبعض منهم مرتبات شهرية[٦].

---

(١) الفجر الصادق، أعمال السنة الأولى ص ٧.
(٢) الفجر الصادق، ص ٢٣.
(٣) يوسف ابراهيم يزبك، أوراق لبنانية، دار الرائد اللبناني، الحازمية، لبنان ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م. السنة الأولى، الجزء الأول سنة ١٩٥٥ ص ٥١.
(٤) الفجر الصادق، ص ٨.
(٥) الفجر الصادق، ص ٩.
(٦) الفجر الصادق، ص ٩.

وفي أثناء ولاية مدحت باشا لسورية، قدّم للجمعية خدمات جليلة منها ما يتعلق بفتح المدارس للبنين والبنات ومساعدة الفقير ومداواة المريض وتسفير الغريب ومعاونة نبهاء التلامذة بثمن كتبهم وملابسهم[1].

وجاء في الثمرات أن وفداً من أعضاء الجمعية تقدموا لمدحت باشا بمعروض يطلبون منه المساعدة للوصول إلى ما يمكّنهم من خدمة الوطن، وترقي المعارف فاستقبلهم ووعدهم بالمساعدة الفعالة لإصلاح التعليم في المدارس، وقام بهذه الخدمة فعلياً[2].

وبعد أ ن نُقل مدحت باشا إلى ولاية ازمير، وحوكم في حادثة خلع السلطان عبد العزيز، أخذ بعض المفسدين يدسون في الجمعية بأنها وإن تكن قد تشكلت تحت اسم خيري إلا أنها جمعية سياسية تناوىء الحكومة[3]. وذلك إثر المناشير العربية التي كانت تظهر منذ سنة ١٨٨٠ م على جدران مدينة بيروت ودمشق وغيرها، وهي تعبر عن الشعور الوطني وتشجب الفساد والظلم المتفشين في الحكم التركي، كما كانت تدعو هذه المناشير لإثارة روح الوطنية عند العرب والثورة ضد الأتراك[4]. ولقد أُلصقت تهمة وضع المناشير بجمعية المقاصد لما ذكر في رسالة جون ديكسون وكيل القنصل العام الإنكليزي في بيروت التي أرسلها إلى القائم بأعمال السفارة البريطانية في استانبول يخبره بأمر المناشير يقول:

«. . إن الرأي السائد الآن بشأن مصدر هذه المناشير الثورية التي ظهرت أخيراً في أنحاء عديدة من سورية هو أنها صادرة عن جمعية المقاصد الخيرية. .»[5]

إلا أن حمدي باشا الذي خلف مدحت باشا في سورية عرف بعد البحث حقيقة الأمر، فساعد الجمعية لما علمه من سعيها الخيري وخدمتها للمعارف، فرأى قطعاً لدابر الوشايات أن يستبدل اسم الجمعية باسم «شعبة المعارف» سنة ١٨٨٢ م وأن يسند رياستها إلى قاضي بيروت جمال الدين. وفتحت آنذاك المدرسة السلطانية وكان أساتذتها من أجلّة رجال العلم. إلا أن الواشين عادوا لعملهم مرة ثانية، فرأى المتصرف حسماً للوشايات تعين أعضاء شعبة المعارف الذين كانوا عرضة للوشاية في وظائف جديدة خارج البلدة. ومن بينهم القباني الذي كُلف لقائمقامية صور، لكنه اعتذر واستقال من عضوية الشعبة[6].

وفي سنة ١٩٠٩ م أيام رئاسة سليم علي سلام للجمعية اختار الأخير اثني عشر عضواً للجمعية، منهم

---

(١) **الكشاف**، المجلد الأول، السنة الأولى، العدد الثاني، بقلم «الشيخ عبد القادر القباني»، ص ٨٨.
(٢) **ثمرات الفنون**، عدد ٢٢٢ (٨ ربيع الثاني ١٢٩٦ هـ / ٣١ اذار ١٨٧٩ م) ص ١.
(٣) **الكشاف**، المصدر نفسه، ص ٨٩.
(٤) زين نور الدين، **نشوء القومية العربية**، ص ٦١.
(٥) المصدر نفسه، ص ٦٢.
(٦) **الكشاف**، المصدر نفسه، ص ٨٩.

عبد القادر القباني. وأول عمل قاموا به أن نظموا قانونا للجمعية، وقدّموه للولاية وطالبوا بالاعتراف بها رسمياً وانفكاكها عن الحكومة. فاعترف بها وأعطي الأمر لنقل الأملاك المقيدة باسم شعبة المعارف لاسم جمعية المقاصد ثم عاد تنظيم أمر المدارس(١).

وفي سنة ١٩١٤ م أيام الحرب العالمية أعادتها الحكومة إلى المجلس العمومي. وبعد انتهاء الحرب قامت الطائفة بأجمعها تطالب الحكومة المحتلة باسترجاعها، فأرجعتها للطائفة كما أرجعت جميع أملاكها، وجبانتين الخارجة والغرباء(٢)، اللتين استملكهما من الأتراك بزمن الحرب، وعليه أعادت الجمعية تشكيلها(٣).

ولقد تشكلت جمعيات خيرية كثيرة على غرار جمعية المقاصد فلقد ألف عزتلو عبد الله أفندي الأدلبي جمعية في صيدا ومن ثم تألفت جمعية لإسعاف عسكر الرديف في دمشق تحت رياسة أمين الجندي، كما تألفت جمعيات في طرابلس وحماه وحمص(٤).

رابعاً: أعمال القباني العامة

١) في جمعية المقاصد ولجانها

ترأس القباني جمعية المقاصد لمدة سنة واحدة ثم استعفى من الرئاسة ليكون عضواً مشاركاً في جلساتها، وعاملاً فعالاً في نشاطاتها المتنوعة فجاء في محضر الجمعية ما يلي:

«تقرر برأي ثلاثة عشر عضواً أن يكون أحدنا محرم بك رئيسا لهذه الجمعية عوضاً عن عبد القادر أفندي قباني الذي هو من أركان مؤسسي هذه الجمعية والخادم لها بكمال الصدق والاستقامة وفي بيته كان اجتماعها الأول فله منا جزيل الثناء على خدمه لهذه الجمعية وله منا مزيد الاحترام وفقه الله آمين»(٥).

وتعيّن عضواً في لجنة الأمور المالية التي هدفت للنظر في الإعانات الشهرية الدائمة وما يتعلق بأمور جبايتها وتكثيرها وضبط حالتها وحفظها من الخلل(٦). وانتخب عضوا للجنة العلمية في مدارس الجمعية(٧)، وكان يكلف مرات عديدة بطبع الكتب في مطبعته، وبما أن الجمعية كانت تقدم الكتب مجانا

---

(١) حسان حلاق، مذكرات سليم علي سلام، ص ١٢١ - ١٢٢.

(٢) مقبرة الخارجة تقع قرب منطقة الصيفي وسوق الخضار الذي توقف العمل فيه عام ١٩٨٥ م، وكذلك كانت مقبرة الغرباء، قد أقيمت بالقرب من مقبرة الخارجة (حسان حلاق، **التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية في القرن التاسع عشر**، الدار الجامعية، بيروت ١٤٠٧ - ١٩٨٧، ص ٢٧٧.

(٣) حلاق، المصدر نفسه، ص ١٢٤.

(٤) جهينة الأيوبي، المصدر نفسه، ص ٣٣.

(٥) محاضر جلسات المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، جلسة الجماعة ٢٨ شعبان ١٢٩٦ هـ البند الرابع.

(٦) جلسة الاربعاء ١٤ ذي القعدة ١٢٩٦ هـ تحت رياسة محرم بك البند السابع.

(٧) جلسة الجمعة ٤ رجب ١٢٩٧ هـ تحت رياسة محرم بك البند الخامس.

للتلاميذ بغية تشجيعهم على العلم، فقد أنشأت مكتبة خاصة لها وخصصت لجنة لجمع كتب معتبرة مجاناً للمكتبة كان القباني من أعضائها[١]. كثيرا ما كان يتبرع بتقديم الكتب مجانا من حسابه الخاص:

«إن مدير المكتبة أحدنا محمود أفندي طلب تسليم خمسة عشر كتاباً من «كشف الأرب عن سر الأدب» إلى لجنة مدارس الاناث لتوزع على التلميذات في المدرسة الأولى مجاناً فتبرع أحدنا عبد القادر أفندي القباني بإعطاء المقدار المذكور من الكتب المذكورة لتوزع على الصورة المشروحة»[٢]

وعُين عضواً في لجنة المدرسة الوطنية كما جاء في محاضر الجمعية:

«قد تقرر تعيين كل من أحدنا عبد القادر أفندي القباني والشيخ أحمد أفندي عباس وحسن أفندي بيهم وأحمد أفندي دريان وعبد القادر أفندي سنو ومحمود أفندي رمضان لجنة للمدرسة الوطنية التي قبل الطلب المتعلق بافتاحها بشرط ملاحظة الظروف الاستقبالية، ومن وظائفها أولاً عمل تعديل معارفها الابتدائية، والسنوية، ثانيا الاجتهاد واتخاذ الوسائل الآيلة لأخذ تعهدات على تلامذه يبلغ عددها من الخمسين إلى الستين بالاقل»[٣].

ثم تعين بعدها رئيساً للجنة المدرسة بناء على طلب اللجنة:

«بناء على طلب لجنة المدرسة الوطنية فقد تقرر أن يكون رئيسها أحدنا عبد القادر أفندي القباني»[٤].

وحين سعت المقاصد لترميم ماء زبيدة، عينت لجنة لذلك الغرض كان القباني عضواً مشاركاً لجمع الإحسانات، وكان على هذه اللجنة أن تقدم ما يجمعه الصندوق ليقدم بوساطتها إلى لجنة الماء المذكور المقامة في مكة المشرفة[٥].

وقام عبد القادر القباني بالإشراف على بنيان المدرسة التي سميت بالمدرسة السلطانية والتي لا تزال قائمة إلى الآن معروفة بكلية البنات، وتولى إدارتها بنفسه حيث كان لها الأثر الكبير مع بقية مدارس الجمعية في النهضة العلمية الوطنية[٦].

ولقد أنشأت بعد تحول الجمعية إلى شعبة المعارف التابعة للدولة العثمانية فيقول القباني في **الكشاف**:

«ولقد زاد سعي الشعبة وفتحت المدرسة السلطانية بمساعدة حمدي باشا ولو قدر الله وسلمت من

---

(١) جلسة الجمعة ٢٥ رمضان ١٢٩٦ هـ تحت رياسة محرم بك البند الثاني.
(٢) جلسة الاربعاء ١٤ ذي القعدة ١٢٩٦ هـ رياسة محرم بك البند الرابع.
(٣) جلسة الاربعاء ١٤ ذي القعدة ١٢٩٦ هـ رياسة محرم بك البند السابع.
(٤) جلسة الجمعة ١٢٩٦ تحت رياسة محرم بك البند الثامن.
(٥) جلسة الاربعاء ٤ رمضان ١٢٩٧ هـ تحت رياسة نائب الرئيس محمود أفندي، البند التاسع.
(٦) عمر عبد السلام تدمري، **موسوعة علماء المسلمين في لبنان**، المجلد الثالث الجزء الخامس، تحت الطبع، ص ١١٣.

مكائد أولئك القوم لكانت المدرسة السلطانية اليوم من أجل بيوت العلم وقامت بأجلّ خدمة للوطن فقد أغاظ هؤلاء نجاح المدرسة، وإقبال الطلاب عليها فعادوا للوشاية..»[1].

أما نظام مدارس الجمعية فلم يكن خارجاً عن نظام المعارف العثماني ففي محضر إحدى الجلسات جاء ما يلي:

«.. وإن تكن جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية لا ترى بدأ من أن تجعل جميع مدارسها المختصة بالذكور والإناث خاضعة لنظام المعارف العثماني إلا أنها لا ترى بدا أيضاً من أن تجعل لها نظاماً خصوصياً يتضمن إدارة داخليتها فيما يتعلق بالمواد التي لم يبحث عنها نظام المعارف المذكور»[2].

وفي أثناء خدمته للمقاصد أصدر كتاب الهجاء لتعليم الأطفال سنة ١٢٩٦ هـ ولقد خضع هذا الكتاب للجنة من الجمعية معينة لفحصه وتدقيقه، وبعد أن رفض القباني تنقيح الكتاب[3] من قبل اللجنة عاد فقبل وجاء الخبر:

«حيث الآن ورد الجواب من أحدنا عبد القادر القباني من دمشق الشام.. وبه يصرح أنه جعل كتابه تحت مناظرة الجمعية وأمر بتسليمه لرئيسها فقد قررنا تسليم الكتاب المذكور للجنة المعينة لأجل فحصه وتدقيقه وعرضه على الجمعية حسب القرار السابق بهذا الخصوص»[4].

ولقد صدر من الكتاب مئة نسخة إلى لجنة المدارس لتوزع على مدارس الإناث مناصفة[5].

وفي الكتاب فصول تحث على فضيلتي العلم والأخلاق، كما اهتم بمسألة تعليم البنات ومدى الفائدة التربوية والأخلاقية التي تنتج عنه. ومن هنا نلاحظ أنه كان يسير على الخط نفسه الذي رسمته الجمعية لنفسها حيث حرصت في ابتداء أمرها على إنشاء مدرسة للبنات قبل الذكور.

فهو يعتبر أن المرأة شريكة الرجل في عمران الكون ومن المؤكد أن التقدم والعمران لا يكونان بدون العلم. لذلك وجب تعليم المرأة لتشارك زوجها في هذا التقدم وتحسن تربية أبنائها ليكونوا جديرين بخدمة الوطن[6].

كما اعتمد القباني على بث روح التربية الوطنية التي تقوم على نبذ الأغراض الذاتية، والاهتمام بالمصالح العمومية خدمة للوطن وترقيه بالأمانة والصدقة[7].

---

(١) الكشاف، المصدر نفسه، ص ٨٩.

(٢) جلسة الجمعة ٢٥ رمضان ١٢٩٦ هـ تحت رياسة محرم بك البند الرابع.

(٣) جلسة الاربعاء ٨ شوال ١٢٩٧ هـ البند الثالث.

(٤) جلسة الأربعاء ١٥ شوال ١٢٩٦ هـ البند الثاني.

(٥) جلسة الجمعة ١٤ جمادى الأولى ١٢٩٧ هـ البند الثالث. ولقد فقد الكتاب فيما بعد لكننا وجدنا نسخة واحدة لدى حفيدته السيدة أسمى قباني.

(٦) كتاب الهجاء، طبع في مطبعة جمعية الفنون سنة ١٢٩٦ هـ ص ٢٥.

(٧) الهجاء ص ٦٢.

٢) الوظائف بالدولة

تقلّب السيد عبد القادر قباني في وظائف عدة في حياته فصار سنة ١٨٨٠ م عضواً في مجلس إدارة لواء بيروت[(١)].

ثم تعيّن سنة ١٨٨١ م عضوا في المحكمة الابتدائية، وفي دائرة الجزاء. فقد تم انتخاب أعضاء مجلس الإدارة والمحكمة الابتدائية وورد الأمر لمن وقع عليهم الاختيار من لدن الولاية الجليلة. ونشر الخبر في جريدة ثمرات الفنون[(٢)].

وحين تشكّلت ولاية بيروت سنة ١٨٨٨ م تعيّن عضواً في محكمة الاستئناف فخدم هذه الوظيفة مدة عشرة أعوام[(٣)].

ثم أسندت إليه رئاسة بلدية بيروت سنة ١٨٩٨ م[(٤)]، فقام بإصلاحات عديدة لمدينة بيروت، من شق طرقات رئيسة ووصلها بأهم شوارع المدينة مع توسيع الموجود منها، رغم الديون الكثيرة فعمل على وفائها وعلى زيادة الواردات، الأمر الذي استحسن في نفوس الناس[(٥)]. وفي مدة رئاسته لبلدية بيروت زار الأمبراطور غليوم الثاني ملك المانيا وزوجته مدينة بيروت، فجرى لهما استقبال حافل، ولقد وصف ابراهيم الأسود هذا الاحتفال وصفا دقيقاً وذكر أن القباني كان من أعضاء لجنة الاستقبال التي خصصت لهذه المناسبة. فلقد استقبل القباني الأمبراطور وزوجته في الحرش حيث قدّمت لهما المرطبات، وطافا بالحديقة متنزهين بعد أن كانت قد زينت بيروت بأفخر أنواع الزينة، ما دعا الامبراطور ليطلق عليها لقب «درة في التاج العثماني»[(٦)]. كما أثنى على عمل القباني وخدمته لمدينة بيروت.

«أما الزينة التي اهتمت بها البلدية، فكانت في غاية الإتقان وكانت موضوعاً للثناء على حضرة الفاضل قباني زاده سعادتلو عبد القادر أفندي رئيس البلدية...»[(٧)].

---

(١) ورد الخبر في الثمرات عدد ٢٣٢ (٢٠ جمادى الثاني ١٢٩٨ هـ / ٩ حزيران ١٨٧٩) «بناء على الاختلاف الحاصل في صور بخصوص الانتخاب تعين جناب رفعتلو السيد عبد القادر افندي قباني أحد أعضاء مجلس إدارة اللواء وصاحب امتياز ثمرات الفنون لتوفيق ذلك على نظام الانتخاب.

(٢) ثمرات الفنون ، عدد ٣٥٣ / ٣٠ ذي القعدة ١٢٩٨ / ٢٤ ت ١ ١٨٨١) ص ١.

(٣) طرازي، المصدر نفسه، ص ١٠٠.

(٤) ولقد صدر بذلك معروض من أهالي بيروت إلى جانب ملجأ ولاية بيروت الجليلة وفيه شكر على تعيين عبد القادر قباني رئيساً للبلدية بالنظر لحسن أحواله (راجع الملحق رقم ٤).

(٥) عمر تدمري، موسوعة علماء المسلمين في لبنان، ص ١١٣.

(٦) ابراهيم الأسود، الرحلة الامبراطورية في الممالك العثمانية، طبع في المطبعة العثمانية في بعبدا، لبنان، سنة ١٨٩٨ م ص ١٤٠.

(٧) ابراهيم الأسود، المصدر نفسه، ، ص ١٤٨.

ولقد أهدى جلالته وسام النسر الأحمر من الطبقة الثالثة إلى القباني تقديرا لخدماته[1]. وكذلك حبته الدولة المرتبة الأولى من الصنف الثاني فجاء في **ثمرات الفنون** ما يلي:

«نشكر بمزيد الإخلاص المكارم السلطانية والعواطف الشاهانية فقد شملت صاحب هذه الجريدة ورئيس تحريرها عبد القادر قباني رئيس بلدية بيروت فحبته الرتبة الأولى من الصنف الثاني إحساناً وإنعاماً..»[2]

وفي عهد رئاسته أيضاً وافى العيد الفضي لمرور خمس وعشرين عاما على ارتقاء السلطان عبد الحميد الثاني على الأريكة فسعى مع أعيان المدينة في تشييد السبيل الواقع في ساحة السور تذكاراً للعيد المشار إليه[3].

وأنشأ من أموال البلدية برج الساعة الكائنة بين الثكنة الشاهانية (السراي الحكومي) والمستشفى العسكري (قصر العدل). وهو كما يذكر طرازي بديع الصناعة مرسوم على الطراز العربي، بقلم المهندس يوسف أفتيموس[4].

ورقمت تحت الساعة التي في أعلاه كتابة بالعربية وترجمتها بالتركية بما يشير إلى المناسبة التي دعت إلى بنائه[5].

وفي سنة ١٩٠٢ م تعيّن القباني مديراً لمعارف بيروت بالنظر إلى خدماته الجليلة في نشر العلوم والمعارف وجاء الخبر في جريدة **الاقبال**[6]:

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢١٢.

(٢) **ثمرات الفنون**، العدد ١٢٠٧ (٨ رجب ١٣١٦ / ٢١ ت ٢ ١٨٩٨ م) ص ١.

(٣) طرازي، المصدر نفسه، ص ١٠٠، ويذكر الدكتور حسان حلاق أن هذا السبيل عرف باسم السبيل الحميدي في المنطقة المعروفة «بالسور» بالقرب من بوابة يعقوب، وعرف بعد ذلك باسم «الهول» وساحة رياض الصلح، ولقد نقش عليه كتابة باللغتين العربية والتركية بمعنى واحد نصها هو التالي:
«أنشئ» هذا السبيل الحميدي عام ثلاثماية وثمانية عشر بعد الألف من الهجرة النبوية تذكارا وتعظيماً لمضي خمس وعشرين سنة من جلوس حضرة سيدنا ومولانا السلطان ابن السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني على عرش الخلافة الإسلامية الكبرى وأريكة السلطنة العثمانية العظمى وصدقة جارية تنضم لما لجلالته من عظيم الخيرات وتعميم المبرات».
أما مهندس السبيل فكان يوسف أفندي أفتيموس مهندس بلدية بيروت والذي كلفته البلدية بإنجازه وقام بتركيبه المعلم اليان أبو السلو، وقام بنقشه المعلم يوسف العنيد والأخيران من أشهر صنّاع الرخام.
ولقد اتخذت بلدية بيروت قرارا عام ١٩٥٧ م بتفكيكه حجراً حجراً ونقله إلى حديقة الصنائع المشهورة قرب سراي الحكومة اليوم وأعيد تركيبه كما كان. وأقامت مكانه تمثالا لرئيس الوزراء رياض الصلح فأصبحت تعرف باسم ساحة رياض الصلح.
الدكتور حسان حلاق، **بيروت المحروسة في العهد العثماني**، بيروت، الدار الجامعية ١٤٠٧ - ١٩٨٧، ص ١١٤ - ١١٧.

(٤) طرازي، المصدر نفسه، ص ١٠٠.
ويذكر حفيده السيد عبد القادر قباني (إثر مقابلة معه) أن بسمارك أهداه ساعة العدلية، كما قلّده وسام الصليب المعكوف البرونزي وكان بسمارك قد حلّ ضيفاً في منطقة بسور جادة الافرنسيين.

(٥) طه الولي، **مجلة المقاصد** عدد ٢٥ سنة ١٩٨٤ م، ص ٥٦.

(٦) جريدة **الاقبال** لصاحبها عبد الباسط الأنسي أنشأها سنة ١٩٠٢ في بيروت.

«سنحت العواطف السلطانية بتعيين حضرة سليل المجد الكاتب التحرير صاحب الغيرة الملية، والحمية الوطنية قباني زاده سعادتلو عبد القادر أفندي مديراً لمعارف ولايتنا الجليلة، فكان لهذا التعين رنة سرور عند الجميع لما له من المكانة العلمية السامية»[1].

وفي تلك الفترة قدّم لوائح تنظيمية لتطوير التعليم الرسمي والأهلي في بيروت، لكنها لم تحظ بالاهتمام المطلوب ولقد ذكر القباني بنفسه تقديمه هذه اللوائح كما جاء في **ثمرات الفنون**:

«وفي نظارة المعارف توجد اللوائح المتقدمة من هذا العاجز بأمور المعارف الموضحة فيه المقتضيات اللازمة»[2].

وفي زمن والي بيروت خليل باشا كان القباني عضواً في اللجنة الخاصة التي تألفت لجمع التبرعات لإنشاء مكتب «الصنائع»، ولما كمل انشاؤه افتتح باحتفال رسمي سنة ١٩٠٦ باسم «حميدية تجارت وصنايع مكتبي»[3]. وكان ممتداً من جنينة الصنائع مع كلية الحقوق، فالاذاعة الحالية فمركز رئاسة الحكومة، فالبنك المركزي، مع الثكنات العسكرية والأمن العام بما فيها شارع البنك المركزي. وفيها مسجد لكنه أزيل من قبل الدولة [4]. ولقد ورد في **ثمرات الفنون** خبر انشاء هذا المكتب مع صورة له في أعلى صفحة الجريدة:

«نضع اليوم نصب أعين القرّاء صورة قسم من هذا المكتب الفخيم المعدود من جملة حسنات حضرة مولانا أمير المؤمنين الخليفة الأعظم على مدينة العلم «بيروت» وهو مشيد في موقع الرمل في بقعة فسيحة جداً تزيد مساحتها على مائتي ألف ذراع مربع أفرز منها ٣٥٨٤٢ ذراعاً لحديقة أنشئت أمامه... وله جامع شريف»[5].

وبعد أن بقي في مديرية المعارف ما يزيد على الست سنوات، ترك الوظيفة في آب سنة ١٩٠٨ م، بناء لأمر وزارة المعارف في الحكومة الاتحادية[6]. ولقد أورد القباني مقالاً في جريدته بعنوان «الحق أحق أن يقال ويتبع» يرد فيه التهم التي نسبت إليه وأدّت إلى عزله وهي أنه غير مأذون من مكتب عال ولا من المنسوبين إلى خدمة المعارف فيقول:

«وإني لم أدّع أني مأذون من مكتب عال، بيد أن هذه المكاتب لم يكن لها أثر في الولايات إلا بعد أن قامت **ثمرات الفنون** تندب حالة التعليم والتربية في الولايات»[7].

---

(١) جريدة **الاقبال** (١٦ محرم ١٣٢٠ / ٢٤ نيسان ١٩٠٢).

(٢) **ثمرات الفنون**، العدد ١٦٨٠ (١٠ شعبان ٣٢٦ (١٤ ايلول ١٩٠٨) م ص ٥

(٣) عمر تدمرى، المصدر نفسه، ص ١١٤.

(٤) مقابلة مع حفيد القباني السيد عبد القادر قباني.

(٥) **ثمرات الفنون**، العدد ١٦٤٧ (٢٣ ذي الحجة ١٣٢٥ هـ / ٧ ك ٢ ١٩٠٨ م) ص ٤.

(٦) عمر تدمرى، المصدر نفسه، ص ١١٤.

(٧) **ثمرات الفنون**، العدد ١٦٧٨ (٤ شعبان ١٣٢٦ هـ / ٣١ آب ١٩٠٨ م) ص ٢.

ثم يتابع:

«وأقسم بفالق الحب والنوى، وبحقوق الوطن المقدسة التي تحملت لأجلها كل الجهد، أني لو عزلت قبل زمن الحرية والقانون الأساس لما خطر في بالي غير الشكر والامتنان. إلا أن حصوله في هذه الأيام أيام اشراق نور القانون الأساسي والحرية حملني على تقديم الاستدعاء تلغرافيا إلى المقامات العالية طلبا للعدالة ودفعا للحيف والمغدورية ولم أزل أترقب النتيجة».

وفي العدد ١٦٨٠ من **ثمرات الفنون** يرد القباني على ما جاء في جريدة (غزته) التي تصدر في الآستانة، حيث ذكرت بأن المكتب الإعدادي في بيروت أصبح دارا للتلويث، فيجيب القباني بأن قيود المكتب تشهد بما كان عليه قبل إدارته وفي أي وقت تحسنت أحواله، ورغب فيه أشراف الناس وزاد عليه تلامذته وفي أي وقت انصرفت عنه رغبتهم، ثم يذكر بأنه قدم لوائح لإدارة المعارف للاستفادة من التعليم في المكاتب ثم يختم كلامه بقوله:

«ونؤمل من إدارة تحرير (عزته) إذا كان قصدها خدمة مصلحة الوطن وإعلاء شأنه أن تسعى للاطلاع على اللوائح والأوراق المذكورة وتفحصها فحص من يبحث عن الحقيقة»[١].

ثم أصدرت الوزارة الاتحادية فيما بعد قراراً بجواز استخدامه وإعطائه الراتب توافقا مع قانون التنسيق الذي نشر في زمن الحكومة المذكورة»[٢].

ومنذ ذلك الحين لم يعد الشيخ القباني يتمتع بالحظوة لدى السلطات العثمانية الجديدة. عندئذ تحول إلى التجارة، وذلك بعد إيقافه نشر جريدة ثمرات الفنون سنة ١٩٠٨م. فقام بتأليف شركة مع بعض المواطنين من أهالي بيروت والشام، وبموجب ترخيص رسمي، بهدف القيام بأعمال عمرانية، وخاصة استخراج البترول. وبدأ الحفر والتنقيب بجوار الخط الحديدي تحت إشراف المهندس الألماني شوماخر، وكانت الدلائل تبشر بالوصول إلى البترول، خاصة بعد استجلاب الآلات والمعدات اللازمة. وقد ظهرت الأتربة المستخرجة أنها مشبعة بزيت النفط. لكن نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ م قضى على المشروع الذي كان في الأساس هدفا للمعارضة لأسباب سياسية واقتصادية[٣].

ويعتبر القباني أول عربي مسلم فكّر في استخراج البترول.

خامساً: القباني أثناء الحرب العالمية الأولى

لم تذكر المصادر شيئاً عن مواقف عبد القادر قباني أثناء الحرب العالمية. فلقد دخلت تركيا الحرب سنة ١٩١٤ م ، وفي نيسان ١٩١٦ ثار الشريف حسين ضد الأتراك بتشجيع من البريطانيين، وأعلن استقلال

---

(١) ثمرات الفنون العدد ١٦٨٠ (١٠ شعبان ١٣٢٦ هـ / ١٤ ايلول ١٩٠٨ م) ص ٥

(٢) عمر تدمري، المصدر نفسه، ص ١١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٤.

العرب عن الحكم العثماني كما أعلن نفسه ملكا على البلاد العربية. والمعروف عن السيد عبد القادر قباني تأييده للدولة العثمانية والوحدة العثمانية، ويظهر بأنه لم يكن مع هذه الثورة آنذاك، لأننا نجد رأيه واضحاً في رسالة وجهها إلى السيدة عنبرة سلام في حدود سنة ١٩٢٨م[١]، ينتقد فيها زعماء العرب الذين قاموا بهذه الدعوة فيقول:

«وعلى ذكر القضية العربية أصرح بفكري بأن الزعماء الذين تقدموا لمعالجة هذه القضية كانوا على غير استعداد لها ولا سابق خبرة في الأمور التي كانت السبب في تحوّل الأمر إلى غير العرب وإهمال مواعظ التاريخ التي يعول عليها الخير للعرب وأقول من جهة ثانية أنه كان بإمكان العرب لو تدبروا الأمر وأعدوا له عدته كما فعل الغير لتناولوه بحسن التدبير ومع الزمان بأنفسهم بأقل عناء دون أن يكون دخل لتسويلات الأجانب مثل ما جرى مع الملك حسين ومن القواعد الفقهية «من استعمل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه»[٢].

فهو لا يرفض العروبة، ولكنه يرفض سياسة قادتها الذين لم يحسنوا التدبير، ولا التوقيت، إضافة إلى اعتمادهم على الأجانب. والجميع يعلم خدع الاجانب للدول العربية، والتي آلت إلى تقسيم البلدان العربية ووضعها تحت الانتداب، ولقد كان القباني كثير التحذير في جريدته من الأجانب وحيلهم، خاصة الانكليز فيقول:

..«إن انكلترا لا تفتر طرفة عين عن ترويج مرامها بايقاد نار الفتن في أنحاء المعمورة لتشغل بذلك الدول عموما ودولتنا العلية خصوصاً عن مطالبتها بوفاء وعودها وإنجاز مواعيدها.

..«وقد عرفت الدولة البريطانية بالأنانية وحب الذات والأثرة وهي مع ذلك إذا رأت من خصمها قوة واقتدارا جنحت إلى السلم وأظهرت ضروباً من المحاولات وأنواعا من الاعتذارات وذلك مما يعجز عنه غيرها»[٣]

وفي مكان آخر،

..«تحببت إلينا الحكومة الانكليزية من أمد بعيد، وكانت تساعدنا بوقاية بعض الثغور كما أنها كانت السبب بحروبنا مع الدولة الروسية إلا أن تحببها ومساعدتها لنا لم يكونا إلا لمقاصد سياسية ومنافع مالية..»[٤].

---

(١) لم يذكر التاريخ في الرسالة لكن مقالات السيدة عنبرة في الكشاف كانت سنة ١٩٢٨ م.
(٢) الرسالة، ص ٥.
(٣) ثمرات الفنون عدد ١٠٩٩ (٥ جمادى لأولى ١٣٢٤ / ١٢ ت ١ ١٨٩٦ م)
(٤) ثمرات الفنون (٢٣ شوال ١٣١٣ هـ / ٦ نيسان ١٨٩٦ م).

سادساً: القباني فترة الانتداب الفرنسي

بعد انتهاء الحرب خسرت تركيا ووزعت البلدان التابعة لها على الدول الأوروبية المنتصرة فكان لبنان من نصيب فرنسا التي طبقت نظام الانتداب عليه، واستأثرت بالسلطة والإدارة، وأفرطت في تعيين الفرنسيين في شتى الدوائر، كما وضعت يدها على دخل الجمارك، وحجبته عن الخزانة الوطنية[١].

وخلال السنين الأولى من الانتداب الفرنسي، انتدبته الحكومة ليتولى مديرية الأوقاف الإسلامية في بيروت، فعني عناية خاصة بها، وأصلح عقارات الوقف الخيرية، وأقام عقارات جديدة لها، فازدادت وارداتها زيادة كبيرة. وبسعيه وجهده اعتبرت المدافن الإسلامية التي استعادت تشكيلها وتنظيمها في بيروت، الباشورة، والسمطية، والخارجي، والغرباء من أملاك جمعية المقاصد. وقد ترك المنصب بعد أن تولاه ما يقرب من الخمس سنوات، وذلك بسبب دائرة مراقبة الأوقاف في المفوضية الفرنسية العليا، التي ألغت مديريات الأوقاف في جميع البلاد المنتدبة، وأحدثت بدلاً عنها إدارة مختصرة حباً بالتوفير[٢].

وفاته:

طال العمر بالقباني وكان عمراً هنيئاً، وحافظ على صحة جيدة حتى قارب الثامنة والثمانين من دون أن يفقد ذاكرته، بل بقي في كامل وعيه. وبينما كان في بيت ابنه نجيب في بعلبك فأجأته الوفاة وهو يهم بالتوضؤ لصلاة الفجر، ونقل إلى بيروت ودفن في جبانة الباشورة سنة ١٩٣٥م[٣].

سابعاً: حياته الخاصة

أما حياته الشخصية فيذكر أنه تزوج مرات عدة في حياته، زوجته الأولى هي السيدة صفية السجعان التي أنجبت له مصطفى، وكان يعمل ضابطاً في الجيش التركي توفي في حياة والده. وبعد وفاةزوجته تزوج الأميرة عليا شهاب حفيدة الأمير بشير شهاب، التي أنجبت له من الذكور نجيب[٤] ونور الدين[٥]، وعدنان[٦]، ورشدي[٧]. ومن البنات سعدية[٨]، ولطفية[٩]، ورئيفة[١٠]. ثم تزوج عند كبر سنه السيدة

---

(١) كما ورد في الفصل السابق.

(٢) عمر تدمرى، المصدر نفسه، ص ١١٥.

(٣) مقابلة مع السيدة سامية قباني الكستي حفيدته لابنه مصطفى.

(٤) نجيب قباني، كان رئيس محكمة التميز ووزيرا للعدلية أيام أول وزارة شكلها الشيخ بشارة الخوري.

(٥) موظف في الجمارك.

(٦) توفي شاباً.

(٧) رشدي قباني محامياً ورئيس دائرة في الدوائر العقارية.

(٨) سعدية زوجة مصباح فتح الله.

(٩) لطفية زوجة محمود القباني.

(١٠)زوجة فؤاد شهاب.

غفران صباغ التي أنجبت عبد الرحمن. ومن زوجات الشيخ أيضاً السيدة فاطمة نصر تزوجها عند كبر سنه أيضاً. ولم تنجب له وبعد وفاته قررت البقاء مع عائلته وعاشت بينهم.

ولقد سكن عبد القادر القباني وعائلته في منطقة زقاق البلاط (خلف الاطفائية الحالية) في شارع سمي باسمه، لكن منزله أزيل وأقيم مكانه جسر باسم عبد القادر القباني.

ثامناً: صداقاته

أدرك الشيخ القباني جُلّة من العلماء الكبار الذين كانت لهم المكانة المرموقة في لبنان والعالم العربي أمثال الأزهري والجسر والشيخ محمد رشيد رضا ومحمد عبده وغيرهم ممن كان لهم الفضل والسعي في النهضة الإسلامية.

فكان القباني على علاقة صداقة مع الشيخ أحمد عباس الأزهري (١٨٥٣ هـ ١٩٢٧ م) فلما فتحت جمعية المقاصد الخيرية مدرستها السلطانية سنة ١٣٠٢ هـ دعته للتدريس فيها وتولي نظارة السلوك، وكان الشيخ أحمد عباس على استعداد لإنشاء المدرسة العثمانية، فكاشف بالأمر صديقه عبد القادر القباني، فوجد عنده من الشعور مثلما كان يجد هو في نفسه، حتى أن القباني ارتاحت نفسه إلى مشاركته في رأس المال، وهكذا تيسر له سنة ١٣١٣ هـ، فتح المدرسة التي سماها المدرسة العثمانية ثم تحولت إلى «الكلية الإسلامية»[١].

وكذلك ربطت القباني بالشيخ حسين الجسر (١٨٤٥ هـ - ١٩٠٩ م) مودة قوية، حيث كان من رجال العلم والمعرفة في عصره، وتتلمذ له القباني. وللشيخ الجسر بعض المقالات في الثمرات، وحين تأسست المدرسة السلطانية دعاه القباني في رسالة وجهها إليه لتولي إدارتها، وذلك بعد الاتفاق مع نائب أفندي، وفيها يطلب منه الحضور إلى بيروت لتولي هذه المهمة، لما في ذلك من خدمة للأمة، وحاجة المدرسة لأمثاله[٢].

وكان القباني على صلة بالوالي مدحت باشا (١٨٢٢ - ١٨٨٣ م) أبي الأحرار، وصاحب الدستور (١٨٧٦ م) وذلك أثناء ولايته على سورية ولبنان. ولقد قدّم مدحت باشا خدمات عظيمة للمسلمين، كما ساعد جمعية المقاصد في بيروت، وكان القباني دائم الاتصال به آنذاك، ومما يذكره في مجلة **الكشاف** من صفات مدحت باشا:

---

(١) **الكشاف**، المصدر نفسه، ص ٢٩٦، راجع الفصل الأول.

(٢) رسالة مرفقة من مجلة **المقاصد** بقلم خليل زين الدين عدد ٢٨/ ٢٩ أيلول ١٩٨٤.

«وكان مدحت باشا حافظاً للقرآن الكريم وقد ذهبت إلى مقره مبكراً صباح يوم جمعة فوجدته يتلو سورة الكهف وبعد إتمام التلاوة التفت إليّ قائلاً: إني مسلم حافظ لكتاب الله تعالى. ثم انقطع الحديث لحضور الزوار ولدى اقتراب وقت الصلاة ذهب إلى المسجد سعياً على الأقدام»[1].

مع الشيخ محمد عبده

اتصلت صداقة القباني بالشيخ محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) الذي جاء إلى بيروت عام ١٨٨٥م. وكان قد مضى على تأسيس الثمرات عشر سنوات تقريباً، فسارا معا في الخط نفسه لتحسين التربية بغية الوصول للإصلاح الحقيقي، وإنهاض المسلمين من كبوة الجهل الذي يعيشون فيه. فجاء الشيخ محمد عبده يدعم القباني في بيروت حيث جعلها مركزاً لتحركاته الإصلاحية. فكتب محمد عبده في الثمرات بعض المقالات في فلسفة التربية والمنطق، والفكر ونُشر له تفسير سورتي الفاتحة والعصر.

وساهم الشيخ محمد عبده عملياً في مجال التربية، فعلّم في المدرسة السلطانية التابعة لمدارس المقاصد، وأدخل بعض الإصلاحات لإحياء علوم اللغة والدين ووضعهما في طور جديد. وأصلح إدارة المدرسة وزاد في العلوم علم التوحيد ومعاملات الفقه، والتاريخ الإسلامي، فخلق في بيروت حركة علمية راقية[2].

كما وضع لائحتين في إصلاح التعليم الديني في مدارس المملكة العثمانية، إحداها إلى شيخ الإسلام في الاستانة، وفيها يعرض أن ضعف المسلمين سببه سوء العقيدة، والجهل بأصول الدين، وأن ذلك أضاع أخلاقهم وأفسدها، وأن العلاج هو إصلاح التعليم الديني. ورفع لائحة أخرى إلى والي بيروت تتضمن إصلاح سورية، ووصف سوء حالها وتقسم النزعات السياسية بانتشار المدارس الأجنبية. واقترح تعميم المدارس الوطنية وإصلاح برامج التعليم الديني والعناية بها[3].

وفي أواخر سنة ١٨٨٦ م جرى احتفال بمدرسة الحكمة، كان الشيخ محمد عبده من جملة المدعوين إليه، فحضر وكان برفقته الشيخ القباني كما يذكر شكيب أرسلان:

«.. وكان معه الشيخ عبد القادر القباني صاحب جريدة **ثمرات الفنون** وأحد أعيان بيروت المشار إليهم بالبنان وكان صديقاً للأستاذ الإمام... وكان يسكن في حي زقاق البلاط قريبا من منازل آل حمادة وآل قباني»[4]. وللقباني رسائل مع الشيخ محمد عبده ضاعت كلها[5].

---

(١) **الكشاف**، المصدر نفسه، ص ٩٠.

(٢) رشيد رضا، **تاريخ الاستاذ الامام**، الجزء الأول، المجلد الاول، مطبعة المنار، بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٤٤ م، ٣٩١.

(٣) أحمد أمين، **زعماء الإصلاح** دار النهار، بيروت، ص ٣٠٩.

(٤) **تاريخ الاستاذ الامام**، المجلد الاول، الجزء الاول، ص ٤٠٠.

(٥) مقابلة مع أهله.

مع الشيخ محمد رشيد رضا:

واتصلت صداقته بالإمام رشيد رضا (١٨٦٥ - ١٩٣٥) حيث كان القباني يقوم بزيارات دائمة إلى طرابلس، ولقد نشأ الإمام رضا وقد سبقته الدعامات التربوية التي ساهم فيها القباني بمدة طويلة، ورغم أنها لم تكن متينة في ذلك العهد إلا أن أسسها كانت قد وضعت. وبما أن الجو السياسي لم يكن يسمح له بممارسة نشاطه الإصلاحي، فقد قرر الإمام السفر إلى مصر لإنشاء صحيفة إصلاحية فيها، فدعاه القباني حين علم بالأمر إلى رياسة التحرير في جريدة الثمرات، فاعتذر الإمام عن عدم وجود حرية تمكنه من ذلك. فقال له القباني أترك الطعن في السلطان واكتب في الأخلاق والآداب ما تشاء، فلا تجد مانعاً ولا معارضاً. فقال رضا: أرأيت إذا بحثت في الكذب الذي هو شر الشرور على الإطلاق، وبينت أن أكبر أسباب نشره وانتشاره هو الاستبداد والمانع من قول الصدق والمعاقب على التزام الحق، أيمكن أن تنشر هذا في الجريدة وأكون آمناً من عقاب الحكومة؟ فقال القباني كلا إن أمثال هذه المباحث لا يمكن نشرها في غير مصر، فعجل بالسفر ولا تخبر بعزمك أحداً لئلا يصل الخبر إلى الوالي فيمنعك منه[١].

تاسعاً: صفاته

كان الشيخ القباني ذا مقام عال، له المكانة والصدارة حيث ما حلّ. وكان كريم ذات اليد ينفق في سبيل الخدمات الإنسانية والوطنية. عرف في شبابه باندفاعه للأعمال الخيرية والإسهام فيها. ومن ذلك نجده في الثمرات دائم الدعوات لمساعدة الفقراء والمحتاجين، ففي خبر هجرة أهالي الروملي إلى الآستانة نجده يدعو الناس للتبرع، ومساعدة المهجرين خدمة للإنسانية. ووظف نفسه للقيام بهذا الأمر فقال: «. . . وأملي من أبناء وطني الخاص أصحاب الشفقة ومحبي عمل الاحسان الذين فاقوا غيرهم بهكذا أعمال أن يتكرموا بما تسمح به أنفسهم الزكية من المساعدات فإني مستعد لأقوم بهذه الخدمة وأستقبل إحسان المحسنين في إدارة جريدة ثمرات الفنون»[٢].

كما كان سبّاقاً في تقديم الهدايا إلى أبناء الوطن المنتظمين في سلك العسكرية القائمين بإزاء العدو[٣].

وكان يقدّم أحياناً الكتب مجاناً إلى التلامذة، فمن ذلك أنه تبرع بدفع قيمة طبع كتاب «كشف الأرب عن سر الأدب» وتوزيع خمسة عشر كتاباً منه على تلميذات المدرسة الأولى مجاناً[٤].

---

(١) شكيب أرسلان، السيد رضا أو إخاء أربعين سنة، مطبعة ابن زيدون، دمشق، الطبعة الأولى ١٣٥٦ / ١٩٣٧ م، ص ١٢٩.

(٢) ثمرات الفنون عدد ١٤٤ (٢٥ محرم ١٢٩٥ هـ / ٣١ ك ٢ ١٨٧٨ م) ص ١.

(٣) ثمرات الفنون عدد ٨٣ (٢٩ شوال ١٢٩٣ هـ (١٦ ت ٢ ١٨٧٦ م) ص ١.

(٤) جلسة الاربعاء ١٤ ذي القعدة ١٢٩٦ تحت رياسة محرم بك البند ٤.

وورد اسمه في بيان أسماء المكتبين لتأسيس جمعية خيرية إسلامية في طرابلس. وكانت غاية هذه الجمعية نشر التعليم الديني والدنيوي على الطريقة العصرية، وإعانة المصابين والمنكوبين والمعوزين[1].

وكما تذكر حفيدته السيدة سامية قباني أنه كان من أعظم الرجال ذكاء وخبرة إضافة إلى كونه شهما معطاء يعطي الفقراء بغير حساب، وأنه في يوم الجمعة وبعد خروجه من الصلاة يتحلق حوله بعض الأولاد المحتاجين فيوزع عليهم مما أعطاه الله. وكان يعطف على أحفاده ويحبهم ويعاملهم معاملة الأب لأولاده. وخاصة أولاد ابنه مصطفى الذي توفي في حياته فاحتضنهم جدهم، ووصى لهم بأن يأخذوا من ميراثه كما لو كان والدهم حياً[2].

ويصفه عبد الرحمن سامي في كتابه:

«. . .فقابلنا حضرة الفاضل عزتلو عبد القادر أفندي القباني بما جبل عليه من حسن السجايا وكرم الأخلاق واللطف. . ورأينا منه جميل خلق وأدب وتضلعاً بمعرفة القوانين وأساليب السياسة مع علم وذكاء وطباع محمودة»[3].

فيقول:

«وكان ممن يرعى الجوار ويكرم الجار ولو جار ويرعى حرمة النزيل صاحب الرأي النبيل والقدر الجليل عزتلو قباني زاده السيد عبد القادر أفندي فكان يكرمنا بازدياره ويتحفنا بلطائف أخباره وطرائف أسماره وبدائع أفكاره، ولكم صنع معنا من أنواع التلطف والوداد ما تطيب به النفس وينشرح الفؤاد»[4].

ولقد قال فيه الشاعر الياس جرجس[5]:

أكرم بعبد القادر الشهم الذي ليست تفي الأقلام عد صفاته
لا ينقضي يوم ولم نشهد له عملاً به نثني على خدماته

وقال سليم الجارودي[6]:

مولى ترى في وجهه وجناته سمة التقى ومحبة الأيمان

(١) يوسف ايش، رحلات الإمام محمد رشيد رضا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الأولى، جزيران ١٩٧١ م ص ٤٨ - ٤٩.

(٢) مقابلة مع السيدة سامية قباني الكستي حفيدته.

(٣) عبد الرحمن سامي، القول الحق في بيروت ودمشق، دار الرائد، بيروت لبنان ١٤١ هـ - ١٩٨١ م. ص ٢٣.

(٤) محمد عبد الجواد القاياتي نفحة البشام في رحلة الشام، دار الرائد، بيروت، لبنان ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ص ١٣ و١٤.

(٥) الياس جرجس طراد من أعضاء المحكمة الاستئنافية قال قصيدته التي ذكرنا بيتين منها بمناسبة اليوبيل الفضي لجريدة الثمرات عدد ١٢٠٣ (٩ جمادى الثانية ١٣١٦ هـ / ٢٤ ت ١ ١٨٩٨م).

(٦) سليم الجارودي أحد أعضاء المحكمة البدائية، المصدر نفسه.

أما محمد الكستي فقال[1]:

الحر من دأبه استقراء ما طلبا	وحبه من حميد الذكر ما كسبا
ومن تقاعد عن جد يقوم به	إلى المعالي قضى أيامه لعبا
وللنفوس أماني منوعة	لكن أثمر منها ما نيله صعبا
هذي فضائل عبد القادر اشتهرت	وحلقت بعلاها السبعة الشهبا

عاشراً: تكريمه.

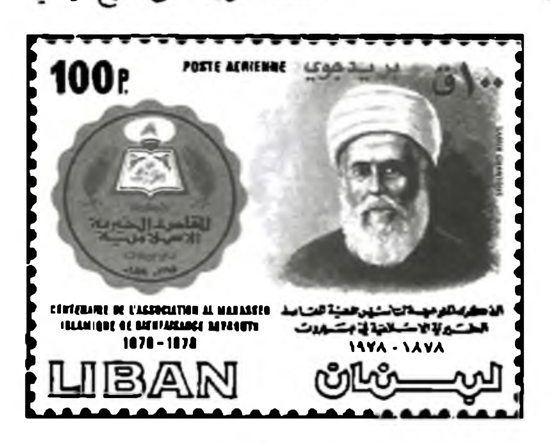
تكريمه في حياته:

كافأته الدولة على إخلاص خدمته لها بالرتبة الأولى من الصنف الأول. وبالوسام المجيدي الثاني، وبالوسام العثماني الثالث. ومدالية التخليص. ومدالية السكة الحجازية، ومدالية وصول الخط الحجازي إلى معان. وأهداه أمبراطور ألمانيا وسام النسر الأحمر من الرتبة الرابعة[2].

تكريمه بعد وفاته:

وتخليداً لذكراه بعد وفاته فإن بلدية بيروت أطلقت اسمه على الشارع الذي كان يؤدي إلى منزله، وذلك قرب محلة قبر الوالي بالبسطة التحتا. كما أن وزارة التربية الوطنية أمرت بوضع صورته في دار الكتب الوطنية إلى جانب أمثاله من العلماء والمفكرين الخالدين[3].

وكرمته أيضاً جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت في سنة ١٩٧٨ م وذلك بمناسبة مرور مئة سنة على تأسيس جمعية المقاصد وذلك بأن وضعت صورته على طابع بريدي للمقاصد.



(١) محمد الكستي، باشكاتب المحكمة الشرعية في بيروت، المصدر نفسه.

(٢) طرازي، تاريخ الصحافة العربية، الجزء الأول، ص ١٠٠.

(٣) مجلة المقاصد، العدد الخامس والعشرين، السنة الثالثة، أيار ١٩٨٤، شعبان ١٤٠٤ هـ بقلم طه الولي ص ٥٦.

الفصل الثالث

كتابات الشيخ القباني



الفصل الثالث

كتابات الشيخ القباني

لم يترك الشيخ عبد القادر القباني كتباً علمية أو أدبية تذكر، وذلك قد يعود إلى كثرة أعماله العلمية والصحافية والعمرانية، فلم يتح له الوقت الكافي للتأليف.

وقد قدّم لوائح في إصلاح المدارس، ورقي المعارف إلى المراجع المختصة، لكنها بقيت في زوايا النسيان وأهملتها الحكومة، رغم اجتهاده في تحقيق هذه الأمنية.

كما يقال إن له مذكرات في تاريخ بيروت بقيت مخطوطة عند حفيده نجاتي قباني السفير بوزارة الخارجية اللبنانية، إلا أن هذا الأخير توفي وانتقلت عائلته إلى الخارج، ولا يعرف شيء عن هذه المذكرات.

وللقباني مقالات في مجلة **الكشاف** الصادرة في بيروت، تحت عنوان بيروت حياتها وتحولاتها. وبيروت عادات أهلها، ضمنها كثيرا من المعلومات المتعلقة بتقاليد هذه المدينة.

ولقد اهتم القباني كثيراً بالتربية والتعليم، لما لهما من أثر في النهضة والإصلاح الأخلاقي والمدني، فأصدر كتاب **الهجاء لتعليم الأطفال** سنة ١٢٩٧ هـ.

كما له رسالة بعث بها إلى السيدة عنبرة سلام، ضمنها بعض أفكاره التي تحث على خدمة الوطن والإسلام.

وأهم عمل قام به في حياته هو إنشاؤه جريدة **ثمرات الفنون**[١]، التي استمرت خمساً وثلاثين سنة. وهي تشهد على أهمية القباني، وفضله في خدمة الوطن، والتربية، والإسلام.

أولًا: كتاب الهجاء لتعليم الأطفال[٢]

طبع هذا الكتاب في مطبعة جمعية الفنون سنة ١٢٩٦ هـ. ولقد خضع لتدقيق اللجنة الفاحصة في

---

(١) ولقد خصصنا لمقالات القباني في **ثمرات الفنون** فصلاً خاصاً في القسم الثاني من هذه الدراسة، لأننا لا نستطيع أن نفهم شيئا من مقالاته بدون أن نتعرف بهذه الجريدة.

جمعية المقاصد وجاء في محاضر الجلسات ما يلي:

«حيث إن أحدنا عبد القادر أفندي قباني ألف كتاباً لأجل التعليم الابتدائي في مدارس الجمعية فقد قررنا فحصه وتدقيقه من طرف عمدة المدرسة الأولى للذكور وغير ذلك يعرض من طرف اللجنة تقرير يتضمن اتحافها هذا العمل الا فتبادر الجمعية لقطع منه طبع ألف كتاب في مطبعة الثمرات وتدفع الثمن من صندوقها وذلك لأجل أن توزعها على مدارسها»[1].

والكتاب على صغره جامع لأنواع مختلفة من العلوم، فمنها العلوم اللغوية وما يتعلق بها من تعليم حروف الهجاء، والعلوم الفلكية وفيها تعليم أيام الأسبوع والأشهر الشمسية والقمرية وأسماء الكواكب وأسماء البروج. ومنها العلوم الدينية وفيها تعليم بعض الأدعية المتوجبة في الصلاة. ومن العلوم أيضاً علوم تربوية وعلم النحو وعلم التصريف وعلم الحساب والأرقام وعلم الجغرافية ثم أسماء الأنبياء وأزواج النبي وأسماء الإنسان باعتبار السن وعلوم أخلاقية تتضمن مساوىء الكذب وفضائل الصدق وعلوم طبيعية. ثم سرد لحكم متعددة وبعدها عودة إلى تعليم قواعد اللغة العربية، وأمثال العرب، ويتناول أيضاً التاريخ، فيذكر مختصر تاريخ الخلافة الإسلامية، ثم الدولة العثمانية ويختم بأسماء سلاطين آل عثمان.

الكتاب يتألف من أربع وستين صفحة، ويخلو من أي مقدمة أو أي تقسيم منهجي. فنراه حينا في العلوم اللغوية ثم ينتقل إلى العلوم الدينية وبعدها علوم الحساب ثم أسماء الأنبياء وبعدها علوم أخلاقية. . . كما يخلو الكتاب من أي فهرسة تفيد القارىء فيه، ولا نعرف لأي سن من الأطفال موجه، بل نقرأ على غلافه «كتاب الهجاء ولتعليم الأطفال» وهل خصصّ كمادة علمية بحد ذاتها، أم أنه هو نفسه معد لتعليم صف من الصفوف.

أما العلوم الواردة فهي مفيدة بحد ذاتها للتعليم. أما كطريقة فإنها خالية من أي تنسيق.

وإذا أردنا أن نفصّل نقول بأن الفصل المتعلق بالهجاء هو فصل مهم بالنسبة للأطفال، كعلم وطريقة للتعليم، من خلال تقسيمه حروف الهجاء، وتسهيل حفظها ونطقها على الأطفال، حيث وضعها في أول الكلمة وفي وسطها وفي آخرها. ثم وضع الحركات على الحروف، وبعدها تجميع كل حرفين معاً، وكل ثلاثة وأربعة حتى يتقن الولد هذه الحروف إتقاناً جيداً.

وللدروس الأخلاقية موقع جيد في هذا الكتاب، فالقباني يعتبر أن تربية الأخلاق مرافقة للتربية العلمية، لا تنفك عنها. فلذلك نجده فصلاً بعد فصل يحث على الأداب والأخلاق، ونبذ الكذب والاعتماد على الصدق واتباع السلوك الحسن[2].

---

(١) لقد عثرنا على هذا الكتاب لدى السيدة أسمى قباني. طيبا حفيدة الشيخ القباني بعد أن كان مفقوداً منذ مدة طويلة وذلك بين كتبه التي احتفظت بما تبقى منها عندها.

(٢) جلسة الجمعة ١٢٩٦ هـ الساعة الثانية تحت رياسة الرئيس محرم بك البند السادس.

ولا ينسى الصحة فإن حفظها من أشد الواجبات على الإنسان. فيعطي النصائح في الحفاظ على الصحة وطريقة المأكل والمشرب[(١)].

وبالنسبة للغة فهو يعطي الأمثال مباشرة، يسردها سرداً من دون أي قاعدة في ذلك مثال: أوزان الأمر: اضرب افتح اعلم... أوزان المضارع، ينصر يضرب يفتح..[(٢)].

ونستخلص من الكتاب بعض آراء القباني في تعليم المرأة وفائدته، وفي فضل العلم وأهميته، فيذكر بأن النساء هن المربيات الأول للأولاد، فلذلك كان من باب أولى تعليمهن فيقول: «فإذا كنّ مهذبات أمكنهن تهذيب أولادهن وترشيحهن لاكتساب الآداب والمعارف». ومنتهى المعرفة المطلوبة من المرأة في رأي القباني هو ما يقوم بأمر تربية أولادها وترتيب المنزل فيقول: «وإذا لم يكن من تهذيبهن إلا تربية الأولاد فضلا عن ترتيب أمر المنزل وغير ذلك لكان من أعظم ما يطلب منهن»[(٣)].

أما فائدة تعليم النساء، فنجدها عند القباني كالتالي:

«إن المرأة شريكة الرجل في عمران الكون ومن البيّن أن التقدم والعمران لا يكون بدون العلم ومن هذا المنطلق وجب ملاءمة الشريكين لتحسن النتيجة لذلك استدعى الأمر تعليمهن وأقل المعارف هي مبادىء القراءة والكتابة حتى تتعلم المرأة لغة قومها والعبادات المطلوبة منها وحقوقها الذاتية وواجبات الغير نحوها وفوائد تربية أولادها ثم الاطلاع على تاريخ جنسها ووطنها حتى تتوسع دائرة تدبيرها عند المصائب قياساً على النافع والضار وحتى تكسب أولادها المعارف النافعة بدل أن تحدثهم بالقصص والخرافات التي تجعل الولد جباناً مثل تخويفه ب«الغول» فتحدثه عن سيرة السلف الصالح وشجاعته فتزرع فيهم أخلاقاً كريمة وأفكاراً مستقيمة وأدباً يزين أيام حياتهم ومستقبلهم الماديّ[(٤)].

فيعدد فضائل العلم وأهميته للمرء والتحبب فيه من طريق ما جاء في الكتاب العزيز والسنة النبوية[(٥)].

وفي الختام نجد القباني قد بلغ ذروة الوطنية، في توجيهه النصائح للقارىء من طريق نبذ الغرض الذاتي وحب الخير لأهله، وكذلك خدمة الوطن بالأمانة والصدق. ونبذ احترام من لا يحترم المصالح العمومية، وعدم الاغترار بالمال لأن العدل من أعظم ما يحمد عليه البشر[(٦)].

ثانياً: مقالات القباني في مجلة الكشاف[(٧)]

للقباني بعض المقالات في مجلة الكشاف، كتبها عند كبر سنه، ولقد قدّمه المحرر في مقدمة قصيرة

(١) كتاب الهجاء ص ٥١ – ٥٣.
(٢) كتاب الهجاء ص ٤٢.
(٣) كتاب الهجاء ص ٤٨.
(٤) كتاب الهجاء ص ٢٤.
(٥) كتاب الهجاء ص ٢٥.
(٦) كتاب الهجاء ص ٢٦.
(٧) كتاب الهجاء ص ٦٢.

فقال «إن السيد عبد القادر القباني شيخ جليل وسري نبيل يناهز الثمانين من عمره كان له في حياة مدينتنا بيروت مآثر تذكر. . . فليس إذاً أحق منه بالكتابة في الذي اخترناه.»[1]

أما عدد المقالات فهي خمسة تتناول موضوعين: الأول «بيروت: حياتها وتحولاتها» في جزئين. والموضوع الثاني «بيروت: عادات أهلها» في ثلاثة أجزاء.

الموضوع الأول: بيروت حياتها وتحولاتها[2]

يبدأ فيه بمقدمة قصيرة، يذكر فيها الداعي لكتابته هذه المقالات فيقول:

«إجابة للطلب بادرتُ إلى ذكر ما يحضرني عن حياة بيروت وتحولاتها ممن رويته عمن كنت أسمع أقوالهم في مجالس عائلتي وغيرهم من أهل الفضل والمعرفة الذين تقدموني سناً أو مما أطلعت عليه أو شاهدته بعيني أو عرفته معرفة لا تبعد عن الصواب»[3].

ثم يبدأ بوصف بيروت قديماً فيذكر حدودها، وأبوابها وإدارتها زمن الشهابيين، ثم تحسين مركزها التجاري أيام الحملة المصرية، كما يتحدث عن ابتداء انفتاح المسلمين على التعلّم، وسعيهم لافتتاح المدارس الإسلامية في القرن التاسع عشر. فيقول:

«ثم اتسعت بيروت وبلغ عدد أهلها نيفاً وأربعين ألفاً، والمسلمون منهم نحو الثلث وأخذت بيروت بالعمران والترقي علماً وتجارة وجلبت إليها مياه نهر الكلب سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م)»[4].

ويتحدث في الجزء الثاني[5] عن الجرائد ونشرها، ثم عن المدارس الأجنبية التي كان افتتاحها بهمة المرسلين الأجانب، والآباء الروحيين.

وبعدها ينتقل إلى جمعية الفنون الإسلامية، فيتحدث عن دواعي تأليفها وعن أهدافها وأنه بناء على الأسس التي غرستها هذه الجمعية تألفت جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية كما يذكر مساعدة مدحت باشا للجمعية.

الموضوع الثاني: بيروت: عادات أهلها

وهذا الموضوع كما يدل عليه اسمه يتحدث فيه القباني عن عادات أهل بيروت، معتمدا على ذاكرته،

---

(١) مجلة شهرية مصوّرة تصدر عن مقر الكشاف العام في بيروت، مدير شؤونها «بهاء الدين الطباع» بيروت لبنان (١٩٢٧-١٩٣٠) أربعة مجلدات، توقفت عن الصدور. ومقالات القباني موجودة في المجلد الأول في السنة الأولى.

(٢) الكشاف، المجلد الأول، السنة الأولى ١٩٢٧ م ص ٢٦.

(٣) المصدر نفسه، ص (٢٦ - ٣٨).

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٥) الكشاف، المجلد الأول، السنة الأولى ١٩٢٧ م، ص ٣١.

(٦) المصدر نفسه، ٨٥ - ٩٢.

بسبب فقده الأوراق التي جمعها لموضوع نوى كتابته بعنوان «من المهد إلى اللحد»، معتذراً عن ذكر عادات غيرهم بقوله «أقدم اليوم من هذه «الخزانة» - يقصد ذاركته - نبذة عن عادات أهل بيروت من المسلمين لعدم العلم بشيء موثوق عن عادات غيرهم»[1].

ففي الجزء الأول[2] يبدأ بالعادات من أول دور في حياة الطفل من الحمل إلى الولادة.

وما يرافق ذلك من عادات، ويليه دور تربية الطفل وتعليمه وينتقد الحالة المتأخرة التي كان عليها التعليم آنذاك.

في الجزء الثاني[3] يذكر الساحات التي كان يلعب بها الأولاد، وبعض الطرائف التي تحدث معهم، ثم يأتي دور الشباب ومهمة تزويج الأهل لابنهم.

وفي الجزء الثالث[4] يتحدث عن الاحتفالات بالزفاف وما يرافق ذلك من عادات عند أهل العروس وعند أهل العريس.

وتشكل هذه المقالات تراثاً لحضارة المجتمع الإسلامي البيروتي مطلع القرن العشرين.

ثالثاً: رسالة القباني إلى السيدة عنبرة سلام[5]

بعث الشيخ عبد القادر القباني برسالة إلى السيدة عنبرة سلام[6]، إثر قراءته لكتابات لها في مجلة الكشاف[7]، التي تتحدث فيها عن رحلتها إلى بلاد الإنكليز، وتظهر إعجابها بالمدنية التي توصلوا إليها من خلال العمل المنظم، والتهذيب الراقي، والصحافة المتطورة، كما تناولت الحديث عن الفتاة الإنكليزية والعائلة الإنكليزية. وتحدثت عن الصعاب التي واجهتها قبل السفر، إذ كان بعض رفقاء السفر يكررون عليها القول «بأن الحياة في تلك البلاد قاتمة سوداء تضيق الصدر ولا يشعر الغريب إلا أنه في سجن مقفل «فتقول» أما وقد بلغتها فقد رأيت برغم اغبرارها أحياناً أن الأخضر الجميل هو اللون الغالب على هذه الأرض السعيدة وأحسست بروح الحرية المطلقة»[8].

---

(١) المصدر نفسه، العدد الرابع، ص ٣٢.

(٢) المصدر نفسه، العدد الرابع، ص ٢٢٠ - ٢٢٤.

(٣) الكشاف، المجلد الأول السنة الأولى العدد السادس ١٩٢٧ م ص ٣٣٦ - ٣٣٩.

(٤) الكشاف، المجلد الأول السنة الأولى العدد السادس ١٩٢٧ م ص ٥٢٥٦ - ٥٢٨.

(٥) رسالة القباني موجودة لدى الدكتور هشام نشابه من أرشيف الرئيس صائب سلام والرسالة خالية من أي تاريخ، ولكن من المعتقد أنها سنة ١٩٢٨ لأن مقالات السيدة عنبرة كتبت في الكشاف سنة ١٩٢٨.

(٦) هي ابنة الرئيس أبو علي سلام وشقيقة صائب سلام توفيت مؤخراً (١٩٨٦) لها كتاب جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين ومقالات عديدة، وترجمات عن الانجليزية.

(٧) مقالات السيدة عنبرة في مجلة الكشاف خمس بعنوان «شرقية انكلترا و«المرأة الشرقية» ولها خطبة ألقتها في مأدبة عائلات خريجي الجامعة الأميركية وترجمة مقالتين بعنوان «نظرتي الأخيرة إلى الحياة» و«كيف أنظر إلى الحياة». والمقالة التي نحن بصددها «شرقية في انكلترة»، المجلد الثاني، الجزء الأول، كانون الثاني ١٩٢٨ / شعبان ١٣٤٦ هـ (ص ٣ - ٤٢).

ولقد كانت المرأة قلما تتوصل إلى مرحلة متقدمة من العلم والمعرفة في ذلك الوقت. بل كانت هناك دعوات متعددة تحث على تربية البنات وتعليمهن، وإخراجهن من الجهالة التي هن عليها. وكان القباني من حملة الدعاء للتعلم. فبعد أن قرأ مقالات السيدة عنبرة، أحب أن يرسل إليها هذه الرسالة لتهنئتها على ما توصلت إليه من العلم أولاً، ثم لينبهها إلى عدم الانجراف بالعواطف نحو الغرب ثانياً.

فيقول لها في الرسالة «لعلّ الله يا حضرة الفاضلة قد ادّخر هذه الفضيلة فضيلة ظفر الأمة المرحومة بالضآلة المنشودة إلى أمثالك الذين يطلبون القيام بخدمة نهضة الأمة من طريق العلم والفكر، فينظرون إلى أقرب الطرق وما يربطهم وكل أفراد قومهم برابطة شرع سيد المرسلين، ذلك الشرع الذي نهض بالمسلمين وسلطانهم إلى ما وصلوا إليه يوم كانوا عاملين بروحه وآدابه...»(١).

وكذلك يثني القباني على مواضيعها الشيقة وأسلوبها الرائع، إلا أنه يوجه انتباهها إلى ضرورة اليقظة، وعدم الانجراف نحو الغرب من دون التدقيق في الأمور لكشف مكنوناتها فيقول:

«قد حالت العاطفة المدرسية بينك وبين تتبع البحث لكشف حقائق تدلنا على أن الإنكليزي هو تبع لأغراضه، شبح وطنه الاقتصادي والسياسي»(٢).

ويذكرها بعلوم المسلمين الثمينة التي أضحت طعاماً للأرضه، ولعدم الاشتغال بها. فالمسلمون أهملوا تراثهم وتفرقوا، ولقد كانت انتصاراتهم سابقا بفضل تجمع كلمتهم. فالواجب يدعو اليوم إلى التدقيق في خبايا الأيام والأزمنة ودراسة التاريخ القديم لأنه يرشد لمعرفة الحاضر والمستقبل. واللوم موجه إلى كل مسلم متعلم، وكل وطني لا ينهض بأمته نهضة عمرانية وأخلاقية ووطنية(٣).

ومن منطلق العلم الذي هو باب النهضة. يدعو القباني السيدة عنبرة وأبناء جيلها لصرف الهمة لما يساعد الوطن والإسلام، من طريق الدين وشرعه القويم المتين. ثم لخدمة اقتصاديات الجامعة الوطنية، والاشتراك بالمنفعة، فيكون لهم أرفع منزلة وأطيب ذكرى لدى كل مسلم ورع(٤).

وفي الختام يذكرها بأن سعادة البلاد وشقاءها هما تبعاً لأبنائها، فالإنسان هو العامل الرئيسي في ذلك «فالبلاد بفضائلها ورذائلها ومفاخرها ومعائبها عائدة لعمل الإنسان»(٥). ثم يدعو الله لها بالتوفيق.

هذا ملخص موضوع الرسالة. لكننا نستطيع أن نلاحظ بعض الأفكار التي تجلت فيها روح القباني الوطنية والإسلامية. فهو يقول لها عن سبب كتابته الرسالة «فدفعتني الغيرة الإسلامية وحب النهضة الوطنية أن أذكر لحضرتك الخ»(٦).

---

(١) الكشاف، المجلد الثاني، الجزء الأول ك ٢ ١٩٢٨ م / ١٣٤٦ هـ ص ٣.

(٢) الرسالة ص ٣.

(٣) الرسالة، ص ٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ٨.

وفي مسألة اللغة نجده يستشهد بقول الشيخ محمد عبده مؤيداً ما قاله بأن «المرء يجب عليه أن يتعلم لغة قومه باديء ذي بدء. أما الانكباب على اقتباس لغات أوروبية قبل تعلم لغة القوم وعلومه، فإن ذلك يعتبر مضيعة لهم وبعداً عن الضآلة المنشودة»[١].

كما يحمل اللوم في التفرقة الوطنية على تدخل الأجانب والمبشرين الذين فرقوا بين أبناء الوطن، بعد أن كان المسلم والمسيحي كأنهم أبناء عائلة واحدة. فلقد خسر أبناء الوطن من جراء انجرافهم في هذا التيار الكثير من صناعاتهم، ومن أخلاقهم الاجتماعية والوطنية يقول:

«فكم فقد من بلادنا صناعات كانت تدر على أهلها الخيرات وأخلاق اجتماعية إسلامية ووطنية كانت تربط العائلة بكبيرها والبلاد بزعيمها والزعماء بأفضلهم نفساً وأسماهم إنسانية»[٢].

أما اللوم فانه واقع على كل متعلم من أبناء الوطن، لأنه أكثر إدراكاً من غيره، وأقدر على إنهاض الأمة عمرانياً وأخلاقياً، ولا سبيل للتستر بالدين في هذا الأمر لأن الدين كما يقول القباني:

«.. لا يمنع اجتماع كلمة المسلم وغير المسلم على إنهاض الوطن نهضة عمرانية أخلاقية وطنية لا شائبة فيها وما المؤمل من الاهتمام بمثل ذلك»[٣].

فالإسلام والوطن فكرتان لا تنفصلان عن بعضهما في رأيه، فهو حين يذكر أنه مسلم لا ينسى أنه وطني يحب وطنه ويحافظ عليه، لأن إسلامه هو الذي يدفعه لذلك.

كما يظهر لنا موقفه من القضية العربية، فهو لا ينكرها وإنما يلوم من قام بالدعوة إليها على غير بصيرة بها، ولا بالتاريخ العربي. ولو كان العرب على وعي لما ذهب الأمر منهم، ولما تدخّل الأجنبي بهم، ولو أحسن الملك حسين التوقيت في ثورته لنال ما تمنى، إلا أنه كما يقال استعمل الشيء قبل أوانه فعوقب بحرمانه[٤]. ثم إن المنادين بالعروبة لا يفقهون شيئاً عنها كما يقول القباني:

«وأصرح بفكري بأن الزعماء الذين تقدموا لمعالجة هذه القضية كانوا على غير استعداد لها ولا سابق خبرة في الأمور التي كانت السبب في تحوّل الأمر إلى غير يد العرب وإهمال مواعظ التاريخ التي يعوّل عليها الخير للعرب»[٥].

موقفه من الغرب: فهو يرى أن الأجانب هم الذين أساءوا الأخلاق، وكانوا باعث تفرقة في البلاد، عن طريق تدخلهم في أمورها، ونشر مدارسهم العصرية، بغية مآرب سياسية واقتصادية. إلا أنه يقول: «لا ملام على من يخدم نفسه إنما اللوم كل اللوم على من استهواه الهوى وأضله الطمع»[٦].

---

(١) الرسالة، ص ١.
(٢) المصدر نفسه، ص ١.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢.
(٤) الرسالة، ص ٤.
(٥) المصدر نفسه، ص ٥.
(٦) المصدر نفسه، ص ٥.

ويخص الانكليز باستخدام الحيل، فهم يستخدمون الأساليب اللطيفة لغايات تنفع وطنهم، وسياسة حكومتهم، والانكليزي متبعٌ لأغراض وطنه السياسية والاقتصادية[1].

مواقفه الإسلامية: يدعو للنهضة الإسلامية، وإلى تفكر المسلمين في أمور دينهم ووطنهم. وأول طريق هو التربية في تعلم المرء لغة قومه، ثم ينهل من معين الثقافات الأخرى المفيدة[2].

ويدعو إلى تحسين الأخلاق وتنقية الأفكار، والعودة إلى نور الإيمان والصدق، وطهارة القلوب. فالحاجة تدعو إلى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، لأن حال المسلمين في تأخر وكما قال أحد العلماء: المتيقظ منهم كمن يتناول المخدرات لا يعي ما يعمله. وكما قال الشيخ محمد عبده «يعيد الإسلام إلى سابق عزهم وعهدهم إلى ما كانوا عليه في بادية أمرهم اتباع الصحيح من شرع دينهم»[3].

والمطلوب أيضاً المسلم الذي يسلم الناس من لسانه ويده، الذي يتعلم أمور دينه وسيرة نبيه صلى الله عليه وسلم، وسيرة الخلفاء الراشدين. والذي يسترشد بالعلم والتاريخ ويعمل بالبحث والتنقيب[4].

وكذلك يدعو للاعتبار بما مضى من أمور المسلمين الذين ضعفوا منذ أن تفرقت كلمتهم، وأهمل الاشتغال بكتبهم التي أضحت طعاماً للأرضة[5]. ولا ينسى القباني النية في الأعمال، فإنها أول الأعمال وعليها المعوّل في النجاح، متى كانت حسنة لخير الوطن. وكل ما كان العمل نفيساً بذاته، ومفيداً للجامعة الإسلامية، بل ولخير الناس على الإطلاق، كان الثواب عظيماً والأجر عليه كبيراً[6]..

كما يحذر من اليهود ومآربهم، فهم الذين يسعون في الأرض فسادا بتفرقة كلمة المسلمين، وهم الآن يسعون للقيام بنفس عملهم. ويلوم القباني المسلمين والمسيحيين معاً على ضعفهم أمام اليهود، وسيطرة هؤلاء على ثلث ثروة العالم ويقول «فعار على سبعمائة مليون من النصارى والمسلمين أن يلعب بمقدراتهم أربعة عشر مليونا من اليهود.

«وهل يؤمل النصارى والمسلمون السعي لاسترجاع مزاياهم الاجتماعية والوطنية التي أضاعوها من حيث يدرون أو لا يدرون وذلك على الأقل، ولعلهم يتدبرون النتائج المنظورة والملموسة باليد بما أصاب سلطان المسلمين من الشلل..»[7].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢.
(٢) الرسالة، ص ٤.
(٣) المصدر نفسه، ص ١.
(٤) المصدر نفسه، ص ٦.
(٥) المصدر نفسه، ص ٧.
(٦) الرسالة، ص ٢.
(٧) الرسالة، ص ٣.
(٨) الرسالة، ص ٣.

الفصل الرابع

القباني وثمرات الفنون



الفصل الرابع

أولًا: تمهيد في الصحافة اللبنانية في ظل القوانين ١٨٧٥ - ١٩٠٨ م.

لم يكن قبل سنة ١٨٦٤ م قانون اللصحافة في لبنان، ولا في البلدان الخاضعة للسيطرة العثمانية، بل كانت جميع المطبوعات تخضع لنظارة وزارة المعارف، ووزارة الداخلية في استانبول، اللتين تصدران أوامرهما باسم الباب العالي[١].

وفي عام ١٨٦٥ م أصدر السلطان عبد العزيز قانونا للصحافة، وأعلن تأسيس مكتب خاص لمراقبة تنفيذ القانون. وفي عهده أخذت صحف بيروت تعالج القضايا الاجتماعية بحرية تامة. وتدافع عن التغييرات التي تراها ضرورية، ومن هذه الصحف **المقتطف، وثمرات الفنون، والبشير**. فكانت تحاول جذب الانتباه نحو التقدم الذي أحرزه الغرب. كما أهتمت هذه الصحف بنشر الأخبار التي تتعلق بالحياة العامة، والحياة السياسية فكانت تنشر الإنذارات والتنبيهات التي تصل إليها من دار السلطنة[٢].

وبعد اعتلاء السلطان عبد الحميد الثاني العرش وإعلان الدستور في ٧ ذي الحجة ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦م. جاء في المادة الثانية عشرة منه:

«إن المطبوعات حرة ضمن دائرة القانون»[٣].

وفي خطاب العرش الذي ألقاه في ٧ ذي الحجة ١٢٩٤ هـ بمناسبة افتتاح الدورة الثانية للبرلمان، دعا السلطان أعضاء الجمعية العامة للبرلمان أن يهتموا بوضع القوانين العاجلة ومنها القوانين المتعلقة بنظام الصحافة. فصدر القانون العثماني للصحافة، ويتألف من سبع وثلاثين مادة في أربعة فصول: «كيفية النشر» و«الأحكام الجزائية» و«القدح والذم» وفي «مواد متفرقة»[٤].

---

(١) أديب مروة، **الصحافة العربية، نشأتها وتطورها**، منشورات دار الحياة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٦١، ص ١٧٠.

(٢) شمس الدين الرفاعي، **تاريخ الصحافة السورية ١٨٠٠ - ١٩١٨م** دار المعارف بمصر، ١٩٦٩م، الجزء الأول، ص ٩٩ - ١٠٠.

(٣) **ثمرات الفنون** ، العدد، ٩٠ (٢٦ ذي الحجة ١٢٩٣ هـ / ١١ ك ٢ ١٨٧٧م) ص ١ و٢.

(٤) محمد أبو مرعي، **«حرية الصحافة في لبنان منذ العهد العثماني حتى اليوم»**، مؤسسة مطابع معتوق، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٨٠، ص ٣٣٧.

ومن أهم ما جاء في «كيفية النشر» أنه ينبغي أن يكون لكل جريدة أو نشرة مدير مسؤول، وأن يكون هذا المدير من التبعية العثمانية متمما الحادية والعشرين من عمره، ومأذونا من المكاتب العالية، كما يتوجب على صاحب امتياز الجريدة أن يؤدي على وجه التأمين عن الجريدة خمسمائة ذهب في دار السلطنة ومائة في الولايات.

كما ورد في «الأحكام الجزائية» أنه يجب أن يرسل يوميا نسختان من كل عدد من الجريدة مع توقيع المدير المسؤول، إلى كل من المدعي العمومي وأكبر مأمور في الحكومة المحلية ينتمي إلى وزارة الداخلية. وللجريدة أن تنشر صور كل نوع من المحاكمات، وجميع قرارات المجالس الرسمية، ولكن ليس لها أن تنشر مذكرات المحاكم، أو مذكرات هيئة رسمية التأمت بشكل سري وفقا للقانون والأصول. كما يغرم الشخص المسؤول إذا نشرت في صحيفته بيانات تحقير إحدى الديانات والمذاهب المعروفة في الممالك المحروسة.

ولقد تمتعت الصحافة في تلك الفترة بنوع من الحرية. فكانت تنشر الأنباء على علاتها، وتنتقد أعمال الحكومة ومأموريها. وكانت **الجوائب** في الآستانة **والجنة والجنان والبشير والتقدم وثمرات الفنون** في بيروت، تنشر المقالات التي تتحدث عن مواقع الخلل في الدولة. وكتبت هذه الصحف بصراحة عن مقتل الوزراء في دار الخلافة، وذكرت خلع السلطانين عبد العزيز ومراد الخامس، وأذاعت خبر انتصار الروس عام ١٨٧٧ على العساكر العثمانية[١].

ثم لم يلبث السلطان عبد الحميد أن ألغى شيئاً فشيئاً جميع الحريات والحقوق للولايات التابعة للدولة العثمانية، ومنها الولايات السورية، ثم أصدر أوامره إلى مدحت باشا لكي يكم الصحافة، ويلغي الصحف التي تصدر عن أحزاب داخلية أو طائفية في البلاد العثمانية، واعتبر أن للصحافة قابلية إثارة الرأي العام. لذلك عمل على حلّ البرلمان، وبعد ذلك نفى مدحت باشا وكثيراً من النواب والصحفيين[٢].

ثم صدر أمر من الباب العالي بموجب نص المادة ١١٣ من القانون الأساسي وذلك في ١١ جمادي الأولى ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧ م [٣]، يتضمن إقرار الإدارة العرفية، وتوقيف القوانين النظامية، وإنزال العقوبات بمن يخالف القوانين من قبل مجلس حربي.

---

(١) طرازي، تاريخ الصحافة العربية، الجزء الثاني، ص ٧.

(٢) الرفاعي، تاريخ الصحافة السورية، الجزء الأول، ص ١١٦.

(٣) سليم فارس الشدياق، كنز الرغائب في منتخبات الجوائب، مطبعة الجوائب بالآستانة، الطبعة الأولى، ١٢٩٥ هـ، الجزء السادس، ص ٩٨ - ٩٩. واليك ترجمة الإعلان الصادر من الباب العالي في جعل الآستانة تحت الإدارة العرفية بموجب نص المادة ١١٣ من القانون الاساسي وذلك في ١١ جمادى الأولى ١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧ م.
«صدر إعلان من الباب العالي يتضمن أنه في يوم الخميس الماضي الموافق ١١ جمادى الأولى. دخلت الآستانة ونواحيها تحت الإدارة العرفية وذلك بموجب نص المادة ١١٣ من القانون الأساسي وبحسب قرار مجلس المبعوثان والمراد هنا بالإدارة العرفية توقيف سائر القوانين النظامية موقتاً حسبما تقتضيه الحال والمصلحة لكيلا يحدث شيء يخل بالراحة»

ومن ضمن هذه المادة أيضاً أنه يحق للحكومة تعطيل كل جريدة تنشر شيئاً يخل بالأمن والسلم. وهذا التدبير الذي لجأت إليه الدولة هو ما تفعله سائر الدول في أيام الحرب[١].

أما ما يختص بالصحافة عام ١٨٧٨ م. فقد وضعها السلطان عبد الحميد تحت رقابة شديدة، وكان يشرف عليها مكتب خاص مؤلف من موظفين مخلصين للسلطان، لهم العيون والجواسيس في أنحاء البلاد. ثم أخذت سياسة الحد من النشر تتسع فيما يختص بالصحافة، وتكفلت وزارة الداخلية بمراقبة الصحف بينما احتفظت وزارة المعارف العمومية بحق السيطرة على إصدار الكتب. وقد كانت السلطات الأخرى ممنوعة عن اصدار تصريحات لدوريات ومجلات بغير علم السلطان، وأخذ الأذن العاجل منه.

وكان رجال المراقبة في بداية أمرهم يتنبهون فقط إلى بعض الكلمات والألفاظ الممنوعة مثال: الدستور الضغط والحرية. لكنهم لم يتنبهوا إلى أن مثل هذه الكلمات يمكن أن يلمّح إليها بصورة غير مباشرة، بينما كانوا لا يرون أي ضرر من نشر معلومات عامة لا تمس المسائل السياسية، وتهدف إلى تنوير القرّاء في بعض المشاكل الاجتماعية، فاستفاد بعض رجال الصحافة من هذه الحالة أمثال: القباني في ثمرات الفنون والبستاني في الجنة والجنان وغيرهم. وكان البعض يحاول أن يقدم أفكاره بشتى الصور والأساليب، ويهاجم مساوىء الحكم والولاة وغيرهم من الحكام الفاسدين، وهذا ما جعل السلطان يهتم بوضع مراقبة شديدة ومنظمة، وذات أسس وقوانين تقف بالمرصاد لهؤلاء الصحفيين الجريئين، ما جعل كثيرا من الصحفيين يتركون بلادهم ويهاجرون إلى حيث يتمكنون من الكتابة بحرية[٢].

واستمر فرض الضريبة على الصحف. أما الصحف التي برهنت على طاعتها وخضوعها لدعايات الولاة وللسلطان، فكانت تتلقى إعانات مالية. والتي لم تحاول السير في ركاب السلطان والحكام فإنها أقفلت ولوحق أصحابها، أمثال **الجنة والجنان** لسليم البستاني، **والبشير** للآباء اليسوعيين، **والتقدم** ليوسف الشلفون[٣].

=العمومية ويشوش خواطر الذين يؤثرون الأمن والسلامة فكل من فعل ما يخالف ذلك تجرى محاكمته في مجلس حربي فإما أن يُبعد عن الآستانة أو ينفى أو يسجن أو يحكم عليه بالأعمال الشاقة أو بعدم حسب الجرم الذي اقترفه، ويسوغ للحكومة في أي وقت كان أن تستولي على ما عند الأهالي من السلاح والبارود وأن تدخل ضابطيتها منازلهم ليلا ونهارا إذا أوجب الحال ذلك ومن وقعت عليه التهمة من الأجانب وغيرهم يبعد وينفى. وكل صاحب جريدة أو غيرها إذا نشر شيئاً من شأنه الإخلال بالأمن والسلم تعطل جريدته. ويمنع أيضا من اجتماع الناس في الشوارع. والحاصل أن ما فعلته الدولة هذه المرة لا يرضي المفسدين وإنما يرضى به ويستصوبه المصلحون. إذ ليس المراد به سوى دوام الطمأنينة والسلامة بين الناس وهذا ما تفعله سائر الدول في أيام الحرب.

(١) الشدياق، المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٢) الرفاعي، تاريخ الصحافة السورية، الجزء الأول، ص ١٤١.

(٣) المصدر نفسه، الجزء الأول، ص ١٣٤.

وإذا نشرت الجريدة خبرا لم يعجب «المكتبجي»[1] أخذ عدة «الفلق» وقصد الصحفي ليضربه بالفلقة في بيته.

وبعد الحرب الروسية التركية، تعرض كثير من الصحف السورية إلى أزمة مالية شديدة. وحاولت الصحف في عام ١٨٧٩ - ١٨٨٠ م أن تحمل الحكومة على تعديل ضريبة الدفع، ولكن المحاولة باءت بالفشل[2].

ولقد فرضت الرقابة على الصحافة بعض المواد التي تقررها، فأخبار الولاية تدفع بها السلطة إلى صاحب الصحيفة أو محررها، وكذا الحال بالنسبة لأخبار الآستانة. فتلزم الصحيفة بنشر كل ما تطلبه السلطة من نصوص وإعلانات. أما الأخبار الخارجية فهي خاضعة للغربلة ولا ينشر من ذلك الثبت الطويل من البرقيات التي كانت تأخذ عنوان «التلغرافات» إلا ما تجود به سماحة الرقيب. علما بأن معظم تلك البرقيات كان يرد من صحافة العاصمة ويؤخذ عنها[3].

وفرض على الصحافين أن يشيروا إلى السلطان بالتقديس والتمجيد، والحمد والثناء على عهده. أما الصفات المختصة بالسلطان والتي تردد باستمرار، فنذكر منها أنه: أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين، وسلطان البرين، وخاقان البحرين، ونائب الرسول الأعظم وخليفته على الأرض، وملك الملوك والفاتح الأول[4].

ثانياً: ثمرات الفنون: مرحلة التأسيس

تعتبر صحيفة **ثمرات الفنون** الصحيفة الإسلامية الأولى في لبنان، بالنظر إلى الصحف المسيحية العديدة المنتشرة في البلاد. وهي الجريدة الثانية الإسلامية بعد جريدة **الجوائب** التي كانت تصدر في الآستانة.

وثمرات الفنون صحيفة أسبوعية سياسية علمية أدبية أنشأتها جمعية الفنون الإسلامية في بيروت، ثم عهدت بإداراتها إلى عبد القادر القباني أحد أعضاء الجمعية الذي طلب الرخصة الرسمية من الآستانة العلية بنشرها. وفي سنة ١٨٧٤ م أنشأ القباني مطبعة جلب معداتها من لندن[5] وقامت بطبع جريدة **ثمرات الفنون** التي ظهر العدد الأول منها يوم الثلاثاء ١٤ ربيع الأول ١٢٩٢ هـ / ٢٠ نيسان ١٨٧٥ م وبعد أن داومت خطتها مدة بشراكة عمدة من الجمعية تنازل المساهمون عن أسهمهم بالمبيع إلى صاحب الامتياز[6].

---

(١) المكتبجي، هو المسؤول عن مراقبة الصحف.

(٢) الرفاعي، المصدر نفسه، الجزء الأول ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٣) جوزيف الياس، **تطور الصحافة السورية في مائة عام**، دار النضال، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٢ م، الجزء الأول ص ٦٠.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦١.

(٥) خليل صابات، **تاريخ الطباعة في الشرق العربي**، دار المعارف بمصر، ١٩٥٨ م ص ٦١.

(٦) العدد ١٦٨٦ (٨ شوال ١٣٢٦ هـ / ٢ ت٢ ١٩٠٨م) ص ١. وكانت الشركة تتألف من اثني عشر سهماً وقيمة كل سهم ألفان وخمسمائة غرش.

وافتتح القباني الجريدة بالدعاء للسلطان والحكومة، وتحدث عن كيفية اختياره ليكون مديرا للجريدة وأخذ الامتياز باسمه فقال:

«وقد استدعيت من ملجأ ولاية سورية البهية الانهاء إلى نظارة المعارف الزهية بطلب الرخصة الرسمية فحصل ذلك وحضر الأمر من الآستانة العلية مشتملا على المطلوب والتيمن بهذه الجمعية»[1].

ولقد عني القباني بالجريدة اعتناء كبيرا فاهتم بإدارتها وطبعها وأحوالها المالية ومواعيد صدروها ووكلائها.

الإدارة:

المدير المسؤول هو عبد القادر قباني، وكان يكتب اسمه في ذيل الجريدة وفقا للمادة التاسعة من قانون المطبوعات العثماني[2]. وكانت الإدارة في تلك الفترة كما يذكر «أديب مروة» تشكل الشريان المالي في حياة الجريدة، وكان المدير هو المسؤول عن ماليتها وتوزيعها واشتراكاتها وصدورها في مواعيدها المقررة، وعن حركة المطبعة، وانتظامها، وعقد الصفقات والتعاقد مع محرري الجريدة وموظفيها الذين يعملون في مختلف أقسامها، ودفع الرواتب لهم، وتأمين جميع اللوازم التي تتطلبها مختلف أقسام الجريدة من تحرير وطباعة وإدارة[3].

ولقد كانت التحارير تصل إلى القباني بنفسه، لأنه المسؤول المباشر لدى الناس ولدى السلطات العليا التي تحاسبه على كل ما ينشر في جريدته. ومن ذلك ما جاء في الجريدة حين تغيب مدة:

«بناء على غيبة صاحب امتياز الثمرات ومديرها عن بيروت لبعض أشغال ضرورية تأخر إرسال الجوابات اللازمة، والجوابات الضرورية ترسل من امضاء وكيل الإدارة[4] إذا وجد لزوم، ويقتضي أن يوضع على التحرير المتعلق بصاحب امتياز الجريدة لفظة مخصوص. ولكن يتأخر الجواب أيضاً إلى حين عوده بالسلامة»[5].

---

(١) العدد الأول (١٤ ربيع الأول ١٢٩٢ هـ / ٢٠ نيسان ١٨٧٥) ص ١.

(٢) محمد أبو مرعي، المصدر نفسه، المادة التاسعة في الأحكام الجزائية وجاء فيها: «إذا نشرت الجريدة أو النشرة الموقوتة بدون أن يطبع في رأسها أو في ذيلها اسم المدير المسؤول، غُرم المدير ذهباً عثمانياً جزاء نقدياً، ص ٣٣٨.

(٣) أديب مروة، **الصحافة العربية نشأتها وتطورها**، ص ٤٦.

(٤) الوكيل هو الشيخ أحمد طبارة (١٢٨٨ - ١٣٣٤ هـ) (١٨٧١ - ١٩١٦ م) هو أحمد بن حسن بن محي الدين طبارة، ولد في بيروت وتعلم في المدرسة السلطانية، نشأ في جريدة **ثمرات الفنون** حتى صار لديه الاستعداد لتولي التحرير فيها فعينه القباني مديرا للجريدة سنة ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م، ثم أنشأ جريدة **الاتحاد العثماني** ١٩٠٨ م، وبعدها جريدة **الإصلاح**، وشارك في الحركة الإصلاحية في بيروت، وعين عضوا في المؤتمر العربي السوري اللامركزي، اعتقله الترك في أثناء الحرب العالمية الأولى وقتل شنقاً ١٩١٦ م، كان أديباً وناشراً مجيداً، من آثاره **فتح الرحمن لطلاب آيات القرآن** (راجع الزركلي **الأعلام** ج ١، ص ١١٣).

(٥) ٢٤٧ (٦ شوال ١٢٩٦ هـ / ٢٢ أيلول ١٨٧٩) ص ١.

ولقد أخبر صاحبها عن طريقة المراسلة الواجب اتباعها مع الجريدة فقال:

«المرجو من حضرات وكلائنا ومراسلينا الكرام أن تكون مراسلاتهم باسم إدارة جريدتنا رأساً ويعتمدون أمضاء الشيخ أحمد أفندي طبارة. أما المحررات الخصوصية فنرجو أن تكون باسمنا وهي تصلنا..»[1]

عبد القادر قباني

وفي السنة الخامسة والعشرين للجريدة عهد القباني بأمور الإدارة إلى الشيخ أحمد طبارة، أحد محرريها. ويعود السبب في ذلك إلى وفرة مشاغل القباني إضافة إلى تعيينه رئيساً لمجلس البلدية سنة ١٨٩٨ م، إلا أنه احتفظ لنفسه بمعاونته في التحرير ومراقبة كل ما ينشر في الجريدة، وأعلن الخبر في الجريدة فقال:

«إنه بمقتضى وفرة مشاغل هذا العاجز، فقد عهدت أمور إدارة الجريدة **ثمرات الفنون** إلى الشيخ أحمد أفندي حسن طبارة أحد محرريها. فأرجو حضرات الوكلاء ومن يراسلون الجريدة أن يوجهوا إلى الشيخ الموما إليه وأن يعتمدوه في كل شؤونها مسديا الجميع أطيب الشكر وأجمل الثناء[2]».

مكان المطبعة

طبعت الجريدة لأول مرة في مطبعة جمعية الفنون في بيروت الكائنة في سوق السادات حمادة[3]، ثم تغيّر مكانها في السنة السابعة وذلك بسبب «صعوبة الصعود، وضيق المجال في محل المطبعة القديم. «فنقلت المطبعة وإدارة الجريدة إلى المحل الواقع في سوق النجارين الفوقاني[4] على طريق باب الدركاه ضمن البلدة بعد إصلاحه[5]».

ثم تغيّر مرة أخرى في السنة الثالثة والعشرين ونقلت المطبعة إلى إحدى البنايات العلوية للخواجات سرسق الواقعة غربي قشلة الدراغون[6].

---

(١) ٩٧٩ (٩ ذي القعدة ١٣١١ / ١٤ أيار ١٨٩٤) ص ١.

(٢) ١٨١١ (٢ محرم ١٣١٦ / ٢٣ أيار ١٨٩٨ م) ص ١.

(٣) سوق السادات حماده، كان موقعه بالقرب من حي الباشورة (راجع محمود القاباني، **نفحة الشام في رحلة الشام**، ص ١٢).

(٤) سوق النجارين الفوقاني، كان موقع سوق النجارين تجاه جامع السرايا المعروف أيضا بجامع الأمير منصور عساف قرب سوق سرسق. وكان يعتبر السوق المركزي للنجارين وما يرتبط بمهنتهم من أخشاب ومسامير ومعدات النجارة، ومن ملامح هذا السوق معصرة بني السيلني وبركة سوق النجارين، وكان ينقسم إلى قسمين سوق النجارين التحتاني وسوق النجارين الفوقاني.
(راجع حسان حلاق، **بيروت المحروسة في العهد العثماني**، ص ٤٣).

(٥) **ثمرات الفنون** ٣٤٣ (١٣ رمضان ١٢٩٨ هـ / ٨ آب ١٨٨١ م) ص ١.

(٦) العدد ١٨١١ (٢ محرم ١٣١٦ / ٢٣ أيار ١٨٩٨ م) ص ١ .

ولما اتسعت أعمال المطبعة اشترى لها صاحبها محركاً بخارياً. وقد آل أمر المطبعة في القرن العشرين إلى يوسف صادر الذي اشترى أدواتها وأصنافها إلى مطبعته المعروفة بالمطبعة العلمية[١]. ولقد ذكر القباني بيعه للمطبعة، واعتماده طبع الجريدة على الأجرة فقال:

«وكنت من أعضاء المحاكم العدلية أحسب أن طبع الكتب بدون رخصة من الأفعال الممنوعة قانوناً ففضلت مبيع المطبعة، وطبع الجرائد بالأجرة لعدم الاستفادة من طبع الكتب»[٢].

أما الورق فكانت تأخذه من المعامل الأوروبية، وحصل مرة أن تأخر وصوله، وذلك في سنة ١٩٠٥م، فقدّمت الثمرات اعتذارها للقرّاء ذاكرة أنها تنتظر الورق من معامل أوروبا بفارغ الصبر، لكي ترضي الجميع وتقدم لهم الأفضل[٣].

أحوال الثمرات المالية:

حددت الجريدة قيمة الاشتراك «قرش ونصف»[٤] تدفع سلفاً. أما الاشتراك السنوي فتقدر قيمته بالفرنك. ففي بيروت يدفع ١٢ فرنكاً سنوياً، وثمانية فرنكات عن كل ستة أشهر. وفي سائر الأماكن مع أجرة البريد خمسة عشر فرنكا، وفي المحلات الداخلية ثمانية عشر. ويمكن الحصول على **ثمرات الفنون** في الأماكن التي ليس بها وكلاء بارسال حوالة إلى مديرها، أو بارسال طوابع البوسطة على قدر مدة الاشتراك. ثم بعد توسع انتشار الجريدة زادت في أجرتها بالنسبة للأماكن الخارجية فذكرت في سنة ١٨٩٧م ما يلي:

«وفي جميع المحلات السائرة مع أجرة البريد ثمانية عشر فرنكا، وعن ستة أشهر أحد عشر، وفي أقطار الهند مع أجرة البريد عن سنة واحدة ٩ رومية»[٥]

في حين كان ثمن جريدة **لسان الحال**[٦] لخليل سركيس قرشاً واحداً، وجريدة **لبنان**[٧] لابراهيم الأسود قرشاً واحداً كذلك.

---

(١) خليل صابات، **تاريخ الطباعة في الشرق العربي** ص ٦١.
(٢) العدد ١٦٨٦ (٨ شوال ١٣٢٦ / ٢ ت٢ ١٩٠٨م) ص ١ .
(٣) العدد ١٥٣٦ (١ رمضان ١٣٢٣ هـ / ٣٠ ت١ ١٩٠٥) ص ١ .
(٤) كان القرش يساوي أربعين بارة، وكل ثلاث بارات تساوي أقجة أما الأقجة فهي وحدة التعامل الفضية في الدولة العثمانية، وكذلك كانت الليرة العثمانية الذهبية تساوي ١٠٠ قرش (راجع حسان حلاق، **بيروت المحروسة في العهد العثماني**، ص ١٧٥ و١٧٧).
(٥) العدد ١١٢٥ (١٧ ذي القعدة ١٣١٤ هـ / ١٩ نيسان ١٨٩٧ م) وكانت قيمة الاشتراك تذكر بصورة دائمة في أعلى الجريدة في الجهة اليمنى.
(٦) **لسان الحال**، جريدة سياسية تجارية علمية صناعية صدرت سنة ١٨٧٧ م لخليل سركيس.
(٧) **لبنان**، جريدة سياسة تجارية علمية تاريخية صدرت سنة ١٨٩١ م لابراهيم الأسود.

ولقد عانت الثمرات كثيراً من الضائقة المالية، ومن إهمال المشتركين فيها عن دفع ما يتوجب عليهم. فكانت تلجأ إلى إعلان ذلك على صفحاتها من ذلك:

«تنبيه ترجينا مرارا من حضرات المشتركين بجريدتنا الثمرات الذين لم يدفعوا قيمة الاشتراك أن يتكرموا بدفعه. إلى الآن لم يدفع منها إلا القليل فنكرر الآن الرجاء أن يتفضلوا بالدفع، حيث إنه قرب انتهاء العام الأول، وأن اثنين من أغنياء دمياط إلى الآن لم يدفعا قيمة الاشتراك بعد تكرار الطلب منهما. فتأمل أن يتكرما بالدفع بدون حاجة إلى التصريح بأسميهما»[1].

وهناك عتاب آخر على عدم دفع قيم الاشتراك فمن يأخذ الجريدة ولا يدفع ثمنها متناسياً الكلفة التي تنفقها في سبيل إيصالها إليه:

«وقد وجد بعض الذوات في بيروت ممن لم يستح أن ينكر علينا دفع قيمة الاشتراك زاعما أن هذه الجريدة تطبع بماء الغمام على صحف الهواء، لا بمواد وورق بثمن يدفع سلفا إلى معامل أوروبا. فضلا عن تعب تحريرها وأجرة طبعها وكلفة ارسالها إلى ناديه الشريف، فالظاهر أن جنابه آثر أن يذخر في كنز التاريخ ذكرا قبيحا لبخله، حتى يقوم أولاده وأولاد أولاده، بعد أجيال عديدة، ويطالعوا في صحف التاريخ أن والدهم المرحوم كان يستدين جريدة ثمرات الفنون وبعد ذلك ينكرها بلا تكليف»[2].

ولقد وردت التنبيهات الكثيرة لدفع قيمة الاشتراك، التي كانت تتأخر بالوصول إليها أو لأن الناس كانوا يأخذونها من غيرهم، ضناً بدفع ثمنها.

مواعيد صدورها.

صدرت جريدة الثمرات في بداية عهدها يوم الثلاثاء من كل أسبوع، ثم صارت يوم الخميس «وذلك لبعض ظروف من جملتها البرد»[3]. وفي السنة الرابعة وبناء على رغبة المشتركين بالجريدة وحرصهم، صار إصدارها مرتين في الأسبوع، يوم الاثنين ويوم الخميس مع بقاء قيمة الاشتراك[4].

إلا أن ذلك لم يتم، نظراً لكثرة المصاريف التي استغرقت كل الواردات، فبعد ثمانية أشهر من إصدارها مرتين في الأسبوع، عادت لتصدر مرة واحدة، في يوم الاثنين من كل أسبوع حتى آخر عدد[5].

ولقد استمرت الجريدة ابتداء من ١٤ ربيع الأول ١٢٩٢ هـ إلى ٨ شوال ١٣٢٦ هـ / الموافق ٢٠ نيسان ١٨٧٥ م إلى ٢ ت٢ ١٩٠٨م. وتضمنت ١٦٨٦ عدداً.

---

(١) العدد ٤٢ (٨ محرم ١٢٩٣ هـ/ ٣ شباط ١٨٧٦ م) ص ١ .
(٢) العدد ٧٨ (٢٤ رمضان ١٢٩٣ هـ / ١٢ ت١ ١٨٧٦ م) ص ١ .
(٣) ٣١ (١٨ شوال ١٢٩٢ هـ / ١٧ ت٢ ١٨٧٥ م) ص ١ .
(٤) ١٧١ (٦ شعبان ١٢٩٥ هـ / ٥ آب ١٨٧٨ م) ص ١ .
(٥) ٢٠٩ (٦ محرم ١٢٩٦ هـ / ٣٠ ك١ ١٨٧٨)ص ١ .

وكانت تعطل في مواسم الأعياد الخاصة بعيد الفطر، وعيد الأضحى المبارك. ولقد توقفت الثمرات مرات عديدة عن الصدور. ففي السنة التاسعة (١٨٨٤م) عطلت مدة لأسباب مادية، وفي السنة التاسعة عشرة سنة (١٨٩٢ م) توقفت مدة شهر وخمسة أيام[١]. وكذلك تعطلت في السنة الثانية والعشرين (١٨٩٦م) مدة خمسة عشر يوماً بسبب خبر حذفه المراقب[٢]. وتعطلت في السنة الثانية والعشرين (١٩٠١م) لمدة أسبوع لمخالفة قواعد المطبوعات[٣]. واحتجبت مدة ٤٩ يوماً تقريباً في السنة الحادية والثلاثين (١٩٠٤م) وحين تعود للصدور تبتدىء بالشكر والامتنان إلى السلطان من دون أن تذكر أسباب احتجابها[٤].

الوكلاء.

كان لجريدة **ثمرات الفنون** وكلاء في الجهات المختلفة من البلاد، ينقلون إليها أخبار الجهات الموجودين فيها، وكذلك يقومون بتوزيع الجريدة، وجمع قيمة الاشتراك من المشتركين. ولقد ورد في الثمرات أنه من أراد الجريدة فليطلبها من مطبعة جمعية الفنون، وفي الجهات من الوكلاء. كما أوردت أسماء في العدد الأول منها[٥]. ويلاحظ أنهم كانوا مختلفي المذاهب فمنهم المسيحي، ومنهم المسلم. كما نلاحظ توسع انتشار الجريدة.

في بيروت إدارة مطبعة جمعية الفنون في اللاذقية قاسم أفندي الشواف، في عكا محمد أفندي خليفة، في حماه محمد أفندي الأمير، في حيفاء صلاح زاده محمد بك، في قضاء الشوف محمد أفندي الأسير، في ازمير عبد الغني أفندي القني، في دمشق محمد رشيد أفندي الجلاد، في قبرس محمد أفندي غزاوي، في مركز لبنان خطار أفندي ثابت، في صيداء عثمان أفندي الزين، في يافا فرنسيس أفندي بيطار، في طرابلس محمود أفندي الشهال، في صور مصطفى آغا مملوك.

وتُصدر الجريدة أحياناً إعلاماً عن الوكلاء الذين ترسلهم إلى الجهات، لئلا يحصل خطأ مع المشتركين فمن ذلك:

«إعلام من إدارة هذه الجريدة:

سافر إلى صيداء فما بعدها جناب الفاضل عبد العزيز أفندي الأديب الذي عهدنا إليه وكالة الجريدة ومراسلتها بما فيه خدمة عامة. وقد أصحبناه بالوصولات المطبوعة المختومة. ولنا وطيد الأمل بحضرات

---

(١) ٨٩١ (٢٢ محرم ١٣١٠ هـ / ١٥ أغسطس ١٨٩٢ م) ص ٢.

(٢) ١١٠٤ (١٨ جمادى الثانية ١٣١٤ / ٢٤ ت٢ ١٨٩٦م) ص ٢.

(٣) ١٣٥٩ (٥ رمضان ١٣١٩ هـ / ١٦ ك١ ١٩٠١) ص ٥.

(٤) ١٤٩٨ (٢٢ شعبان ١٣٢٢ هـ / ٣١ ١ ١٩٠٤) ص ٥.

(٥) العدد الأول (١٤ ربيع الاول ١٢٩٢ / ٢٠ نيسان ١٨٧٥ م) ص ٤.

الوكلاء والمشتركين الكرام تلبية طلبه فيعود الينا شاكراً غيرتهم الملية وحميتهم الوطنية، وسلفاً نمحضهم خالص الشكر وعاطر الثناء[1].

وفي عدد آخر:

«عينا الأديب الفاضل الشيخ حسين أفندي الشاش وكيلاً متجولاً لجريدتنا هذه وسافر إلى اللاذقية وما يتبعها مصحوباً بالوصولات المطبوعة المختومة...»[2]

وهذا الإعلان الذي يرد من حين لآخر عن أسماء الوكلاء ومهمتهم، يحصل خوفا من التلاعب إذا ادعى أحدهم الوكالة وأخذ قيمة الاشتراك لنفسه، كما حدث مع بهاء الدين الصوفي، حيث سارعت الجريدة للتنبيه إلى ذلك الأمر:

«تنبيه من إدارة هذه الجريدة تعلم حضرات المشتركين في اللاذقية وغيرها بأن ليس لبهاء الدين الصوفي علاقة مع هذه الجريدة أصلاً، وأنه قد اختلس منها مبلغاً كبيراً فكل من يعتمده في شيء أو يدفع إليه شيئاً، فلا يعتبر مقبولا، جازاه الله بما يستحق»[3].

وحصل مرة تلاعب من قِبَلِ مأموري البوستة في حلب، وبغداد. وذلك ببيعهم الثمرات إلى غير أصحابها من المشتركين. فورد الخبر إلى الجريدة التي بادرت للتحذير من هذا الأمر:

«ما برح مشتركونا الكرام في حلب وبغداد يكثرون من الشكوى في تأخير وصول الثمرات إليهم تارة، وفقدانها أخرى. حتى كتب إلينا بعضهم في بغداد أنه رأى بعينه بعض مأموري بوستها يبيعون الثمرات إلى زيد وعمرو وسمّاهم فضربنا عن نشر أسمائهم الآن حتى إذا ارتدعوا عن غيهم وإلا رفعنا شكوانا إلى النظارة الجليلة رأساً. وقد اتخذنا هنا كل ما يمكن اتخاذه لإيصال الجريدة بأوقاتها المعينة عن طريق الشام. فنستلفت لذلك أنظار صاحب السعادة باشمدير بغداد وحلب لتلافي هذا الخلل، ومقاصصة الذين يتجرأون على بيع الجرائد، وإعطائها إلى غير أربابها أو تأخيرها عنهم»[4].

ولذلك أخذت الجريدة تعلن عن طلب الوكلاء الأمينين للجريدة:

«من إدارة هذه الجريدة: يطلب لهذه الجريدة وكيل متجول أمين فمن عرف في نفسه الكفاءة فليخابر إدارة الجريدة»[5].

---

(١) العدد ١٤٨٤ (٢٩ ربيع الانور ٣٢٢ / ١٣ حزيران ٩٠٤) ص ٦.
(٢) العدد ١٥٥٩ (٢٩ صفر ١٣٢٤ هـ / ٢٣ نيسان ١٩٠٦) ص ٤.
(٣) العدد ١٥٣٦ (١ رمضان ١٣٢٣ هـ / ١٧ ت١ ١٩٠٥) ص ٥.
(٤) العدد ١٥٣٧ (٨ رمضان هـ / ٢٤ ت١ ١٩٠٥) ص ٥.
(٥) العدد ١٥٥١ (٢ محرم ١٣٢٤ هـ / ٢٦ شباط ١٩٠٦ م) ص ١ .

وكان للجريدة اتطالات عديدة مع مختلف البلدان. فكانت تأتيها التلغرافات الخارجية من الآستانة العلية، ومن سائر الأقطار الإسلامية كالهند والجاوة والمغرب الأقصى والروسية[1].

وكذلك تأتيها الأخبار التلغرافية من مختلف البلدان الأجنبية من بطرسبرج وروميه وستراسبرغ وموسكو ولندرا وبرلين وباريز[2].

وكذلك تأتي المراسلات من مختلف البلدان، ومن أشخاص يهتمون بالجريدة، ويداومون على قراءتها. فيرسلون إليها بعض الأخبار أو المواضيع الأدبية والاجتماعية لتنشرها الثمرات بدورها ولقد خصصت باباً من أبوابها لهذا الغرض بعنوان مراسلات: فذكرت رسالة من تونس:

«بعث إلينا العلامة الأستاذ صاحب السيادة والفضيلة السيد محمد مكي بن عزوز التونسي نزيل دار السعادة بالقصيدة الآتية..»[3]

ومن اللاذقية: من محمود اسماعيل يطلب نشر رسالته عن رحلته إلى أوروبة..»[4] ومن المحجر الصحي رسالة بإمضاء «المسلمون»: «تلقينا من المحجر الصحي في الثغر الرسالة الآتية بالإمضاء المذكور وقد طلب إلينا نشرها..»[5].

وحين حاولت الجريدة التجديد أول ما فكرت به الحصول على كتّاب ومكاتبين أكفاء، لتحصيل الحقائق ولخدمة الدولة والسكان.

«ومعلوم أنه على قدر عناية الأهالي بالجرائد تكون خدمتها. ومن الوهم أن يظن بكفاية محرر واحد لجريدة أسبوعية أو اثنين أو أكثر. على أن الواحد قادر عل تحريرها بأقل من يوم. ولكن المقصود تحصيل الحقائق وذلك مما يستلزم لجريدة أسبوعية عدد من الكتّاب والمكاتبين الأكفاء الذين يعلمون كيف تكون خدمة حكومتهم الحقة وإسعاد سكانها»[6].

وفي السنة السابعة والعشرين زادت الجريدة عدد المراسلين والمحررين خدمة للقرّاء:

«أول ما وجهنا إليه السعي تكثير سواد المراسلين والمحررين من فضلاء الكتبة، ونخبة أهل الأدب الذين حبونا بكل ما جادت به قرائحهم، فـالـت به أقلامهم في المواضيع المختلفة، والأبحاث المتنوعة، خصوصاً ما كان منها متعلقاً بالوحدة الملية والجامعة العثمانية والتربية والتعليم الديني»[7].

---

(1) العدد ١٢٨٠ (٨ محرم ١٣١٨ هـ / ٧ أيار ١٩٠٠ م) ص ١ .
(2) العدد ٦١٦ (٧ جمادى الأولى ١٣٠٤ / ٩ ك٢ ١٨٨٧م) ص ٤.
(3) العدد ١٤٢٠ (٣ ذي الحجة ١٣٢٠ / ٢ آذار ١٩٠٣) ص ١ .
(4) العدد ١٤٢١ (١٧ ذي الحجة ١٣٢٠ / ١٦ آذار ١٩٠٣) ص ٦.
(5) العدد ١٤٣٧ (١ ربيع الثني ١٣٢١ / ٦ تموز ١٩٠٣) ص ١ .
(6) العدد ١٠٧٢ (١٦ شوال ١٣١٣ هـ / ٣٠ آذار ١٨٩٦ م) ص ١ .
(7) العدد ١٢٨٠ (٨ محرم ١٣١٨ / ٧ نوار ١٩٠٠م) ص ١ .

مظهر الجريدة:

صدرت جريدة **ثمرات الفنون** للمرة الأولى في أربع صفحات، وكل صفحة تحتوي على ثلاثة عواميد. ثم بناء على طلب القرّاء زادت صفحاتها إلى ست لكنها ما لبث أن توقفت عن ذلك نظراً لقلة الواردات التي تكاد تقوم بأود مصاريفها. وطلبت من المكاتبين أن يختصروا من مقالاتهم[(١)].

وفي سنتها السادسة عشرة (١٨٨٩ م) زادت أعمدتها، فأصبحت ستة عشر عامودا بدلاً من اثني عشر، أي بزيادة عامود في كل صفحة. وجاء الخبر:

«قد تيسر لنا الآن أن نوسع دائرة ما تستوعبه الجريدة من الأخبار، بأن جعلنا عواميدها ستة عشر عامودا»[(٢)].

وفي سنتها الخامسة والعشرين (١٨٩٨م) صارت الصفحات ثمانية بدلاً من أربعة وذلك تسهيلاً على من يود جمعها، وبقيت قيمة الاشتراك كما هي. أما الأعمدة فكانت ثلاثة[(٣)]. ثم أصبحت أربعة في السنة الثامنة والعشرين للثمرات مع البقاء على الصفحات الثمانية. أي أصبحت الأعمدة في الجريدة اثنين وثلاثين عامودا.

في حين كانت جريدة **البشير** تصدر في أول عهدها ١٨٧٢ م بثماني صفحات صغيرة[(٤)]. ثم أصبحت تصدر في عام ١٨٨٦ م في أربع صفحات كبيرة وتحتوي كل صفحة على أربع أعمدة[(٥)].

أما جريدة **لبنان** فكانت تصدر في عام ١٨٩١ م ضمن أربع صفحات متوسطة وفي كل صفحة أربعة أعمدة[(٦)]. وجريدة **لسان الحال** كانت تصدر في العام ١٨٨٤ م في أربع صفحات كبيرة وضمن أربع أعمدة[(٧)]. أما جريدة **التقدم**[(٨)] فكانت تصدر في عام ١٨٨١ م بأربع صفحات كبيرة[(٩)].

وهذا يظهر لنا التطور الكبير والسريع على جريدة الثمرات ومقدار اهتمام القراء بها، ما جعل صاحبها يسارع إلى التجديد والتطوير والإكثار من المباحث العلمية والأدبية فيها.

وكانت الثمرات تظهر بحلة جديدة في الاحتفالات والمناسبات، وخاصة بمناسبة الاحتفال بالعيد

---

(١) العدد ١٠٧ (٢٧ ربيع الثاني ١٢٩٤ هـ / ١١ أيار ١٨٧٧ م) ص ١ .
(٢) العدد ٧٦٠ (٩ ربيع الثاني ١٣٠٧ (٢ ك١ ١٨٨٩) ص ١ .
(٣) ١١٨١ (٢ محرم ١٣١٦ / ٢٣ أيار ١٨٩٨ م) ص ١ .
(٤) طرازي، **تاريخ الصحافة العربية**، ج٢ ص ١١.
(٥) **البشير** العدد ٨٥٠ (١٣٠٤ هـ / ١٨٨٦ م).
(٦) جريدة **لبنان**، العدد ٢١ (١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م).
(٧) **لسان الحال**، العدد ٧١٩ السنة السابعة (١٣٠٢ هـ / ١٨٨٤ م).
(٨) **التقدم** جريدة عمومية صدرت عام ١٨٧٤ م ليوسف الشلفون.
(٩) طرازي، **تاريخ الصحافة العربية**، ج ٢، ص ٢٢.

السلطاني، فتظهر مزينة بختم الدولة العثماني على الصفحة الأولى، فمن ذلك الاحتفال في سنة ١٨٩٣ م ب «عيد الجلوس السلطاني المانوس»[١].

وفي سنتها السابعة والعشرين احتفلت الثمرات ب « العيد الحميدي السعيد» فنشرت صورة ختم الدولة العثمانية التقليدي، وذلك بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على الجلوس السلطاني[٢].

وكذلك ظهرت بحلة جديدة حين ذكرت الاحتفال الكبير بمناسبة حضور الامبراطور غليوم، امبراطور المانيا، إلى بيروت وذكرت بالخط العريض ما يلي:[٣]

زيارة حضرة الامبراطور والامبراطورة لمدينتنا بيروت

Besuch, seiner Magestat des deutschen kaisers und ihre Magestat der kaiserin in Beirut.

كما تحتفل الثمرات أيضا بالمناسبات الدينية، فتبدأ بافتتاحية تهنىء فيها بالمناسبة المذكورة مثل الاحتفال بعيد الأضحى وعيد الفطر، والمولد النبوي الشريف، وذكرى الإسراء والمعراج، فتذكر الاحتفالات التي ترافق المناسبة. فمن ذلك الاحتفال بمناسبة عيد الأضحى:

«حضر إلى بيروت وإلى الولاية أحمد مدحت باشا وأقام النحر ولذلك صدع براع محرر جريدتنا بإعلان السرور وأبدى تهنئة دولته بعيد النحر فابتهجت به قلائد النحو فأطرب وأطرب وأعرب وأغرب»[٤].

وكذلك كانت الجريدة تنشر القوانين الرسمية الآتية من الدولة العلية مزيّنة الفرمان العثماني بأهلة وأقواس صغيرة على جانبي الأسطر.

ثالثاً: سياسة الجريدة وعلاقتها بالدولة.

دأبت جريدة ثمرات الفنون منذ عهدها على خدمة مصالح البلاد عامة، فكان القباني يود أن يقدم شيئا مفيدا للمجتمع أسوة بالكثير من أبناء الوطن الذين سبقوا في مضمار الصحافة. لذلك نجده يسعى إلى عدم التفرقة والتآلف بين الجميع. فيذكر في افتتاحية العدد الأول بأن هدفه «الدعوة إلى ما يوجب الائتلاف والإعراض عن ما يدعو للاختلاف[٥]. كما تطرق في الافتتاحية إلى فائدة الصحف التي هي من أهم أسباب التقدم والترقي، ذلك لأنها تنشر أعمال المحسنين وثوابهم، وتشهر أفعال المسيئين، فهي التي تبشر وتنذر وتحذر وتقدم الفوائد النافعة، وتكفي المرء مؤونة الاستخبار، وكلفة السؤال والاستفسار». ثم يعرض

(١) العدد ٩٤٤ (٢٣ صفر ١٣١١ هـ / ٤ أيلول ١٨٩٣).
(٢) العدد ١٢٩٧ (٨ جمادى الاولى ١٣١٨ / ٣ أيلول ١٩٠٠).
(٣) العدد ١٢٠٥ (٢٣ جمادى الآخرة ١٣١٦ / ٧ ت٢ ١٨٩٨).
(٤) العدد ٣٩ (٧ ذى الحجة ١٢٩٢ هـ / ١٣ ك٢ ١٨٧٦ م).
(٥) العدد الأول (١٤ ربيع الاول ١٢٩٢ هـ / ٢٠ نيسان ١٨٧٥).

القباني الأسس التي يجب أن تتبعها الصحيفة الناجحة فيقول: «هي التي يتحرى صاحبها جواهر الصدق، ولا يتعرض أعراض الخلق بغير الحق، ولا يتاجر بالأقوال الضعيفة والأخبار السخيفة، ويتجنب الحكايات الخرافية، والمعاني المبهمة، والمباني المعجمة، ويزينها بالملح واللطائف والنكات، ومحاسن الأمثال والكتابات، ويعرضها في قالب صحيح».

ولم تكن الأسباب التي دعت لإصدار الجريدة أسبابا مادية، وإنما كانت المصلحة العمومية هي القصد والهدف كما يذكر القباني في أحد أعداد الجريدة:

«قد علم الخاص والعام أننا لم نتخذ هذه الجريدة واسطة للربح أو التجارة، فاننا بفضل الله وكرمه، وتحدثا بنعمته جلّ شأنه في غنى عن ذلك كله، وإنما دعانا إلى إيجادها الخدمة الملية حسب ظروف الزمان والمصلحة العمومية التي تدعي كل مسلم إلى خدمتها دون أن يستحق عليها جزاء ولا شكورا»[1].

وفي مكان آخر:

«لم يكن قصدنا التجارة والربح من انشاء المطبعة والجريدة.. وإنما قصدنا بذلك تقديم الخدمة للدولة والوطن»[2].

ولقد أقام القباني جريدته على ثلاثة أهداف أساسية جعلها دعامات لبناء الجريدة. وهذه الأهداف تصب في خدمة الدولة والدين والوطن، كما كان يذكر دائما. ففي السنوات الأولى مثلا يقول:

«دخلت السنة السادسة على الثمرات وهي دانية القطوف، وارفة أفنان الفنون ساعية في خدمة الوطن والأمة بجدها وكدها، مؤثرة نفع العموم على نفعها الخصوصي»[3].

وفي سنتها العاشرة أيضا يقول:

«قضت تلك المدة وهي تعمل على خدمة الدولة والوطن بصدق النية، والمحافظة على المبادىء والمنافع العمومية، والحث على الاتحاد والاتفاق، ونبذ الخلاف والشقاق»[4].

وفي عددها الأخير سنة ١٩٠٨م يحدد القباني االأهداف التي قامت الجريدة على خدمتها فيقول:

«كانت خطتها المدافعة عن المسلمين، وخدمة مصالح الخلافة العظمى، والحضّ على ترقي المعارف، واستلفات سائر أبناء الوطن إلى الاتحاد والاتفاق ليكونوا يداً واحدة في خدمة منافع الجميع تحت ظل الهلال العثماني»[5].

---

(١) ١٠٧٢ (١٦ شوال ١٣١٣ هـ / ٣٠ آذار ١٨٩٦ م) ص ١ .
(٢) ٧٢٩ (١٤ شعبان ١٣٠٦ هـ / شباط ١٨٨٩ م) ص ١ .
(٣) ٢٧٠ (٢١ ربيع الاول ١٢٩٧ هـ / ٢ آذار ١٨٨٠ م) ص ١ .
(٤) ٥٠١ (١ محرم ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٤ م) ص ١ .
(٥) ١٦٨٦ (١ شوال ١٣٢٦ هـ / ٢٦ ت١ ١٩٠٨ م) ص ١ .

اتبعت ثمرات الفنون خطاً سياسياً واحداً تجاه الدولة، وسارت بمقتضاه طوال سنوات إصدارها، وهو الدفاع عن مصالح الدولة العثمانية الإسلامية والسلطان الحاكم، الذي هو أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين، وناصر الأمة الإسلامية. فكانت ترى أن طاعة السلطان فرض عين على المسلم، وعدم مخالفته مجمع على وجوبه بنص الذكر الحكيم، كما أن الخروج عن أمره محظور. لذلك نجدها تعمد إلى مدح كل سلطان يتسلم الحكم. ففي بداية عهدها كانت تتوجه بالمدح والثناء إلى السلطان عبد العزيز[1]، ثم بعد خلعه أخذت تتوجه إلى السلطان مراد[2] وتصفه بأنه مستحق لسرير الخلافة والسلطة، فتقول:

ندعوك يا رب الأنام تضرعا	فأنل مريدك بالدعاء مرادا
وأدم لنا التوفيق واحفظ دائما	سلطاننا روح الوجود مرادا[3]

ثم بعد خلعه اتهمته بانحراف المزاج، وتحولت وجهتها إلى السلطان الجديد كما جاء في الجريدة:

«.. فللك سوغت أصول الشريعة المحمدية وفروع الطريقة المصطفوية خلع ذلك السلطان ومبايعة مولانا المعظم السلطان عبد الحميد خان ابن ساكن الجنان السلطان عبد المجيد، ذلك السلطان الذي كان به طالع الملك آي سعيد حسبما اقتضته وراثة الخلافة العثمانية والأصول المشروعة في الدولة العلية حيث كان مولانا أطال الله بالعز أيامه أحق بها وأهلها بلا خوف..»[4]

ومنذ ذلك الوقت واظبت الجريدة طوال سنواتها على مدح السلطان عبد الحميد، وذكر مآثره والدعاء له في كل مناسبة، معتبرة أن عصره هو العصر السعيد. فذكرت ما يلي:

«فان المقصر عن بلوغ غاية النجاح في العصر السعيد الحميدي لا يلوم إلا نفسه، لأن فاروق هذا الزمان أحب العدل وأمر به، وتحمل المشاق رغبة في اعزاز السلطنة السنية والوطن»[5].

غير أن التملق للسلطان ومدحه بصورة مستمرة لم يكن يثني الجريدة عن التوجه باللوم والانتقاد إلى مأموري الدولة، وطرق الاستبداد التي يمارسونها على الناس، فتتهمهم بالظلم وعدم تأدية واجباتهم، وتضييعهم لحقوق كثير من أهالي البلاد المظلومين. فكانت تعتبر أن المأمورين هم أصل كل شر وفساد في البلاد بسبب «ارتكاباتهم الفظيعة وأعمالهم المغايرة واستبدادهم بظلم العباد، وتأخير اقامة حقوق المظلومين»[6]. كما انتقدت فرض الضرائب القاسية على المواطنين، خاصة الفقراء الذين لا يستطيعون

---

(١)و(٢) تولى السلطان عبد العزيز الحكم من سنة ١٨٦١ م إلى سنة ١٨٧٦ م ثم خلع بعد ذلك وعين مكانه ابن أخيه السلطان مراد سنة ١٨٧٦ م الذي لم يستمر سوى ثلاثة أشهر في الحكم ثم اتهم بالجنون وخلع من منصبه.

(٣) ٦٠ (١١ جمادى الاولى ١٢٩٣، ٨ حزيران ١٨٧٦ م) ص ١ .

(٤) ٧٣ (١١ شعبان ١٢٩٣ هـ / ٧ أيلول ١٨٧٦ م) ص ١ .

(٥) ٧٥٦ (١٠ ربيع الاول ١٣٠٧ / ٥ ت٢ ١٨٨٩ م) ص ١ .

(٦) ١٩٢ (٢٤ شوال ١٢٩٥ هـ / ٢١ ت١ ١٨٧٨ م) ص ١ .

تأدية ما يفرض عليهم، فجعلت الجريدة من نفسها لسان حال المواطن الضعيف تدافع عنه وتتهم المأمور بالإهمال وتعتبره العائق في سبيل تحقيق إصلاح الأحوال بسبب ما يفعله من الشره في وضع الضرائب بما يحمل على زيادة النوائب»[١].

وذكرت في أحد أعدادها أن سياستها هذه التي تقضي بقول الحق، ومنع الظالم حتى ولو كان ذا منصب عال، نابعة من الدين الإسلامي الذي يحرم الظلم ويدعو لمعاقبة الظالم. فهي حين تندد بأعمال السيئين إنما تؤدي خدمتها الدينية قبل كل شيء فتقول بأنها:

«انتصرت للمظلوم من الظالم بما قدرت عليه، ونددت بمساعي الذين لا يحسنون عملاً، ولم يمنعها عن ذلك علو منزلة الظالم ولا اتقاء بطشه كما أن الشرع الشريف والقانون المنيف حرما الظلم وحكما على شخص الاستبداد بالاعدام»[٢].

ويبدو أن سياستها هذه لم تكن تلاقي صدى مستحباً عند بعض الوجوه لأنها لم تتبع أسلوب المدح والثناء للولاة أو لأصحاب النفوذ في البلاد، لذلك فقد أشار البعض على الثمرات أن تغير سياستها، وأن تمتدح بعض الوجوه كسباً لرضاهم، ولكن الجريدة ترفض هذا الأمر مؤثرة الصدق في تعاملها مع الدولة فتقول:

«.. ولا ننكر أننا تحملنا مشقات غير قليلة في سبيل التمسك بالمشرب الذي حافظنا عليه إلى الآن، ولكن يسرنا أن أكثر الناس خصوصا مشتركي جريدتنا قد عرفوا مزية مسلكها، وإخلاص صدقها في خدمتها للدولة والوطن، ونحن لا نتأخر عن نشر الأعمال والأفعال التي تشعر بالمدح أو الذم... فان المدح الذي لا يصادق عليه الضمير غش مضرّ بالمصلحة العامة»[٣].

وقد حافظت الجريدة على منهجها حتى بعد توقيف العمل بالدستور عام ١٨٧٧ م وتعطيل نظام المطبوعات، ثم اشتداد الرقابة الصحافية وما رافقها من ضغط على الكتابات، ومنع بعض الألفاظ مثل: الدستور، مدحت باشا، الحرية.[٤]. واستمرت في انتقاد المأمورين فأصدرت موضوعا بعنوان «الحرية» في سنة ١٨٨٠ م واعتبرت أن الحرية هي المساواة في الحقوق، واشتراك الأهالي بمنفعة الوطن وتعاضدهم على القيام بمصالحه. ثم ختمت هذا الموضوع بالقول:

«لم يبق علينا إلا أن نطالب بحقوقنا التي ضنّ علينا بها بعض المستبدين الذين يفضلون المحبة الذاتية التي هي أساس كل تأخر وسبب كل ضرر على المنفعة العمومية المنوط بها سعادة الملك والرعية»[٥].

---

(١) ٢٨٢ (١٥ جمادى الثانية ١٢٩٧ هـ / ٢٤ أيار ١٨٨٠) ص ١ .
(٢) ٥٠١ (١ محرم ٣٠٢ هـ / ١٨٨٤ م) ص ١ .
(٣) ٧٢٩ (١٤ شعبان ١٣٠٦ هـ / شباط ١٨٨٩ م) ص ١ .
(٤) الرفاعي، تاريخ الطباعة السورية، ج ١، ١٤١.
(٥) ٢٨٤ (٣٠ جمادى الثانية ١٢٩٧ هـ / ٧ حزيران ١٨٨٠ م) ص ١ .

كذلك دافعت عن الوالي مدحت باشا بعد أن عزله السلطان عبد الحميد، ومنعت الرقابة الصحفية ذكره. فقالت بأنه «كان من أشد الناس إصراراً على الوحدة العثمانية لعلمه أن القوة بالاتحاد لا بالتجزئة»[1]. وردّت أسباب عزله إلى ترويج الدسائس ضده، وخاصة من قبل بعض الدول مثل روسيا التي جعلت منه خائنا في نظر السلطان رغم براءته[2].

ومن سياسة الثمرات في نقل الأخبار أنها تعتمد على نشر ما يوجب الائتلاف بين المواطنين والدولة، أما الأخبار التي من شأنها إثارة الفتن في البلاد، فلا تنشر شيئاً منها، حفاظاً على المصلحة العامة. ورغم أن كثيرا من جرائد بيروت كانت تأخذ أخبارها عن مصادر أجنبية أو مصادر عدوة للدولة، فلقد بقيت الثمرات محافظة على موقفها الذي يراعي الشعور العام وذكرت أنه:

«على فرض إعطاء الحرية، فلا يجوز نشر مطلق الأخبار بل يجب نشر الصحيح وما هو واضح وصريح»[3].

أما نشر الأخبار على علاتها، فانه يؤدي إلى الفتن في البلاد، لذلك فالثمرات «لا تتعمد نشر ما يوجب تخديش الأذهان بل ما فيه منفعة الأوطان»[4]. وتوجهت باللوم إلى أصحاب الجرائد الذين يضعون الأخبار الملفقة في جرائدهم وينقلون الأخبار بدون تدقيق ولا تمحيص، عن الجرائد الأجنبية التي لا يهمها سوى الضرر بمصلحة الدولة وإنزالها منزلة الظلم والعدوان. وأهم الجرائد الأجنبية المحرضة على الدولة العثمانية هي جريدة التيمس البريطانية «التي كان أكبر همها نشر ما يقلق العالم بأسره بوضع أراجيف بها من تلقاء نفسها أو من مكاتيبها»[5] فقامت الثمرات تحذر من هذه الجريدة المعادية للدولة، ومن كل جريدة تكون في مصافها وتساعد على إثارة الفتن فتقول:

«إذ ليس من الصواب أن تأخذ عن بعض جرائد أوروبا ما شاء أهل الأغراض إذاعته عن بلادنا قضية مسلمة، ونجعله أساساً لابداء الملاحظات»[6].

ومن الجرائد المحلية التي انتقدتها الثمرات جريدة الجنة[7]، فاتهمتها بنشر الأخبار الكاذبة التي تنقلها عن الجرائد الأجنبية، ما يشكل خطرا على الأفكار العامة، فقالت:

«ولم يخطر للثمرات في بال أن الجنة التي هي مثلها جريدة وطنية تخدم الوطن تؤثر عليها جريدة أجنبية عدوة للدولة والملة، كثيراً ما هيجت الدول والشعوب على الدولة العلية فهي شر من الدالي نيوز»[8].

---

(١) ٢٩٧ (٩ شوال ١٢٩٧ / ١٣ أيلول ١٨٨٠ م) ص ٢.
(٢) العدد نفسه.
(٣) ٤٠ (٢٤ ذي الحجة ١٢٩٢ هـ / ٢٠ ك٢ ١٨٧٦ م) ص ١ .
(٤) ٦٤٠ (٢٩ شوال ١٣٠٤ هـ / ٥ حزيران ١٨٨٦ م) ص ١ .
(٥) ٤٦ (٦ صفر ١٢٩٣ هـ / ٢ آذار ١٨٧٦ م) ص ١ .
(٦) ١٠٧٢ (١٦ شوال ١٣١٣) / ٣٠ آذار ١٨٩٦ م) ص ١ .
(٧) الجنة لسليم البستاني صدرت في سنة ١٨٧٠ م وهي جريدة سياسية تجارية أدبية.
(٨) ١٢٦ (١٢ رمضان ١٢٩٤ / ٢ أةلول ١٨٧٧ م) ص ١ .

وقامت محاولات بين الثمرات وجرائد أخرى كالأهرام[1]، والصدى[2] حول قضية تأييد الدولة العثمانية، فكان موقف الثمرات الدائم هو القيام بخدمة الدولة وعدم إثارة الفساد في البلاد. ولا تريد خدمة أغراض الدول الأجنبية في إنزال الخراب بالدولة، كما أخذت تتهم الصحف الأخرى بخدمة أغراضها الخاصة ومساندة الدول الأجنبية في سياستها الهادفة لإثارة الدسائس وتوجيه الرأي العام ضد الدولة العثمانية.

وكانت الثمرات تلاقي في بعض الأحيان تأييدا من أصحاب الدولة، ففي سنة ١٨٨٩ م استدعى دولتلو عزيز باشا القباني إلى نظارة الداخلية وأخبره بامتنان النظارة من مسلك الجريدة الذي تنتهجه[3]، ولكن رغم ذلك تلقت الجريدة إخطارات عدة من قبل الدولة بسبب نشرها بعض الأخبار الممنوعة، كما تعرضت للإقفال لمرات عديدة أيضا فكانت تذكر الأسباب حيناً وأحياناً كثيرة لا تذكرها، لكنها بعد عودتها كانت تردد آيات الحمد والثناء على الدولة والسلطان، وتدعو له بطول العمر والبقاء، وتتابع أعمالها وسياستها التي انتهجتها، فلقد عُطلت في سنة ١٨٩٢ م ولم تذكر الأسباب وعطلت في سنة ١٨٩٦ م بسبب ذكرها خبراً حذفه المراقب[4]. وعُطلت في سنة ١٩٠١ م بسبب «مخالفتها القواعد والأصول»، واحتجبت في سنة ١٩٠٤ م مدة طويلة من دون ذكر الأسباب، وحين عادت للصدور قالت:

«الحمد لله فهذه جريدتنا ثمرات الفنون قد عادت اليوم إلى عالم الظهور بعد أن احتجبت عن قرائها الكرام أمدا ترتل آيات الحمد والشكر لحضرة سيدنا ومولانا أمير المؤمنين، وتجهر بالدعاء إلى المنعم الوهاب بأن يهبه العمر المديد والعز المزيد..»[5].

أما الاخطارات التي وجهت إلى ثمرات الفنون وإلى العديد من الصحف أيضاً، فهي بالإجمال تحذيرات عامة تدعو لاتباع نظام الصحافة، وعدم نشر الأخبار التي تثير البلبلة في البلاد، ومن هذه الاخطارات ما ورد سنة ١٨٨٢ م من وكيل متصرف بيروت جاء فيه:

«عزتلو أفندي صاحب امتياز جريدة ثمرات الفنون:

«من جانب الولاية مؤرخاً في ٣ تموز ٩٨ بأنه قد نشر حوادث الاسكندرية من شأنها تخديش أذهان الأهالي، ومن المعلوم أنه لا يكون لذلك فائدة سوى المضرة، وأنه لا يكون نشر هذه الحوادث ممنوع،

---

(١) الأهرام جريدة أنشأها سليم تقلا وبشارة تقلا سنة ١٨٧٦ م في الاسكندرية.

(٢) الصدى جريدة صدرت في باريس سنة ١٨٧٧ م لمديرها جبران دلال الحلبي.

(٣) ٦٧٤ (٧ جمادى الاولى ١٣٠٧ / ك١ ١٨٨٩ م) ص ١.

(٤) العدد ١١٤ (١٨ جمادى الثانية ١٣١٤ / ٢٤ ت٢ ١٨٩٦ م) ص ٢. ولقد جاء في نص التعطيل ما يلي: «إلى صاحب امتياز ثمرات الفنون حيث أن جريدة ثمرات الفنون قد ذكرت في عددها الأخير ما حذفه المراقب اقتضى تعطيلها مدة خمسة عشر يوماً.

(٥) ١٤٩٨ (٢٢ شعبان ١٣٢٢ / ٣١ ت١ ١٩٠٤) ص ٥.

فيقتضي أن يصير اخطار أصحاب امتياز الجرائد بأن بعد الآن لا ينشروا حوادث من هذا القبيل فاقتضى إفادة الكيفية لجنابكم لكي يصير توقيف الحركة بعد الآن. .»[1].

وهذه الحوادث هي التي جرت سنة ١٨٨٢ م عند دخول الجيوش الانكليزية إلى مصر وضربهم لمدينة الاسكندرية وتدميرها، فكانت الثمرات قد ذكرت هذه الحوادث، ما استدعى توجيه الإخطار إليها.

كما ورد اليها إخطار آخر في سنة ١٨٨٧ م، وهو إخطار عمومي لجرائد المدينة كافة لمنعها من نشر الأخبار المضرة بمصلحة الدولة، وخصوصاً التي تنقل عن الجرائد الأجنبية مما يخالف نظام المطبوعات ومما لا تسمح به الدولة وقد ذكر في نص هذا الإخطار:

«. . فبناء عليه اقتضى ابلاغ هذا الإخطار العمومي إلى جميع جرائد البلدة لكي أن إدارات هذه الجرائد تتجنب بعد الآن كل المجانبة لنشر شيء مما تقدم ذكره سواء كان نقلا عن غيرها أو انشاء من قلم إدارة تحريرها، ولا سيما إذا كان ذلك متعلقا بالأمور السياسية أو الحوادث المحلية، وكل من يسلك بعد الآن من أصحاب الجرائد المذكورة على هذا المنوال، فيكون تحت طائلة المجازاة القانونية بدون أدنى تسامح، فالمأمول من جنابكم رعاية ما ذكر فيما يأتي ونشر هذا الإخطار في أول عدد يصدر من جريدتكم»[2].

وكذلك وجّه إليها إخطار في السنة نفسها من وكيل مدير الأمور الأجنبية والمطبوعات في سورية يوسف طنوس، وذلك لمنع إدراج الأخبار التي «توجب تخديش الأذهان» بشأن المقاولة العثمانية الانكليزية المتعلقة بمصر[3].

وفي سنة ١٨٩٧ م وجّه المكتوبي محمد فصيح إخطاراً للجريدة بسبب مخالفتها «للقواعد والأصول» جاء فيه:

«إخطار: حيث إن جريدة ثمرات الفنون خالفت الأصول والقواعد اقتضى إخطارها وإذا تكرر ذلك تقرر تعطيلها»[4].

ولم تكن الجريدة تنفرد بنشر هذه الإخطارات التي تصدرها الدولة، بل كانت تنشر أيضا في الصحف الأخرى مثل **البشير، والجنة، ولسان الحال**[5].

ولقد استمرت الجريدة على تأدية عملها طوال عهد السلطان عبد الحميد الثاني رغم تعطيل الدستور،

---

(١) ٣٩١ (٨ رمضان ١٢٩٩ هـ / ٢٦ حزيران ١٨٨٢ م) ص ١ .
(٢) ٦١٩ (٢٨ جمادى الاولى ١٣٠٤ / ٩ ك٢ ١٨٨٧ م) ص ١ .
(٣) ٦٤٠ (٢٩ شوال ٣٩٤ هـ / ٥ حزيران ١٨٨٧ م) ص ١ .
(٤) ١١٢٢ (٢٦ شوال ١٣١٤ هـ / ٢٩ آذار ١٨٩٧ م) ص ٢.
(٥) **البشير** في العدد ٨٥٧ والعدد ٨٧٧ سنة ١٨٨٧ م، **الجنة** في العدد ١٢٢٨ هـ ١٨٨٢ م والعدد ١٣٥٩ في سنة ١٨٨٤ م، **ولسان الحال** في العدد ٧٠٧ سنة ١٨٨٤ م.

لكن بعد إعادة العمل به سنة ١٩٠٨ م واستلام جمعية الاتحاد والترقي الحكم، أخذت الجريدة تشعر بنوع من الحرية في الكتابة فأخذت تنشر المقالات التي تعبّر عن الحرية والعدالة والمساواة التي كانت شعار الجمعية. وجاء في إحدى المقالات التي نشرتها الجريدة ما يدل على هذه الحرية فجاء فيها:

«لقد أصبحنا أحراراً بعد أن كان مغلوباً على أمرنا، وأصبح كل شخص يستطيع أن يجاهر بما يجول في خاطره بعد أن انفتحت لنا أبواب العدالة، وأصبحنا في مأمن من الاستبداد، فمن العجز أن نسكت عن خونة المأمورين»[1].

كما أخذت تنشر كل ما يأتيها من بيانات وإعلانات تتعلق بالجمعية الجديدة التي استولت على الحكم وأعادت الدستور. أما السلطان فلم تتعرض له ولم تذكره إلا في الأعياد والمناسبات.

إلا أن الجريدة سرعان ما أدركت أن جمعية الاتحاد والترقي لم تكن تعمل فعلاً من أجل الحرية والأخاء والمساواة كما أعلنت في بداية عهدها.

فكتب الشيخ القباني مقالاً بعنوان «الحق أحق أن يقال ويتبع» ندّد فيه بما نزل به من الحيف والظلم بسبب عزله عن نظارة المعارف في بيروت سنة ١٩٠٨ م، بعد أن استمر فيها زهاء ست سنوات، وقال بأسلوب لا يخلو من التورية:

«فرحنا بالقانون الأساسي، وابتهجت به القلوب سرورا، وكنا نترقب ذلك بكل أمل للتمتع بالعدالة والحرية والانصاف...

وأقسم بفالق الحب والنوى وبحقوق الوطن المقدسة التي تحملت لأجلها كل الجهد أني لو عزلت قبل زمن الحرية والقانون الأساسي لما خطر في بالي غير الشكر والامتنان، إلا أن حصوله في مثل هذه الأيام، أيام إشراق نور القانون الاساسي والحرية، حملني على تقديم الاستدعاء تلغرافيا إلى المقامات العالية»[2].

ويظهر لنا أن عدم التوافق بين القباني والجمعية الجديدة ثم الدسائس التي حيكت حوله وتحمسه السابق للسلطان عبد الحميد، دفع القباني إلى إقفال الجريدة التي لم تنل الحظوة لدى السلطات الجديدة. فأقفلت بعد استمرار دام خمساً وثلاثين عاماً.

رابعاً: مواضيع الجريدة

تناولت جريدة ثمرات الفنون المواضيع السياسية والاجتماعية والأدبية والعلمية والاقتصادية والحضارية والدينية، بحيث لا يكاد يخرج موضوع عن نطاق اهتمامها، أما الصفة التي وسمت نفسها بها، فذكرتها في العدد الأول من ثمرات الفنون أنها:

---

(١) ١٦٨٣ (١٠ رمضان ١٣٢٦ هـ / ٥ ت ١٩٠٨١) ص ٨.

(٢) ١٦٧٨ (٤ شعبان ١٣٢٦ هـ / آب ١٩٠٨) ص ٢.

«صحيفة تحتوي على حوادث سياسية ومحلية وتجارة وفنون»[1].

أما من حيث كونها جريدة[2] سياسية فهي تخبر بما يحدث داخل الدولة العثمانية وخارجها، من أخبار وحروب وثورات ومعاهدات مما يعكس صورة الوضع السياسي العام.

وأما من حيث كونها محلية، فهي تتحدث عن شؤون البلاد الداخلية وتذكر ضمنها التعينات والاحتفالات الرسمية والأعياد الدينية إلى ما هنالك من أخبار عديدة ومتفرقة.

أما اهتمامها بالتجارة، فقد قصدت التحدث عن الأحوال الاقتصادية في البلاد العثمانية، لأن الجريدة لم تقتصر على أخبار التجارة فحسب، بل اهتمت أيضاً بالصناعة والزراعة والمواصلات.

أما تعبيرها بالفنون، فقصدت به التنوع والتوسع في المواضيع الفنية، مثل الأدب والفلسفة والأخبار الفنية المتفرقة.

وفي سنة ١٨٩٨ م السنة الخامسة والعشرين للجريدة جرى تعديل على مظهرها من حيث ترتيب المواضيع وتنسيقها، فأدخلت أبوابا جديدة، ونظمت كل موضوع ضمن بابه. فكان هناك باب للمباحث العلمية الأدبية التاريخية، وباب للفوائد الصناعية الزراعية، وباب للاكتشافات والاختراعات، وباب للفكاهات، بالإضافة إلى أبواب أخرى، فأخذت صفتها تتبلور بصورة أوضح فذكرت أنها:

«صحيفة سياسية علمية أدبية»[3].

فأبقت على صفتها السياسية التي اتسمت بها منذ البداية، ثم أعطت للأبواب التي تتضمن المواضيع العلمية والطبية والاكتشافات الحديثة.. الصفة العلمية. كذلك أعطت الأبواب التي تتضمن المواضيع الأدبية واللغوية والفلسفية، الصفة الأدبية.

ولما كانت كل جريدة في ذلك العصر تمثل وجهة نظر طائفتها، فقد اعتبرت **ثمرات الفنون** الناطقة باسم المسلمين، في حين كانت جريدة **البشير**[4] مثلا تنطق باسم الكاثوليكيين، **والهدية**[5] تنطق باسم الارثوذكس.

---

(١) العدد الاول (١٤ ربيع الاول ١٢٩٢ هـ / ٢ نيسان ١٨٧٥ م).

(٢) عرفت **ثمرات الفنون** باسم جريدة وبهذا تكون قد خرجت عن كونها مجلة كما يدعي البعض. لأن المجلة هي التي تصدر في صورة كتاب، وفي فترات معينة ومتباعدة. وأول من أطلق اسم صحيفة على المنشورات هو الكونت رشيد الدحداح الذي أصدر برجيس باريس سنة ١٨٥٨ م. لكن سرعان ما عارضه أحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب بلفظة «الجريدة» ثم شاع هذا الاسم (راجع طرازى، **تاريخ الصحافة العربية** الجزء الأول ص ٧).

(٣) ١١٨١ (٢ محرم ١٣١٦ ٢٣ نوار ١٨٩٨ م).

(٤) **البشير** صحيفة كاثوليكية دينية إخبارية أنشأها الأب أميروسيوس مونو سنة ١٨٧٠ م.

(٥) **الهدية** نشرة شهرية دينية صدرت سنة ١٨٨٠ م بإيعاز من السيد غفرائيل شاتيلا مطران الروم الأرثوذكس.

كانت مقالات الجريدة في بداية عهدها تكتب متفرقة، ومن دون ترتيب فتبدأ مرة بالحوادث السياسية، ومرة بالإعلانات وأحياناً بالأخبار المحلية قبل أخبار الآستانة. لكن بعد سنة ١٨٩٨ م، اتخذت الجريدة نظاماً جديداً سارت على مقتضاه، بحيث أصبحت المقالات مرتبة ضمن الأبواب المخصصة لها.

ولقد حرصت الجريدة أن تبين منهجها الجديدة في هذا المجال في بيان نشرته في مطلع عامها الخامس والعشرين جاء فيه[١]:

أولاً - جملة سياسية تحت عنوان (اجمال الأحوال) نودعها ما استطعنا أهم أخبار الأسبوع داخلية وخارجية، مع ما تحمله الينا الشركات البرقية والصحف الأوروبية وغيرها مع ملاحظات وشرح ما أغمض منها.

ثانياً - أخبار السعادة من توجيهات وغيرها مقتطفة من أشهر جرائدها.

ثالثاً - تاريخ الحرب الأخيرة بين دولتنا العلية واليونان معرّبا عن الانكليزية المسألة الشرقية بأنواعها ومتفرقاتها مبينا علاقة كل دولة من دول أوروبا بدولتنا العلية ونياتهن نحوها سابقاً ولاحقاً. وربما أتينا عند الانتهاء منه بتاريخ الإسلام منذ نشأته حتى الآن.

رابعاً - أخبار محلية مما يجعل ذكره بجريدة أسبوعية ذات مباحث جمة وفوائد مهمة.

خامساً - أخبار داخلية وفيها المراسلات وحوادث الجهات إلى غير ذلك من الأخبار الإسلامية في البلاد العثمانية وغيرها مما فيه خدمة للعالم الإسلامي.

سادساً - مباحث علمية أدبية تاريخية، وقد اخترنا الآن العلم وأنوعه يتلو ذلك ترجمة أحد العلماء ثم نكات أدبية.. وأودعناه من المباحث اللغوية والمناظر ما يسر الخاطر.

سابعاً - فوائد صناعية زراعية، مما فيه فائدة للوطن وبنيه بحسب احتياجات الوقت وفنونه.

ثامناً - منشورات سياسية مما لم يذكر في الجملة الافتتاحية من أخبار أوروبة وغيرها مما يهم القرّاء معرفته والوقوف عليه.

تاسعاً - اكتشافات واختراعات العصر وعجائبه مما فيه فائدة عامة.

عاشراً - فكاهات ولطائف أدبية ترتاح إليها النفوس وتنشرح بتلاوتها الصدور.

أحد عشر - أخبار متفرقة[٢].

---

(١) ١١٨١ (٢ محرم ١٣١٦ / نوار ١٨٩٨ م).

(٢) ١١٨١ (٢ محرم ١٣١٦ / نوار ١٨٩٨ م) ص ١ .

إلا أن هذا المظهر الجديد للجريدة لم يراع ترتيب المواضيع ضمن أبوابها المختصة بها تماما. فنلاحظ مثلاً أن «المباحث العلمية الأدبية التاريخية» قد وضعت في الباب السادس، بينما وضعت «الفكاهات واللطائف الأدبية» في الباب العاشر مع كونها ذات مواضيع أدبية، وكذلك «الاكتشافات والاختراعات» وضعت ضمن الباب التاسع مع كونها مواضيع علمية. ووضعت «المنشورات السياسية» مفردة و«الأخبار الداخلية» أيضاً مع كونها مواضيع سياسية.

لذلك جرى تعديل آخر على ترتيب مواضيع الجريدة أعلنت عنه في السنة السابعة والعشرين لصدورها، أي سنة ١٩٠٠ م فذكرت ما يلي:

«عزمنا في هذا العام إجابة لداعي الأيام على فتح أبواب المباحث الآتية مع العناية في ترتيب الجريدة وتبويبها على صورة تكفل رضاء القرّاء وتضمن راحة المطالعين إن شاء الله:

ما جريات السياسة: ننشر فيه ما كان ينشر تحت عنوان «اجمال الأحوال» من مختلف الأخبار السياسية العامة.

صدى الإسلام: ننشر فيه جميع الرسائل التي تردنا من الأقطار الإسلامية كالهند وجاوه والمغرب الأقصى، والروسية وغيرها، مع ما نقف عليه من أخبار تلك الجهات وحوادثها في الصحف المنشورة.

التربية والتعليم: وفيه جميع الفصول والمقالات الفنية التي تتعلق بشأنه.

علم الاجتماع البشري: وفيه كل ما له علاقة بالحياة الاجتماعية المادية والاقتصاد المدني على مقتضى القواعد والأصول الجديدة.

الأخلاق والعادات: ننشر تحت هذا العنوان نتائج التأملات في الآداب العامة من حيث المطعم والمسكن والملبس، وما يجرى في المراسم والأعياد وغيرها من أصول المجتمع.

مناهج البيان: ننشر فيه كل ما يستحسن من بنات أفكار الكتبة والشعراء المنتشرة في بطون الدفاتر والأوراق القديمة، وما نقف عليه من بدائع الشعر الحديث والكتابة العصرية، التي تصدر في عالم المطبوعات الجديد.

تجاريات: ننشر تحت هذا العنوان زبدة الأخبار التجارية التي تهم بلادنا وكل ما له مساس بالتجارة من المشروعات والأعمال العمومية[1].

فبعد أن كانت تنشر المواضيع السياسية متفرقة ضمتها كلها تحت عنوان «ماجريات السياسة». أما الأخبار الداخلية بما فيها من أخبار الجهات الإسلامية، فصارت تحت العنوان الجديد «صدى الإسلام».

---

(١) ١٢٨٠ (٨ محرم ١٣١٨ / أيار ١٩٠٠ م) ص ١ .

وأدخلت باباً جديداً باسم «التربية والتعليم» بعد أن كان هذا الموضوع يدرج في مباحث أدبية أحيانا وفي الأخبار المحلية أحياناً أخرى. كذلك افتتحت باباً جديداً عنوانه «علم الاجتماع البشري» تضمن مواضيع اقتصادية واجتماعية وعمرانية وأحياناً فلسفية مما كان يذكر أحيانا كثيرة ضمن باب «مباحث علمية أدبية تاريخية». أما باب الاخلاق والعادات» فهو باب جديد تضمن مواضيع تتحدث عن أحوال المجتمع والآداب العامة، وهناك باب جديد أيضا هو «مناهج البيان» وضعت الجريدة ضمنه ما كانت تنشره من مواضيع المباحث الأدبية والفكاهات. أما الباب السابع «التجاريات» فهو باب مخصص للمواضيع الاقتصادية العامة.

هذا بالنسبة لأبواب الجريدة وتنسيقها. ونلاحظ أنه قد مرت فترة طويلة تقدر بخمس وعشرين سنة، لم يكن تنظيم المباحث فيها مستقراً على اتجاه معين. كما نلاحظ أنه خلال سنتي ١٨٩٨ م و١٩٠٠ م جرى تغير سريع على طريقة عرض المواضيع وتنظيمها.

أما المواضيع الأساسية للجريدة، فنستطيع أن نصنفها بما يلي:

أخبار ومواضيع سياسية، مواضيع اجتماعية، مواضيع أدبية وفنية، مواضيع اقتصادية، مواضيع حضارية، مواضيع علمية، ومواضيع دينية.

لكن إذا أردنا أن نجري إحصاء على عدد مقالات الجريدة في كل موضوع لوجدنا تفاوتا فيما بينها، إلا أن الكمية لا تعطي صورة عن الأهمية، فقد يوجد مواضيع قليلة العدد كبيرة الأهمية. لكن هذا الاحصاء يعطينا فكرة عن نسبة اهتمام الجريدة في كل موضوع[١]. فنلاحظ ما يلي:

المواضيع السياسية ويبلغ عددها ما يقارب الألف وتضمنت أخبارا داخلية وخارجية وتعليقات سياسية وتعيينات وقوانين.

تليها المواضيع الاجتماعية ويبلغ عددها ما يقارب الثمانماية موضوع وتضمنت أخباراً ونقاشات اجتماعية ومواضيع تربوية وتعليمية وأخلاقية.

والنسبة نفسها تالها مواضيع الفنون الأدبية التي تبلغ ثمانماية موضوع وتشمل على الفنون التالية: الأدب واللغة والقصص وأخبار المسرح وأخبار الكتب والمكتبات بالإضافة إلى أخبار الصحافة التي تضمنت مناظرات أدبية.

وهناك المواضيع الاقتصادية ويبلغ عددها ما يقارب الأربعمائة وسبعين موضوعاً تقريباً وتشمل على مباحث اقتصادية في الزراعة والصناعة والتجارة والمواصلات.

---

(١) اعتمدت في الإحصاء على كتاب هدى صياح ثمرات الفنون فهرسة ودراسة، الجامعة اللبنانية، كلية التربية، بيروت ١٩٧٤.

أما المواضيع العلمية، فيلغ عددها ما يقارب الثلاثماية وخمسين تقريبا وفيها أخبار ومباحث طبية وعلمية وجغرافية.

ويبلغ عدد المقالات في المواضيع الحضارية ما يقارب الثلاثماية تقريبا وتتناول مباحث تاريخية وحضارية ومدنية.

وأخيراً المواضيع الدينية وعددها مئة وسبعون وتشتمل على أخبار المسلمين وعلى أبحاث متفرقة في أصول الدين. يضاف إليها المواضيع الفلسفية التي تبلغ التسعين موضوعاً أغلبها في الفلسفة الإسلامية.

بالإضافة إلى أخبار أخرى عديدة متفرقة.

ونلاحظ أن المواضيع السياسية هي الأكثر عدداً والأكثر أهمية بين سائر المواضيع نظراً لصبغة الجريدة السياسية، فهي التي تظهر لنا موقف الجريدة من السياسة المحلية والعالمية. وهي إضافة إلى تعبيرها عن وجهة نظر صاحبها، تعبّر أيضا عن موقف فئة معينة في البلاد تمثلهم هذه الجريدة وتنطق بمواقفهم وآرائهم.

تليها في الأهمية المواضيع الاجتماعية، لأن الجريدة كانت تنتقد بصورة دائمة أحوال المواطن وتقف على احتياجاته، وتنتقد العادات السيئة المضرة بالمجتمع، كالجهل والفساد الأخلاقي والتربوي. فتندد بهذه الآفات التي من شأنها تأخير البلاد وانحطاطها.

أما المواضيع الفنية والأدبية، فهي رغم توسع نطاقها لم تحظ بالاهتمام الكافي من الجريدة رغم كونها جريدة أدبية.

وكذلك كان اهتمام الجريدة بالمواضيع العلمية أقل من اللازم بالنسبة للصفة العلمية التي وسمت نفسها بها، فكانت ذات صفة إخبارية أكثر من كونها ذات مباحث علمية. ولكن اهتمامها بالمواضيع الاقتصادية كان جيدا خصوصا بالنسبة للناحية الزراعية. وساهمت المواضيع الحضارية في الحث على التقدم والعمران.

وتبقى المواضيع الدينية، فهي رغم قلة عددها كبيرة الأهمية بالنسبة إلى جريدة جعلت هدفها خدمة مصالح المسلمين أينما كانوا.

١ - المواضيع السياسية

كان لهذه المواضيع النصيب الأكبر من اهتمام الجريدة، ولقد تناولت أخبار العالم السياسية داخل الأمبراطورية العثمانية وخارجها. فذكرت الأخبار والتوجيهات الصادرة من الآستانة، إضافة إلى القوانين، وأخبار الجهات الإسلامية في البلاد العثمانية، والأخبار المحلية التي جرت في البلاد والأخبار الخارجية مما يتعلق بأخبار أوروبا وغيرها.

واعتمدت الجريدة في مصادرها على تلغرافات تأتيها من مختلف البلدان العربية والأجنبية. فالأخبار المتعلقة بالدولة كانت تأتيها عبر تلغرافات واردة من الآستانة أو نقلا عن صحف صادرة فيها **كالجوائب، والبصيرة، وترجمان حقيقت**،... والأخبار الدولية تصلها من طريق التلغرافات الخارجية من مختلف البلدان مثل: بطرسبرج، رومية، ستراسبرح، موسكو، لندرا، برلين، باريز وغيرها أو من طريق الصحف الأجنبية مثل **وكالة روتر، الديلي نيوز، الليفانت هرالد، المورن بوست، وغيرها**.

وتأتيها أحيانا الأخبار بوساطة المراسلات مع مختلف الجهات الإسلامية أو بوساطة وكلائها الذين تذكر أسماءهم من حين لآخر.

وأغلب المقالات السياسية كان يكتبها القباني بنفسه، إلا إذا ذكر المصدر الذي نقلت الجريدة عنه أو إذا ذُكر اسم الكاتب.

ولقد تحدثت ثمرات الفنون عن مختلف القضايا السياسية، من أخبار وحوادث جرت ما بين ١٨٧٥ و١٩٠٨م / ١٢٩٢ - ١٣٢٦ هـ.

وإزاء تلك المواضيع التي نقرأها في الجريدة، نشعر بأن أوضاع العالم السياسية كلها في اضطراب، وأن الجو كان ينذر بكارثة بشرية.

فالعالم كله يستعد للحرب، وسباق التسلّح يجري على قدم وساق.

فلقد ثارت البوسنة والهرسك[1] وهما من الولايات التابعة للدولة العثمانية سنة ١٨٧٧ م، وكذلك قامت بلغاريا سنة ١٨٧٨ م بثورة ضد الدولة العثمانية.

ونشطت حركة الاستعمار فاحتلت انكلترا قبرص سنة ١٨٧٨ م، ثم ضمت اليها حضرموت سنة ١٨٨٠ م، واحتلت بعدها مصر سنة ١٨٨٢ م. بينما بسطت فرنسا نفوذها في تونس سنة ١٨٨١ م وتدخلت روسيا في أفغانستان سنة ١٨٧٨ م، واستولت النمسا على البوسنه والهرسك سنة ١٨٨٦م. بالإضافة إلى نشوب حروب عديدة، منها الحرب بين تركيا وروسيا سنة ١٨٧٧ م. وبين روسيا والصين ١٨٨٠ م، وبين الصين وفرنسا ١٨٨٤ م، وبين روسيا والنمسا ١٨٨٦ م وبين روسيا واليابان ١٩٠٤ م.

وقامت الاستعدادات العسكرية للحرب. ففرنسا تزيد في قوتها الحربية، وتركيا تعزز أسطولها، والمانيا تدعو للخدمة العسكرية، كما حدثت معاهدات متنوعة وعديدة خوفاً من تلك الاستعدادات، منها معاهدة بين اسبانيا والمانيا، ومحالفة بين الصين واليابان، وظهرت بوادر محالفة بين تركيا والمانيا إثر زيارة الامبراطور غليوم الثاني إلى الآستانة والبلاد السورية عام ١٨٩٨ م.

---

(١) وتشكل (البوسنه والهرسك والصرب والجبل الأسود) دولة يوغوسلافيا السابقة.

كما قامت خلال تلك الفترة مؤتمرات عالمية لإحلال السلام، والحد من السلاح، ومنها مؤتمر برلين للسلام ١٨٧٨ م، ومؤتمر آخر لنزع السلاح سنة ١٨٩٨ م، ومؤتمر لاهاي للسلام سنة ١٩٠٣ م إلا أن تلك المؤتمرات لم تنجح لإحلال السلام العالمي، بل نشبت الحرب العالمية سنة ١٩١٤ أي بعد مرور ست سنوات على إقفال الجريدة.

كما تحدثت الجريدة عن القضايا العالمية المستجدة، مثل موضوع «الاشتراكية» وذلك في سنة ١٨٧٩ م حيث كانت ظواهرها بادية في ألمانيا وروسيا، والمشاكل متواصلة في روسيا بغية قلب الحكم وإحلال النظام الاشتراكي الجديد.

وكذلك تطرقت الجريدة إلى موضوع «العلمانية» في سنة ١٨٩٥ م، وهو الموضوع الذي يهدف لفصل الدين عن الدولة، فلقد انتشرت الأفكار العلمانية في تلك الفترة، وكان للجريدة موقف منها.

وكانت مهمة الجريدة من خلال هذه المواضيع السياسية عرض الأخطار السارية في العالم، والتحذير من الوضع الصعب والمقلق الذي تعاني منه الدولة العثمانية من تفكك في ممتلكاتها، ومؤامرات ودسائس تحاك ضدها، فقامت تدافع عن مصالح الدولة في جميع الأحوال، وجعلت دأبها تبين مخاطر الدول الأجنبية التي هي عدوة للدولة العثمانية، وتدعو لمجابهتها من طريق الاتحاد، وهذا الاتحاد يتمثل لديها في الاتحاد الوطني، والاتحاد الإسلامي، والاتحاد العثماني.

فعلى الصعيد الوطني دعت الجريدة لنبذ الشقاق والالتفات نحو خدمة الوطن بسائر بنيه وإلى الإصلاح السياسي المتمثل في الاتحاد والتخلص من الاستبداد.

وعلى الصعيد الإسلامي، كان هدف الجريدة متمثلا في «الوحدة الإسلامية» التي دعا إليها السلطان عبد الحميد الثاني، من طريق التمسك بالخلافة الإسلامية، الرابطة للمسلمين في جميع أنحاء العالم، لذلك حرصت الجريدة دائما على الاهتمام بأخبار المسلمين والممالك الإسلامية والدفاع عنها.

وعلى الصعيد العثماني، دعت الجريدة إلى الوحدة العثمانية، التي يكون فيها الفرد عثمانياً، سواء كان عربياً أو تركياً أو هندياً وسواء كان مسلماً أو مسيحياً، أي أن تكون الهوية العثمانية فوق القوميات وفوق الدين.

وهذه الأهداف لم تتناقض مع بعضها عند القباني، فالفرد يستطيع أن يكون عثمانياً سواء كان عربياً مسلماً، أو عربياً مسيحياً، فتكون «العثمانية» هي الصفة المشتركة بين الجميع[١].

---

(١) راجع مقالات القباني، ص ١٨.

ونستطيع أن نصنف المواضيع السياسية التي تناولتها الجريدة كما يلي:

أولاً: أخبار الدولة العثمانية وممالكها مع التعليق السياسي على علاقاتها بالدول الأجنبية. ثانياً: مواضيع وطنية مع تعليقات وآراء حول إصلاح الوضع السياسي. ثالثاً: تعينات وقوانين. رابعاً: أخبار دولية. خامساً: أخبار ومواضيع عالمية.

أولًا: أخبار الدولة العثمانية وممالكها وعلاقاتها بالدول الأجنبية:

ففي السنوات الأولى لتأسيس الجريدة كانت مسألة البوسنة والهرسك تشغل الموضوع الأكبر بين المواضيع السياسية. وكان موقف الجريدة مناهضا لهذه الثورة وللذين قاموا بها فتعتبرهم من العصاة الذين لا يستحقون أي مكرمة من مكارم الدولة ولا يستحقون سوى المعاملة بالقسوة لأنهم قابلوا صفح الدولة بالقبيح فتقول:

«آن لأولئك الأغرار والأغبياء الأغمار أن ينكفوا عن العصيان، وينيبوا إلى الطاعة ويغتنموا فرصة العفو العام الذي مُنحوه»[1].

وفي مكان آخر:

«وما بلغنا عن معاملتهم أهل أوطانهم في ابتداء العصيان يحملنا على أن نجزم بأنهم ليسوا من نوع الانسان. فهل يطمع بصلاحهم وقد فسدت طباعهم وتعذر إرجاعهم للصحيح ولا علاج أنجع من تسليط مبضع الحسام على كل وريد ينكر التقيد بقلائد المعروف..»[2].

ثم أظهرت الصرب والجبل الأسود عدوانهما على الدولة، بعد أن كانا يتظاهران بمظهر الولاء والتأييد للدولة، وهما في الحقيقة يساندان البوسنة والهرسك في حربهما ضدها فذكرت الجريدة هذه المؤامرات ضد الدولة قائلة:

«وكانت السرب والجبل الأسود يساعدن في ذلك مع دعوى الحيادة، ثم أظهرت السرب والجبل الأسود عدوانهما الصريح وحصلت اشتباكات ثم تدخلت الدول الأجنبية للصلح. وجاهر الروس بمساعدة السرب والجبل الأسود وإمدادهما بالسلاح..»[3].

ثم نشبت الحرب بين روسيا والدولة العثمانية سنة ١٨٧٧ م، فأخذت الجريدة تنقل كل ما يصلها من أخبار عن هذه الحرب وتمجد بقوة الجيش العثماني وبسالة الجندي العثماني الذي لا يهاب الموت في سبيل نصرة دولته. أما روسيا فتنظر الجريدة إليها نظرة العداء فهي تدعي الإصلاح ظاهرا، وتستعد للحرب بالآلات والقلاع والمدافع، فليتأمل أولو الأحلام استرسال دعوى روسيا الظاهرة المعنونة بالإصلاح»[4].

(١) ٤٩ (٢٧ صفر ١٢٩٣ هـ / ٢٢ آذار ١٨٧٦ م) ص ١ .

(٢) ٥٠ (٤ ربيع الأول ١٢٩٣ هـ / ٢٩ آذار ١٨٧٦ م) ص ١ .

(٣) ٧٨ (٢٤ رمضان ١٢٩٣ هـ / ١٢ ت١ ١٨٧٦ م) ص ١ .

(٤) ١٠٥ (١٣ ربيع الثاني ١٢٩٤ هـ / ٢٧ نيسان ١٨٧٧ م) ص ١ .

وفي مكان آخر:

«إن التجهيزات الروسية ليست بقليلة، لكنها عديمة الترتيب وقليلة النظام، لذلك فان معسكر الروس لا يكون كافياً لمقاومة المعسكر الشاهاني الذي هو متحضر بالمراكز الطبيعية فضلاً عن البسالة والشجاعة وحسن الأسلحة والترتيب»[1].

وكانت الجريدة في فترة الحرب تدعو بصوت الدولة للمقاتلة إلى جانبها لأن الحرب هي حرب ضد الدولة الإسلامية، فتقوم محرضة على قتال الروس، محذرة من العدو الذي يهدف لاحتلال العالم وخصوصا الممالك الإسلامية، كما شكرت مساعدة الأيادي الخديوية للدولة بالمال والرجال. وقالت محرضة ملوك الإسلام على مؤازرة الدولة:

«فليعتبر بهذه الخلال الحميدة ملوك الإسلام وأمراؤها فيبادروا لاعانة الدولة وليتفكروا في ما يريده العدو من الدولة وملة الإسلام، وليعلموا أن افتراض ذلك عليهم فرض عين، حيث إن ذئب العدوان يريد التهام العالم خصوصاً الأمة المحمدية، ولا عذر لهم بالانقياد إلى وسوسة الأجانب الذين يريدون أن يتسلطوا عليهم»[2].

وفي مكان آخر تحرض على قتال الروس:

«لا بد من مقابلة قوة العساكر الروسية بالمثل مع الاتكال على الله والمحاماة عن عرش الخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية»[3].

أما الدول الأجنبية الأخرى، فقد كان للجريدة موقف منها حيث اعتمدت كل دولة سياسة الدهاء ولم تبد حراكا تجاه الحرب الروسية العثمانية.

رغم مظاهر المساندة التي تبديها للدولة، فتعتبر الجريدة أن الدول الأوروبية مشاركة لروسية في العداء للدولة العثمانية لأنها سكتت عما كان يجري ضدها. ونلاحظ أن الجريدة تتكلم بلسان الدولة وذلك لأنها اعتبرت أن الدولة دولتها، والعساكر عساكرها التي تحامي عن جميع الممالك العثمانية. وخصوصا بعد انتصار الروس فتقول:

«فكل عدو لنا أخذ يستوفز بترقب الفرصة ليلتهم منا شيئا ولا يلبث حليفنا أن يقتطف لقمة طيبة، ثم بعد فشل عساكرنا في آسيا وسقوط القرص وتقدم العدو إلى أرض روم وسقوط ما في بلادنا ودخول الصرب في الحرب فلا نتأمل انتعاشا أكثر مما كان، لا سيما أن أملنا فرغ من مساعدة أحد وتقاعد عن

(١) ٨٨ (٥ ذي الحجة) ١٢٩٣ هـ/ ٣١ ك١ ١٨٧٦ م) ص ١.
(٢) ١٢٠ (٣٠ رجب ١٢٩٤ هـ/ ٩ آب ١٨٧٧ م) ص ١ .
(٣) ١٢٢ (١٤ شعبان ١٢٩٤ هـ/ ٢٣ آب ١٨٧٧ م) ص ١ .

نصرتنا من كنا له أطوع من ظله في جميع مقترحاته. . . وإذا رأينا السلم بالصلح أولى جنحنا إليه ولا مانع أن يكون بلا واسطة»[1].

ثم عقد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ م، لحل النزاع وإحلال السلام في العالم، الا أن نتائجه غير مرضية في رأي الجريدة، لأنه أعطى النمسا حق احتلال البوسنة والهرسك ومنح بلغاريا الاستقلال، فاعتبرت الجريدة مقررات المؤتمر نتيجة المواطآءات على تقسيم المملكة العثمانية[2].

وتناولت الجريدة المسألة المصرية في أعداد كثيرة وهي قضية احتلال انكلترا لمصر عام ١٨٨٢ م، وتركيز قواتها في وادي النيل. فأخبرت الجريدة عن هذا النبأ وحاولت الخروج من هذه الضائقة التي كان من أسبابها سوء تصرف حكام مصر، واعتبرت ان انكلترا دولة محتلة إذ ليس هدفها الإصلاح كما ادّعت، بل كنت تنافس روسية في احتلال ممالك الدولة العثمانية فقالت:

«وفي اعتقادنا أن علة الحوادث التي أقلقت العالم السياسي وأضرت بالمصالح التجارية هو الحلول الانكليزي في وادي النيل. . ولقد قصدت الحكومة الانلكيزية بهذه الحركة أمرين أحدهما تحويل اهتمام الدولة العلية عن أحوال مصر، والآخر ايجاد مشاغل للروسية تشغلها عن أواسط آسيا. .»[3].

وتوصلت الجريدة لإدراك النوايا الانكليكونية من الدولة العثمانية، رغم المراهنات التي كانت تستعملها وأدركت أن انكلترا لا يهمها سوى مصالحها، والإبقاء على مستعمراتها ونفوذها فيها. فمصلحة انكلترا قائمة على اختلاف الدول فيما بينها لتكون لها وحدها السيطرة والنفوذ:

«إن مصلحة انكلترا الخصوصية قائمة باستمرار الخلاف بين الدول وانتشاب نار العدوان والقتال في كل فترة بين بعض الدول لتحافظ على مركزها وتأخذ باتمام مقاصدها»[4].

وفي مكان آخر:

«إن للإنكليز مآرب في إلقاء العدوان بين الدول وأربابها بغوائل الحرب الهائلة ولا تبالي انكلترا فيما إذا كانت هذه الحرب عمومية أو منحصرة بين بعض الدول وكيفما كانت الحال فإنها تستفيد سلامة مستعمراتها في الهند وتتوقع حلاً يلائم مقاصدها في مصر، ولقد تسببت انكلترا بالحرب المشؤومة ودمرت الاسكندرية وانتحلت لنفسها الوكالة على دول أوروبا»[5].

---

(١) ١٤١ (٦ محرم ١٢٩٥ هـ / ١٠ ك٢ ١٨٧٨ م) ص ١ و٢.
(٢) ١٦٩ (٢٢ رجب ١٢٩٥ هـ / ٢٥ تموز ١٨٧٨) ص ١ و٢.
(٣) ٦٠١ محرم ١٣٠٤ هـ / ٦ ت١ ١٨٨٦ م) ص ١ .
(٤) ٦١٦ (٧ جمادى الأولى ٣٠٤ / ١٩ ك١ ١٨٨٧ م) ص ١ .
(٥) ٦٢٠ (٥ جمادي الثانية ١٣٠٤ / ١٦ شباط ١٨٨٧) ص ١ .

وبعد ذكر تلك الحوادث، تعرضت الجريدة للأخطار من الدولة في سنة ١٨٨٢ و١٨٨٧ م لأنها ذكرت الحوادث المتعلقة بمصر والأسكندرية، وكانت الدولة قد حذرت من نشر تلك الحوادث[(١)].

وتحدثت الجريدة عن المسألة البلغارية، وذلك حين ثارت بلغاريا سنة ١٨٨٧ م على الدولة العثمانية تساندها انكلترا، لتحويل الأنظار عن أوضاع مصر، ولقد شكلت هذه المسألة خوفا بين الأوساط الأوروبية حيث كانت كل دولة تخاف على مصالحها ونفوذها في المستعمرات[(٢)].

وتحدثت الجريدة أيضا عن نكبات المسلمين في كريت في سنة ١٨٩٧ م وأشارت بأصابع الاتهام إلى اليونانيين الذين سعوا لاستئصال المسلمين من الجزيرة، فقامت تدعو لإعانة المهاجرين الكريتيين وافتتحت على صفحاتها الاكتتابات بهذا الخصوص[(٣)].

وقامت إزاء الأخطار المحدقة بالدولة، تحذر من الاستعمار وخصوصاً في الفترة ما بين سنة ١٨٩٩ و١٩٠٠ م فنشرت المقالات الهادفة للتوعية من الاستعمار الغربي. ونشرت موضوعاً بعنوان «الاستعمار الغربي» في مقال مسلسل من جزئين، كما نشرت للكاتب «عبد الباسط فتح الله»[(٤)] مقالا بعنوان «أسرار الاستعمار». وذلك بهدف بيان دهاء الأوروبيين في الوصول إلى مآربهم.

ففي موضوع «الاستعمار الأوروبي» «بيّن الكاتب أهداف المستعمر الأوروبي والفظائع التي يرتكبها في كل بلد يحلّ فيها فيقول:

«ما استعمر الأوروبيون قرية أو بلدة إلا واستبدلوا أخلاق أهلها واستنزفوا ثروتهم إذا لم نقل دماءهم وارتبكوا فيها أنواعا من الفظائع المنكرة»[(٥)].

ثم يستنكر دعوتهم لنصرة المدنية والإنسانية، ويعرض فظائعهم في المستعمرات.

وفي التهكم على السياسة الانكليزية، والاستعمار في افريقية يعرض الكاتب أعمال الانكليز وفظائعهم في الخرطوم حين حلّوا بها سنة ١٩٠٠ م فيقول:

كلنا يعلم أن الأمة الانكليزية هي أرقى الأمم الأوروبية تمدنا وأحسنها أخلاقا وأشدها حرصاً على النداء بحب النوع الإنساني، وإذا أدرنا الطرف نحو الخرطوم لوجدنا فظائع عجيبة لم يسمع بمثلها في القرون

---

(١) العدد ٣١٩ (١٢٩٩ / ١٨٨٢) ص ١ والعدد ٦١٩ (١٣٠٤ / ١٨٨٧) والعدد ٦٤٠ (١٣٠٤ / ١٨٨٧ م).

(٢) ٢٦٤ (٤ رجب ١٣٠٤ هـ / ١٦ إذار ١٨٨٧ م) ص ١ .

(٣) الأعداد ١١٢١ و١١٢٢ و١١٢٥ و١١٢٧ (١٣١٤ / ١٨٩٧) والاعداد ١١٣٤ و١١٣٥ و١١٣٨ (١٣١٥ / ١٨٩٧ م).

(٤) عبد الباسط فتح الله، من أبناء بيروت تعلم في المدرسة السلطانية، وتعيّن عضواً في محكمة الاستئناف وعضواً في الهيئة البلدية، تعاون مع الشيخ أحمد عباس في تأسيس المدرسة العثمانية وكان يلقي فيها المحاضرات الأدبية وقام بتعريب كتب عديدة (راجع ص ٢٨٧).

(٥) العدد ١٢١٣ (١٩ شعبان ٣١٦ / ٢ ك٢ ١٨٩٩) ص ١ و٢.

الخالية، فلم يكتفوا بالقتل والنهب والاجهاز على الجرحى مما يحرمه الدين الإسلامي وتحظره الطبيعة البشرية، والتمدن الصادق بل نبشوا القبور ونزعوا منها العظام النخرة. فاذا كان هذا عمل أرقاهم تمدناً وأحسنهم أخلاقاً وأكثرهم ادعاء لحب النوع البشري فكيف بغيرهم»[1].

وفي مقال عبد الباسط فتح الله «أسرار الاستعمار» يبين الكاتب دهاء الأوروبي ليصل إلى غايته، حيث يتحين الفرص المناسبة لكي يضع يده على البلاد التي يود استعمارها، دون اعتبار لأي مصلحة تخرج عن مصلحته الخاصة فيقول:

«ولقد ظهر مما تقدم كيف يعنى الغربي بمصلحته، حتى يدخلها من بابها ويتعرف من أين تؤكل كتفها، لا يستسهل صعباً فيهمل شأنه حتى يستعصي عليه إذا ما دنى منه ولا يستصعب سلساً فتتضاءل همته دون أن ينقاد له»[2].

وهكذا يتبين لنا أن خوف الجريدة الأساسي كان من هذا الغربي الذي يمتد إلى البلاد الإسلامية بدهائه وبنفوذه السياسي والاقتصادي، بغية الوصول إلى هدفه الاستعماري.

ثانياً: المواضيع الوطنية

تهدف هذه المواضيع إلى إصلاح أوضاع الوطن والمواطن، فتدعو الجريدة للاتحاد والاتفاق على ما فيه منفعة الجميع وتطالب أن يكلف بخدمة الوطن كل فرد من أبنائه، صغيراً كان أو كبيراً، وذلك بالوقوف على أسباب تأخر الوطن واستئصالها. ومن أهم تلك الأسباب المضرة بالوطن هو التدخل الأجنبي، والاستبداد الذي يمارسه المأمور على المواطن.

فلقد اعتبرت الجريدة أن الوحدة ضرورية في المجتمع وخاصة وحدة الذين ينتمون إلى البلد الواحد أي ذلك المكان الذي يعيشون فيه على أرض واحدة ويمارسون واجباتهم نحوه، تجمعهم محبته والعمل الواحد في سبيل إعزازه وعمرانه، وأن تقوم علاقات طيبة بين أبناء هذا الوطن الواحد رغم تعدد طوائفه. على أن يكون لديهم انتماء سياسي واحد للدولة العثمانية. فالإنسان في هذه الحياة لا يستطيع أن يعيش وحيداً بل لا بد من ارتباطه بالمجتمع، وهذا الارتباط يجعل الكل بحاجة إلى الكل، وعلى كل فرد أن يبذل جهده لمساعدة غيره حتى تتم وتتوطد دعائم المحبة بين الجميع وإلا فالخسارة لاحقة بهم جميعاً[3].

والإصلاح مفوض إلى الجميع، إلى كل فرد من أبناء الوطن لكي ينظروا إلى ما حلّ بهم من ضعف وتقهقر واشاعة الفتن فيما بينهم، لذلك يجب التيقظ والانتباه وإلا ضاعت البلاد ويجب على الجميع نبذ التعصب الديني «فان اختلاف الدين لا يقف في وجه اتفاق خدمة المنافع العمومية»[4].

---

(١) ١٣١٠ (١٨ شعبان ١٣١٨ / ١٩٠٠) ص ١ و٢.

(٢) ١٢٩٤ (١٧ ربيع الثاني ١٣١٨ / ١٣ آب ١٩٠٠) ص ٢ و٣.

(٣) ٤٤٧ (٢٤ جمادي الثانية ١٣٢١ / ٢٤ أيلول ١٩٠٣) ص ١ .

(٤) ١٠٧٣ (٣ شوال ١٣١٣ / ٦ نيسان ١٨٩٦) ص ١ .

كما اعتبرت الجريدة أن الوحدة الوطنية مرتبطة بالدولة وخدمتها وبطاعة السلطان الحاكم الذي يهمه هذا الارتباط ويعمل لأجل تحقيقه.

وأهم المواضيع الوطنية هي التي تناولتها مقالات أسعد داغر»[1] وهي مقالات مسلسلة في ثمانية أعداد بعنوان «الاتحاد الوطني»، حيث عزا الكاتب نجاح الوطن إلى العمل والاجتهاد، وتوجه إلى أصحاب الأموال يدعوهم للاتحاد يضع أمامهم المجالات التي يمكن أن يساعدوا بها لنجاح وطنهم والانقطاع عن عون الاجانب فيقول موجهاً خطابه لأبناء وطنه:

«فما ضرهم لو اتحدوا بنفس واحدة ورأي واحد على عقد الشركات الوطنية المفيدة وانشاء المعامل النافعة، وإقامة المطابع والمدارس وتشييد المحافل.. وذلك مما يقطع للأجانب دابر التدخل في شؤوننا والحؤول دون بث أهدافهم وأميالهم المتباينة المتضاربة في أفكارنا..»[2].

كما حذّر كثيرا من تفشي آراء الأجانب ومفاسدهم في البلاد، وصرّح مجاهرة بالدعوة للتخلص منهم والوقوف على أذاهم، وجعل وجهته الأساسية التحذير من الأجانب ومفاسدهم فيقول:

«إن غايتنا المجاهرة بآفات الافراط والتفريط، والانذار بالاضرار الناتجة عن تفشي أهواء الأجانب في أرضنا واستفحال مفاسدهم في ربوعنا»[3].

أما تردي أوضاع الشعب، فيرى الكاتب أن سببه الشعب نفسه، لأن الخلل في جسم الهيئة الحاكمة يكون منشأه الهيئة المحكومة من الشعب، بسبب فشلها وكسلها فيقول:

«إن الخلل الذي يتحمل أهل الأهواء اثباته في جسم الهيئة الحاكمة يكون منشأه ولا شك الهيئة المحكومة من الشعب وأما خلل هذه وفسادها وانحطاطها فبريئة منه تلك..»[4].

ثم يرى أن هناك أسباباً أخرى في التأخر، منها الداخلية ومنها والخارجية، فأما الأسباب الداخلية، فهي الإفراط في التعصب المذهبي والتفريط في الحق الوطني والاثنان هما من الجهل العام الذي تأصل بأوضاع الشعب»[5].

وأما السبب الخارجي، فهو الأجانب الذين دخلوا إلى البلاد وأوغلوا في زرع بذار الشقاق وبث روح

---

(١) أسعد داغر (١٢٧٧ - ١٣٥٤) (١٨٦٠ - ١٩٣٥)) أديب وصحافي ولد في كفرشيا وحرر مدة في جريدة ثمرات الفنون (راجع ص ٢٨٦).

(٢) ٦٦٧ (١٧ جمادي الأولى ٣٠٥ / ١٨ ك٢ ١٨٨٨) ص ٢.

(٣) ٦٧٤ (٦ رجب ٣٠٥ / ٧ آذار ١٨٨٨()) ص ٢.

(٤) ٦٦٨ (٢٤ جمادي الأولى ٣٠٥ ك٢ ١٨٨٨) ص ٣.

(٥) ٦٦٩ (١ جمادي الثانية ٣٠٥ / ١ شباط ١٨٨٨) ص ٢.

الاختلاف من وراء الادعاء بتمهيد سبل الحضارة والمدنية ليسهل لهم ترسيخ أقدامهم في أرجاء الوطن»[1].

ثم يخلص الكاتب إلى القول بوجوب احترام الحقوق الوطنية بعد استئصال الأسباب المضرة بالوطن. وهذه الحقوق تنحصر في «إخلاص العبودية للدولة وصدق الطاعة لأوامرها. فالغني يخدم دولته بماله، والفقير بلزومه جانب الراحة والسكينة، والعالم بعلمه، والجاهل بارتياده مناجع العلم»[2].

ولقد كانت دعوة «داغر» ودعوة الجريدة للاتحاد، وسيلة ناجعة للتخلص من الآفات التي أضرت بالوطن، لأن الجريدة كانت تسعى جاهدة للوقوف على أسباب التأخر والنظر في ما يمكن إصلاحه.

ثالثاً: الأخبار والتوجيهات الصادرة من الآستانة.

ولقد كانت تصلها هذه الأخبار عبر التلغرافات الواردة من الآستانة، وفيها التوجيهات والتعينات الإدارية من قبل الدولة. وكانت هذه التوجيهات تذكر على صفحات الجريدة الأولى تحت العنوان التالي: (الآستانة العلية (توجيهات) ومن ذلك في العدد ١٥٦٧:

«**توجيهات**: مأمورية عين سعادتلو عبد الوهاب أفندي متصرفا على لواء الحديدة، علمية: فوضت نيابة قضاء عكار اعتبارا من غرة ربيع الثاني إلى مكرمتلو عبد الله أفندي طهبوب نائب الطفيلة السابق»[3].

ومن الأخبار الواردة عبر التلغرافات ما ذكر عن حرب الصرب وقتال الجيش العثماني بقيادة عثمان باشا فأوردت الخبر كالتالي:

«ورد بالتلغراف ما معناه أن عثمان باشا القائد العثماني بعد أن دخل حدود الصرب حاز الظفر العظيم وقتل من معسكر الصرب ألفين في واقعة (زنكر) وأن خمسة وعشرين ألفا من الصرب توجهوا إلى جهة «شهرثوى» فأجبرهم الباشا المشار إليه بالرجوع بأربعين ألفا من العساكر الشاهانية»[4].

إضافة إلى هذه التوجيهات، هناك القوانين الصادرة من الآستانة، والتي كانت تنشرها الجريدة على صفحاتها الأولى ومن غير تعليق، فهي بمثابة قوانين ثابتة ومقدسة. فسردها سرداً كما تعلنها. وتنوعت هذه القوانين، فمنها ما يتعلق بالأحكام الجزائية، والأحكام الجنائية، ومنها ما يتعلق بقوانين الأبنية، وقوانين التنسيقات العسكرية، وأنظمة المطابع، ونظام الأعشار إلى غير ذلك من قوانين وأنظمة.

كما نشرت أيضا القانون الأساسي (الدستور) في الممالك العثمانية، مرتين: الأولى في سنة ١٨٧٧ م

---

(١) ٦٧٠ (٨ جمادي الثانية ٣٠٥ / ٨ شباط ١٨٨٨) ص ٢.

(٢) ٦٧١ (١٥ جمادي الثانية ١٣٠٥ / ١٥ شباط ١٨٨٨) ص ٢.

(٣) ١٥٦٧ (٢٦ ربيع الآخرة ١٣٢٤ / ١٨ حزيران ١٩٠٦) ص ١ .

(٤) العدد ٦٤ (١٥ جمادي الثانية ١٢٩٣ (٦ تموز ١٨٧٦) ص ٢.

والثانية في سنة ١٩٠٨ م. ففي المرة الأولى حين تسلّم السلطان عبد الحميد الحكم، والمرة الثانية بعد استلام جمعية الاتحاد والترقي الحكم. ولقد تناول هذا القانون ١١٩ مادة في المواضيع التالية:

الدولة ووكلاؤها، المأمورون، هيأة الأعيان، المحاكم، الدواوين، الأمور المالية، ومواد شتى. ونشرت الجريدة نظام الرسوم العدلية بقلم مصباح محرم[١] ولقد ترجمه عن التركية وهو النظام الذي يتعلق بالرسوم التي تؤخذ من الدوائر والمحاكم في نظارة العدلية، ويتضمن اثنين وعشرين فصلاً في مئة واثنين وعشرين بنداً[٢].

ونشرت الجريدة أيضاً القانون الموقت الصادر عن الدولة والذي يتعلق بموضوع «أصول المحاكمات الجزائية». وترجمه للعربية السيد «محمد نوري كيلاني»[٣] في سنة ١٨٧٩ م وهو في ثمانية فصول تتعلق بالأصول الواجب مراعاتها في المحاكم الجزائية، ولقد اعتبر موقتاً آنذاك إلى أن يجتمع مجلس المبعوثين ويصادق عليه.

كما نشرت ترجمة القانون المخصوص بالعساكر المعاونة لجيش الدولة. وهو مؤلف من أربعة عشر بنداً، ويتضمن التعليمات التي تتعلق في «كيفية استخدام العساكر المعاونة وصورة تحريرهم وإدارتهم من مشاة وخيّالة»[٤].

ونشرت الجريدة أيضاً برنامج «جمعية الاتحاد والترقي» وذلك في سنة ١٩٠٨ م وهو مترجم عن التركية ومؤلف من واحد وعشرين بندا، وجاء فيه أن جميع الحقوق التي تضمنتها مواد القانون الأساسي الذي نشر سنة ١٨٧٧ م ، وأيدها الخط السلطاني تبقى مرعية ومحفوظة، وجاء في البند السادس عشر أن التدريس حرّ، وفي البند السابع عشر أن جميع المدارس تبقى تحت نظارة الدولة، كما أن تعليم اللغة التركية في المدارس الابتدائية يكون إجبارياً[٥].

كما كانت تقوم بإذاعة كل خبر أو بلاغ يأتيها من الجمعية، فمن ذلك البلاغ الذي ذكرته الجمعية وفيه أن جمعية الاتحاد والترقي هي جمعية ملية، ولقد تأسست لتوحيد القانون الأساسي المانح للأمة حريتها، وأن مبدأ الجمعية يقوم على شروط ثلاثة هي: استحصال الأسباب التي تحفظ دوام إجراء القانون الأساسي حرفياً، والتي تصونه عن كل تحريف أو مساس أو سوء نية. ثانياً: تأليف الحكومة من مأمورين غيورين على تأمين ومحافظة حق كل فرد من أفراد الأمة والملة، ضمن العدالة والمساواة بلا تفريق بين الجنس

---

(١) مصباح محرم، رئيس كتّاب محكمة بداية بيروت ولقد اهتم بترجمة القوانين الصادرة عن الآستانة.

(٢) من العدد ٢٣٨ إلى العدد ٢٤٥ (١٢٩٦ / ١٨٧٩ م).

(٣) محمد نوري كيلاني، قائمقام نقيب الأشراف ورئيس محكمة الجزاء في لواء حماه.

(٤) الأعداد ١١١، ١١٢، ١١٣ (٤ ١٢٩ / ١٨٧٧ م).

(٥) ١٦٨٤ (١٧ رمضان ١٣٢٦ / ١٢ ت ١ ٩٠٨) ص ٨.

والمذهب. ثالثاً) أن تسعى دائما بأن تكون الأمة في مصاف الأمم الراقية بالمدنية، وأن تحافظ على اسم العثمانية بدرجة تليق بهذا الاسم[1].

هذه بالاجمال بعض القوانين التي أصدرتها الدولة في عهد ثمرات الفنون في الفترة الواقعة ما بين ١٨٧٥ و١٩٠٨ م ومن أراد أن يستقصي القوانين الصادرة في الدولة العثمانية في تلك الفترة فسيجد الجريدة خير دليل له، لأنها لم تهمل أي قانون أو نظام أصدرته الدولة يتعلق بشؤونها أو بشؤون ممالكها. وسيُلاحظ النظام الذي كانت الدولة تسير على مقتضاه، والتنسيق والدقة اللذين كانت تعتمدهما دولة كانت من أكبر الدول، وتضم عدداً كبيراً من الولايات العربية والتركية والهندية وسواها، وهي مع ذلك وضعت القوانين والأنظمة التي تجعل الجميع ينضمون في بوتقة واحدة تحت لواء دولة واحدة هي الدولة العثمانية.

رابعاً: الأخبار الدولية

اهتمت الجريدة بنشر الأخبار الدولية، فكانت تصلها الأخبار من طريق الجرائد الأجنبية، أو من طريق رسائل وتلغرافات خارجية، وهي قلما تأتي على تعليق سياسي مهم في هذه الأخبار (إلا فيما له علاقة بالدولة العثمانية) فتذكرها كما تأتيها أو تذكر التعليقات السياسية التي توردها الجرائد الأجنبية.

ونأخذ مثلاً في طريقتها لتلك الأخبار: «من أخبار لندرا: أن السائد في محافلها السياسية، الخوف من حصول الحرب في الشرق بين المانيا وفرنسا. وفي جريدة التيمس شاع أن البرنس بسمارك أظهر لسفير فرنسا الوسائط التي تساعد فرنسا على مقاومة حزب الحرب[2].

وكانت تذكر ضمن باب المنشورات السياسية، أخبار مختلف الدول الأجنبية فمن ذلك في العدد ١٢١٣ تذكر أخباراً عن: المانيا والنمسا، المانيا وروسية، روسيا واميركا، انكلترا والترانسفال، انكلترا وفرنسا، جزر الفلبين، الصين واسبانيا[3].

ففي أخبار الدولة الالمانية مثلا:

«إن الدولة الالمانية في هذه السنوات مركز سام بين الدول الأوروبية العظمى، وما ذلك إلا لتظاهر امبراطورها الجليل حضرة الأمبراطور غليوم الثاني بالمودة والولاء للدولة العلية العثمانية. ولقد أشارت جريدة النوفتي الروسية أن ازدياد نفوذ المانيا شرقي أوروبا وآسيا سيجر كلاً من انكلترا وروسيا وفرنسا على الاتحاد لحماية مصالحهن»[4].

---

(١) العدد ١٦٧٧ (٢٧ رجب ١٣٢٦ هـ / ٢٤ آب ١٩٠٨) ص ٤.

(٢) ٦١٦ (٧ جمادي الأولى ٣٠٤ (١٩ ك٢ ١٨٨٧) ص ١ .

(٣) ١٢١٣ (١٩ شعبان ١٣١٦ هـ / ك٢ ١٨٩٩) ص ٧ و٨.

(٤) ١١٥٨ (١١ رجب ١٣١٥ / ٦ ك١ ١٨٩٧) ص ١ .

وهناك أخبار جاءتها من مصادر إنكليزية، تتحدث عن بوادر اتفاق يجري بين الانكليز وروسيا بعد تنازعهما على بلاد الأفغان في سنة ١٩٠١ م، والجريدة تروي أخبار تلك الدول من دون أن تنتصر لدولة على أخرى، لأن الجميع في نظرها أعداء للدولة العثمانية وللدين الإسلامي وأن الهم المشترك بينهم اقتسام الممالك العثمانية فتذكر الخبر بالشكل التالي:

«تقول المصادر الانكليزية أن الجنود الروسية المعسكرة على حدود الأفغان لا يزيد عددها على الثمانية آلاف مقاتل مسلحة بثلاثين مدفعا وأن القيصر أظهر رغبته في تلاشي كل أزمة، وردت هافاس[1] أن بين روسيا وانكلترا اتفاق كبير على أن تتحاشى كل منهما التداخل بأمر هذه المملكة إذا حدثت بعض الاضطرابات»[2].

أما مسألة الحرب الروسية اليابانية التي حدثت سنة ١٩٠٤ م وانتصرت فيها اليابان سنة ١٩٠٥ م، فلقد تناولتها الجريدة في أعداد كثيرة، وتناولتها بتعاليق سياسية مهمة وما يشكله انتصار اليابان من خطر على العالم الأوروبي الذي بات يخشى من الشرق الأقصى ومستقبله فقالت:

«ما كان يؤمل رجال السياسة في أوروبا يوم شبت نار الحرب أن الدولة اليابانية لن تقدر على الوقوف في وجه روسيا إلا أمداً قصيراً ولكن لما رأوا مهارة اليابان فكروا في مستقبل تلك الدولة وتأثيرها على آمال الدول الأوروبية في الشرق الأقصى»[3].

وكانت الجريدة سعيدة لانتصار اليابان على الروس، الذين يشكلون خطرا على الدولة العثمانية، كما أن انتصار دولة ما في الشرق على دولة كبيرة كروسيا له تأثير كبير في نفوس شعوب تلك المنطقة.

خامساً: الأخبار والمواضيع العالمية.

تحدثت الجريدة عن المؤتمرات التي بحثت على مستوى عالمي، مثل مؤتمر برلين الذي عقد سنة ١٨٧٨ م لإحلال السلام، وإنهاء الحرب التي وقعت بين روسيا وتركيا والذي انتهى بفشل الدولة العثمانية[4].

وتحدثت عن مشروع عقد مؤتمر آخر في برلين لنزع السلاح بين الدول وذلك في سنة ١٨٩٨ م. فلقد وردت إلى الجريدة رسالة من برلين أن المانيا والنمسا وايطاليا يشتركن في المؤتمر ولكن بشروط وهي:

«أن لا يبحث فيه قط بتغيير أملاك الدول الحاضرة بل تبقى على ما هي عليه، ويقتصر المؤتمر على البحث في انقاص المعدات الحربية تخفيفاً لأحمال الشعوب»[5].

---

(١) جريدة تركية.

(٢) ١٣٥٤ (٢٢ رجب ١٣١٩ / ٤ ت٢ ١٩٠١) ص ١ .

(٣) ١٥١٦ (٩ ربيع الأخرة ١٣٢٣ / ١٢ جزيران ١٩٠٥) ص ٣ و٤.

(٤) ١٦٩ (٢٢ رجب ١٢٩٥ هـ / ٢٥ تموز ١٨٧٨) ص ١ و٢.

(٥) ١٢٠٠ (١٧ جمادي الأولى ١٣١٦ / ٣ ت١ ١٨٩٨ م) ص ١ .

وكذلك ذكرت موضوع التحكيم بين الأمم فقالت: «فلقد اشتغل ٦٠٠ نائب من نواب الدول الأوروبية في عاصمة النمسا بتأييد مبدأ التحكيم بين الأمم على كل خلاف وأشكال»[١].

وذكرت قرارات مؤتمر السلام العالمي الذي عقد في لاهاي سنة ١٩٠٧م، والذي يتعلق بشؤون الحرب والحد من الأعمال العدوانية[٢].

وتحدثت الجريدة عن أخبار مؤتمر الرقيق الأبيض الذي عقد في أوروبا سنة ١٨٩٩ بغية منع المتجارة به، فعقد هذا المؤتمر وحضره مئة عضو مندوبين من الدول الأوروبية وهم من كبار وزرائهم، ونوابهم، وأعيانهم تحت رئاسة الدوق وستنر[٣].

أما المواضيع التي بحثت على مستوى عالمي، فمنها موضوع «العلمانية» التي انتشرت أفكارها في العالم العربي بتأثير الأفكار السائدة في أوروبا، فتغلغلت هذه الأفكار في الشرق، وقام البعض بمحاولات لإنشاء مجتمعات علمانية على غرار المجتمعات الأوروبية، بهدف فصل الدين عن الدولة. فبحثت الجريدة هذا الموضوع وبيّنت آراءها الإسلامية الرافضة للعلمانية، واعتبرت أنه لا يمكن التفريق في الدين الإسلامي بين الدين والسياسة، لأن مرجع أحكام المسلمين ومصدرهت هما الكتاب والسنة. فالقرآن منزل من عند الله وهو أعظم حجة للمسلمين ولقد استوفى أغلب الاحتياجات الدينية والدنيوية على الوجه الاجمالي أو التفصيلي. أما السنة ففصلت ما أجمله القرآن وعمّت أحكامها أمرَي الدنيا والدين. ورأت الجريدة أنه يجب على المسلمين رفض هذا الفكر العلماني، لأنه من أعظم أسباب الانحطاط العمومي الإسلامي. فمن شأنه إهمال مصادر الدين الإسلامي. أما فلاسفة أوروبا الحقوقيون أو السياسيون أو الإداريون فإذا كان لديهم الحق في أمر تفريق السلطتين، فلأن الانجيل الذي هو أساس الدين المسيحي، لم يتضمن الأحكام الدنيوية الكافية لإدارة الممالك وسياسة الملوك[٤].

وتحدثت الجريدة عن موضوع «الاشتراكية»، ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهرت تغيرات في العالم أدت إلى بروز حركة قامت في روسيا بين سنة ١٨٦٠ و١٨٧١ وتدعو إلى الانقلاب على الحكم وذلك بإثارة القلاقل والاغتيالات.

أما الجريدة فتحدثت عن أخبار تلك الحوادث في سنة ١٨٧٩ م، فذكرت أن بدء نشأة الاشتراكية كان في البلاد الروسية، حيث انتشر حزبهم وعظم نشاطهم، من دون أن تستطيع الحكومة كبحهم، حتى صار أكثر أهل روسيا من هذا الحزب، لازدياد مدارسهم ومطابعهم ومنشوراتهم. ولا يكاد يرى وزير من وزراء

---

(١) ١٤٤٩ (٧ رجب ١٣٢١ / ٢٨ أيلول ١٩٠٣) ص ٨.
(٢) ١٦٢٢ (١١ جمادي الثانية ١٣٢٥ / ٢٢ تموزر ١٩٠٧) ص ٢.
(٣) ١٢٣٩ (٩ نوار ١٣١٧ (١٧ تموز ١٨٩٩) ص ٣.
(٤) ١٤٠٦ (٤ ربيع الثاني ١٣١٣ هـ / ٢٣ أيلول ١٨٩٥) ص ١ و٢.

الروس إلا وأكثر حواشيه من أنصار الاشتراكيين، ثم تخبر الجريدة بأنه في كل يوم يسمع ضجات هائلة تنذر بقتل أولياء الأمور، وأن الأمور الداخلية سيئة، رغم محاولات الإصلاح الجارية[1].

ونستطيع أن نلاحظ من خلال المواضيع السياسية أن الجريدة بلغت من العناية بها حداً كبيراً رغم الظروف التي مرّت بها من مضايقات الرقابة ومنعها من إبداء آرائها في المواضيع السياسية الخاصة بشؤون الدولة العثمانية، لذلك رأت الجريدة أن تتجه إلى المواطن فتحاول إصلاحه، وتعرض الوسائل التي تراها مناسبة للإصلاح، فتطلب إزالة المأمورين المستبدين وإعطاء المواطن حقه في الحرية، وتدعو كل فرد من أبناء الوطن للقيام بواجباته نحو وطنه، وذلك بالاتحاد والاتفاق على ما فيه مصلحة الوطن حتى تتم مصلحة البلاد بكاملها. ورغم أنها كانت نداءات وتوجهات ولم تقدم نتيجة فعّالة وسريعة، إلا أن تلك التوجهات كانت كفيلة لإيقاظ المواطن من غفلته ليفتح عينيه على التقصير والتأخير الحاصلَين في وطنه ويعمل على إصلاحه.

كذلك فان تعليقات الجريدة السياسية حول مواقف الدول الأجنبية كانت في غاية الدقة والعناية، فلقد بينت الجريدة سياسة هذه الدول ووقفت على حقائقها، كما أنها ساهمت في تحريك الهمم لمواجهة المؤامرات من طريق الالتفاف حول الدولة العثمانية، والمحافظة على الخلافة الإسلامية، فتلك هي الوسيلة الأساسية لديها للإبقاء على الدولة.

كما تعرضت الجريدة لأحوال العالم وبينت دهاء كل دولة واستعدادها للانقضاض على الأخرى، هذا بالإضافة إلى حركة التوسع الاستعماري الذي بدأ يهدد مركز الخلافة الإسلامية بالزوال، والممالك الإسلامية بالتفكك.

كما عالجت الجريدة المواضيع العالمية فكانت تسير في خضم تلك المشاكل وتنقل الأخبار لعامة الناس، وتعرض آراءها الخاصة تجاه ما يحدث. وبالإجمال فإن جميع مواقفها كانت متسمة بالطابع الإسلامي بحيث لا ترى الأمور إلا من خلال الدين.

وكذلك فإن مواضيع الجريدة السياسية تلقي الضوء على كثير من الحوادث المحلية والعالمية فتعتبر مصدراً جيداً للمؤلفين والكتاب يمكن العودة إليها لفهم الحوادث ممن عاصرها وعرف أبعادها. كما تلقي الضوء على القوانين والأنظمة التي كانت متبعة في الدولة العثمانية وولاياتها، فتساهم في نقل حضارة دولة كانت من أكبر الدول الإسلامية وأوسعها.

---

(١) ٢٣٠ (٦ جمادي الثانية ١٢٩٦ / ٢٦ أيار ١٨٧٩) ص ٢.

٢ - المواضيع الاجتماعية

هي أكثر المواضيع تداولاً وأهمها بعد المواضيع السياسية. وتتنوع اهتماماتها بين أخبار ومواضيع تربوية، ومواضيع أخلاقية، إضافة إلى اهتمامها بموضوع المرأة ومسؤوليتها وتربيتها وتعليمها، والى الاهتمام بموضوع العمل والعمال. ويبلغ عدد هذه المقالات الاجتماعية ما يقارب الثمانماية موضوع. أما الكتّاب في هذه المواضيع فمنهم: أسعد داغر، ابراهيم الأحدب، عبد الباسط فتح الله، الشيخ محمد عبده، إضافة إلى اعتمادها على بعض الصحف **كالمؤيد**[1] ومجلة **السيدات والبنات**[2] وغيرها.

ونلاحظ أن هناك مقالات مسلسلة عديدة في المواضيع الاجتماعية، وذلك نظراً لأهميتها وغزارة مادتها.

أما الهدف العام من هذه المواضيع، فهو إصلاح أوضاع المجتمع عامة، وخدمة مصالح الوطن. ويظهر الهدف النفعي فيها أكثر من الهدف الإخباري، حيث نشعر أننا أمام مجلة اجتماعية وليس جريدة إخبارية، ولخدمة هذا الهدف العام قامت الجريدة بدعوات اجتماعية عديدة منها:

الدعوة إلى العلم: فلقد كانت الحالة العلمية في تدهور، وتعاني البلاد من انحطاط في مستوى التعليم والمعلمين، فقامت الجريدة بحملتها ضد الجهل، ودعت للإقبال على موارد العلم والمعرفة، وقدمت الآراء الحديثة والقيمة في مجال التربية والتعليم.

الحملة على المفاسد الأخلاقية والاجتماعية مثل القمار والمسكرات، وذلك لتحسين الهيأة الاجتماعية العامة.

الدعوة لتحرير المرأة من الجهل فطالبت بوجوب تعليم الفتاة، وتنظيم الزواج والطلاق، ومنح المرأة حقوقها الاجتماعية.

الدعوة إلى الحضارة والمدنية، وذلك نظرا للانفتاح على الغرب والتأثر بالمدنية الجديدة، فدعت للحاق بركاب الحضارة.

ويمكننا أن نصنف المواضيع الاجتماعية التي عالجتها الجريدة على الشكل الآتي:

مواضيع التربية والتعليم، المواضيع الأخلاقية، موضوع المرأة، والقضايا العمالية.

المواضيع التربوية.

عالجت الجريدة قضية التربية والتعليم في مواضيع كثيرة، ولقد دعاها إلى ذلك الأوضاع السيئة التي تمر بها المدارس، خصوصاً مدارس المسلمين التي كانت قائمة على الكتاتيب، أو على مدارس ابتدائية غير صحية، أو على معلمين غير ذوي الكفاءة. إضافة إلى أن الكثيرين من الأهالي كانوا يرفضون تعليم أبنائهم،

---

(١) **المؤيد**، جريدة ظهرت في القاهرة عام ١٨٨٩ م للشيخ علي يوسف.

(٢) مجلة السيدات والبنات أصدرتها ماري فرح في الاسكندرية سنة ١٩٠٣.

ويتركونهم في الأزقة والشوارع. فقامت الجريدة تطالب الناس باقتباس العلم، والإقبال على موارد المعرفة. وأعطت المجتمع آراء وتوجهات حديثة لتحسين أوضاع التعليم والمعلمين. وأبرز من كتب في هذا المجال «أسعد داغر»، و«الشيخ محمد عبده». كما اقتبست بعض المقالات عن مجلة السيدات والبنات.

وقامت الجريدة تدعو لإنشاء المدارس، ونشرت الأخبار العديدة والمتفرقة عن الجديد من أخبارها ومناهجها. فذكرت افتتاح المدرسة الحميدية في عكار سنة ١٨٩٣ م والمدرسة السلطانية في بيروت سنة ١٩٠٨ م، ونشرت قانون دار الفنون السلطانية سنة ١٩٠٨ م.

ومن الدعوات التي نادى بها القباني لافتتاح المدارس قوله: «فهل من كريم يجيب نداء هذا المستغيث، وأهل حمية يسعون في تحصيل الوسائل لإيجاد مدرسة ترفع عنا عار التأخر وإهمال الواجب»[١].

وقال أيضاً عند افتتاح المدرسة الحميدية في عكار:

«إنه افتتاح المدرسة الحميدية في عكار حرّك فينا ساكن الفكر لإيقاظ الهمم وإنهاض النفوس الكبيرة للسعي في سبيل النهضة العلمية والمزايا الملية»[٢].

واهتمت الجريدة بنشر الأخبار المتعلقة بالمدارس وأحوالها فكانت تذكر كل ما يرد إليها من أخبار عن افتتاح مدرسة أو احتفال في أخرى، فمن ذلك هذا الخبر:

«في الساعة الثالثة من هذا النهار احتفل بتوزيع الشهادات والجوائز على مستحقيها من طلبة المكتب الإعدادي في بيروت»[٣].

وهناك إعلان عن موعد افتتاح المدرسة السلطانية لأحمد عباس الأزهري في بيروت سنة ١٩٠٨ م[٤] وإعلان عن افتتاح مكتب التجارة والصنائع الحميدي في بيروت سنة ١٩٠٨ م[٥]. ونشرت قانون دار الفنون السلطانية في سنة ١٩٠٠ م وجميع المواد المتعلقة بدخولها، وشعبها والمواد الدراسية فيها[٦] وذلك إثر التحسينات العمرانية والتعليمية التي جرت في دار السلطنة العثمانية أيام السلطان عبد الحميد الثاني. كما نشرت قانون الجامع الأزهر في مصر في سنة ١٨٩٦ م لمن يرغب في إتمام دراسته الجامعية، فيسهل عليه

---

(١) ٣٣٦ (٢٣ رجب ١٢٩٨ / ٢٠ حزيران ١٨٨١) ص ١ .
(٢) ٩٥٧ (٢٥ جمادي الأولى ١٣١١ هـ / ٢٢ ت٢ ١٨٩٣ م) ص ١ .
(٣) ١٥٦٧ (٢٧ ربيع الثاني ١٢٣٤ / ١٦ حزيران ٩٠٦) ص ٤.
(٤) ١٦٨١ (٢٨ شعبان ١٣٢٦ هـ / ٢٢ أيلول ٩٠٨) ص ٦.
(٥) ١٦٤٧ (١٦ ذي الحجة ١٣٢٢ / ٢٠ ك٢ ١٩٠٨) ص ٤.
(٦) ١٢٩٩ (٢٣ جمادي الأولى ١٣١٨ / ١٧ أيلول ١٩٠٠) ص ٢ و٣.

معرفة القوانين من الجريدة. فذكرت في أربعة أعداد القوانين الإدارية، وكيفية الانتساب وشروطه، والعلوم التي تدرس فيه والسنوات المخصصة للدراسة والامتحانات، والعقوبات التأديبية والأحكام العمومية[1].

وفي أصول التعليم تحدث «أسعد داغر» في مقالات عديدة عن مستقبل المدارس، وعن المعلمين وطرق التعليم وأهلية المعلمين. كما اهتمت الجريدة بتربية الناشئة ومستقبلها، وباللغة العربية والمواد التعليمية.

أما أسعد داغر، فاعتبر أن النجاح والارتقاء يتوقف على الإصلاح المدرسي، لذلك وجّه النصائح والإرشادات إلى المعلمين الحاملين أعباء هذه المهمة، فدعا المعلم أن يكون قدوة للتلميذ، بأن يدرّب نفسه أولاً قبل أن يدرب تلامذته. وأن يحافظ على النظام والرصانة قبل غيره، وأن يستقرىء صفات التلاميذ وأميالهم حتى يستطيع أن يطبق عليهم الدروس التي يريد إعطاءهم إياها، وكذلك على المعلم أن ينتبه إلى صوته وحركاته لأنهما ملفتان للنظر، وأن لا يرتاب في إعطائه الدرس كي لا يدع مجالاً للتلميذ ليهزء به، وعليه أن يعمل على ترقية الآداب والأخلاق، وأن لا يعتمد على الكتاب فقط في تدريس العلوم، بل أن يتوسع في دائرة معارفه، أما في مسألة القصاص، فيجب عليه أن لا يفرط فيه، وأن لا يسن قانونا لا يقوى على تنفيذه. وأخيراً عليه مراعاة الحرص في التمارين المعطاة للتلميذ فلا يكثرها عليه حتى يستطيع إتمامها، وأن يحترم الدوام المدرسي فلا يصل متأخرا ولا يهمل الساعات التي يجب أن يدرّس فيها[2].

ولقد بلغ «داغر» غاية التقدم في عرض وسائل التعليم وطرقه، فكانت وسائل حديثة جداً. وهذه النوعية من الطرق، تدرس اليوم في مناهج التربية.

ولم تُهمل الجريدة الناشئة ومستقبلها، وأغلب المقالات بهذا الخصوص قد نقلت عن مجلة السيدات والبنات، وفيها عرض لكيفية تربية الأطفال منذ الولادة. كما اهتمت بتربية الأطفال الأدبية، وتربيتهم الأخلاقية فذكرت:

«إن للولد ثلاثة عوالم: عالم البيت وعالم المدرسة والعالم الواسع، ويتوقف مركزه في العالم الثالث على العالمين... والأم التي تستطيع معرفة مزاج أولادها وعقولهم وآدابهم وبنيتهم وتدربهم على قدرها تمسك مستقبلهم بيدها..»[3].

وهذه المقالات مهمة بالنسبة لكل أم يهمها تربية طفلها، لأنها تعرض تلك الوسائل التربوية منذ الشهر الأول للولادة حتى ينشأ ويذهب إلى المدرسة.

كما وجهت الجريدة نصائح للآباء في تربية أبنائهم، فعرضت واجبات الآباء نحو أبنائهم في تربيتهم

---

(١) الأعداد ١٠٨٨ و١٠٨٩ و١٠٩٠ و١٠٩١ (١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م).

(٢) الأعداد ٩٦٠، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٧١، ٩٧٣، (١٣١١ هـ / ١٨٩٤ م)

(٣) ١٤٤٤ (١ جمادي الثانية ١٣٢١ / ٢٤ آب ٩٠٣) ص ٢ و٣.

الأخلاقية والدينية وتعليمهم الصدق ونبذ الكذب، واختيار المدرسة الصالحة لهم، وتعليمهم محبة الوطن وفضيلة الاعتماد على النفس، ونشرت مقالاً نقلاً عن جريدة **المؤيد** تطلب فيه من الآباء ضرورة إعداد أبنائهم لتقبل العلوم الدينية جاء فيه:

«الطفل ليس لأبيه وإنما هو لنفسه ولأمته، لذلك وجب الاعتناء بتربيته..

والتربية الأصعب هي التربية الدينية لأنها تعتمد إشراب عقل الطفل وقلبه مبادىء الدين وتعاليمه وعقائده، لذلك لزم إعداد عقل الطفل لفهمه»[1].

وفي مكان آخر توضح عواقب سوء تربية الطفل التي تعتمد على الضرب فتقول:

«فإذا استعملت القسوة والضرب في تربية أولادك، ثم لم تر فيهم الأخلاق والآداب التي تحبها لهم فتبعة ذلك تكون عائدة عليك، وعاره لاحقاً بأسرتك»[2].

أما المواد التعليمية التي حرصت الجريدة على الدعوة إلى تعليمها، فهي اللغة العربية، واللغة التركية، والجغرافية، والتاريخ، والتعليم الديني، كما نصحت بضم التعليم الصناعي إلى المدارس العلمية.

ففي مسألة اللغة العربية: ترى الجريدة أنه يجب أن يتدب لها من يكون أميناً خبيراً قادراً على تذليل الصعاب أمام التلاميذ. وفي مقال للشيخ «محمد عبده» نشرته الجريدة في ثلاثة أعداد بعنوان «العلم والتعليم» وهو درس ألقاه على ملأ من العلماء والفضلاء في تونس، بيّن فيه معنى العلم والتعليم وأهميتهما وخلص فيه إلى وجوب تعلم اللغة العربية وإتقانها، لما فيه من ذخائر العلم والأدب فيقول:

«فان إصلاح لساننا هو الوسيلة المفردة لإصلاح عقائدنا وجهل المسلمين بلسانهم هو الذي صدهم عن فهم ما جاء في كتب دينهم وأقوال أسلافهم، ففي اللغة العربية الفصحاء من ذخائر العلم وكنوز الأدب ما لا يمكن الوصول إليه إلا بتحصيل ملكة اللسان»[3].

أما اللغة التركية فتطالب الجريدة بضرورة تعلمها لأنها اللغة الرسمية في البلاد ولأن أكثر التلاميذ يخرجون من المدارس وهم لا يعرفون شيئاً عنها فيقول داغر للمعلمين:

«ولي كلمة للذين يعلّمون لغة دولتنا العثمانية وشدة حاجتنا إلى هذه اللغة حتى أن تعليمها أصبح في مقدمة ما نرجوه في مدارسنا، لأن أكثر التلاميذ يخرجون وهم لا يعرفون شيئاً عنها»[4].

---

(١) ١٥٩٢ (١ ذي القعدة ١٣٢٤ / ١٧ ك١ ١٩٠٦) ص ٢ و٣.
(٢) ١٦١١ (٢٣ ربيع الأول ١٣٢٥ / ٦ أيار ١٩٠٧) ص ٢ و٣.
(٣) ١٤٥٣ (٤ شعبان ١٣٢١) / ٢٦ ت١ ١٩٠٣) ص ٢ و٣.
(٤) ٨٦١ (٢٨ ربيع الثاني ٨٠٩ / ٣٠ ت٢ ١٨٩١) ص ٢.

وشكرت الجريدة الدولة مراراً على إعلانها تدريس اللغة التركية في البلاد العثمانية لما في ذلك من فائدة معنوية لعامة البلاد.

وهناك شكوى من قلة الكتب الجغرافية والتاريخية المختصة، فترجو الجريدة أن يتعلم الأولاد جغرافية البلاد العثمانية وتاريخها[1]، وأن يتحدث الأساتذة عن وجوب محبة الأولاد للدولة والوطن، والاستعداد لخدمتها وطاعتها كما جاء في الجريدة في خطاب موجه إلى المعلمين:

«بقي أن أذكركم بضرورة تحديث الأولاد عن نعم السلطان المتواصلة على البلاد وخدمة العلم، وأن تمرنوهم على توحيد المشرب، وجمع الكلمة وتأليف القلوب على حب الدولة العلية، وتنشؤهم رجالا تضمهم الجامعة العثمانية وتجمعهم الطاعة المقدسة للسلطان وأن تعلموهم أن الوطن بحاجة إليهم لخدمته ورفعة شأنه»[2].

ونادى الشيخ «محمد عبده» بضرورة الاهتمام بالعلوم الإسلامية من فقه وتوحيد وأصول والاهتمام بعلم النحو وتدريسه[3].

كما طالب القباني وجوب الاهتمام بالعلوم الدينية بسبب فقدان العديد من الفقهاء فقال:

«أما حاجاتنا العظمى فالعلوم الدينية، فلقد مات أكثر العلماء الفقهاء في لبنان ونحن في حاجة إلى مدرسة ومكتب يتعلم فيه الطالب حتى يصل إلى مرحلة جيدة»[4].

وطالبت الجريدة بضرورة ضم التعليم الصناعي للمدارس العلمية. فبلغت في فكرتها هذه خطوة كبيرة على طريق التقدم والانفتاح على متطلبات المجتمع واحتياجاته، فرأت أن البلاد تفتقر إلى الصناعات، ولا بد من تعليم هذه المهن في المدارس اسوة بالغرب «فان أوروبا جنت من خلال إدخالها في المواد العلمية فوائد مادية وأدبية كبيرة»[5].

وتقترن الدعوة إلى العلم **بالحملة على المفاسد الأخلاقية**. فلقد هدفت الجريدة إلى تنظيف العقول من الفساد، والسير بالمجتمع في مجرى التقدم واللحاق بالحضارة، وأبرز من تكلم في هذه المواضيع الشيخ «ابراهيم الأحدب» وكثرت مقالاته الأخلاقية في السنوات الأولى لتأسيس الجريدة. وتناولت الصدق والكذب والظلم والفساد، وآداب الطعام، وآداب اللباس، والإحسان وإصلاح النفس، كما دعا إلى نبذ الظلم وأهله، وإلى الشراكة في الرأي لأنها السبيل إلى الصواب، ومن هذه المواضيع مقال يدعو للاتحاد والاتفاق يقول فيه:

---

(١) ٨٣٣ (٢٥ رمضان ١٣٠٨) ٤ نوار ١٨٩١) ص ٢ و٣.
(٢) ٨٦١ (٢٨ ربيع الثاني ١٣٠٩ / ٣٠ ت٢ ١٨٩١) ص ٢.
(٣) ١٤٥٢ (٢٧ رجب ١٣٢١ هـ/ ١٩ ت١ ١٩٠٣ م) ص ١ و٢.
(٤) ٩٥٧ (٢٥ جمادي الأولى ١٣١١ / ٢٢ ت٢ ١٨٩٣) ص ١ .
(٥) ١٢٦٠ (١٦ شعبان ١٣١٧ / ٩ ك٢ ١٨٩٩) ص ٣.

«فعلينا أن نمد السلطان بالتأم القلوب على طاعته، وعدم الخروج عن حزب نصره وجماعته، فلا نشق له عصا الطاعة ولا نخالف أهل السنة والجماعة.. ونؤدي ما تطلبه منا حاجة البلاد»[1].

وفي مقال آخر له يدعو فيه كل فرد للتبصر في أحوال نفسه وحسن سياستها فيقول:

«الكيس من أحسن سياسة نفسه، وكان في مستقبل أمره أحسن منه في أمسه ورد جماحها عن الغواية وعرج بها في معراج الدراسة إلى الهداية»[2].

ونشرت الجريدة موضوعاً عن «البطالة»، وما تحدثه من مضار في الجسم والعقل والأدب» فهي تفسد الأخلاق وتميت الشهامة وتحمل على ارتكاب المعاصي وتؤدي إلى بلادة العقل وخموله»[3].

كما نشرت مقالاً للشيخ «مصطفى الغلاييني»[4] دعا فيه للتعاون والتعاضد والنظر في الفائدة العمومية قبل الخصوصية في سبيل عمران البلاد، لأنه بالتفرق تنحل عرى الأمة وتضعف قواها فقال:

«فإذا تضافرت الأيدي واتحدت الوجهة ارتقت الأمة الارتقاء الحقيقي المرغوب»[5].

وذكر أحد الكتّاب في رسالة وجهها إلى الجريدة أن التعاون لا يتحقق معناه إلا بالعمل، فكل من نظر في نفسه عرف أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش إلا مجتمعاً وقال:

«ومن حكمة الله أن جعل عمل الإنسان موزعاً ومشتركاً بين أفراده يشعر كل منهم بالحاجة إلى الآخر، ليتكافل كل منهم على القيام بهذه الحياة الاجتماعية»[6].

ولم تقصد الجريدة من خلال الدعوة لتحسين الأخلاق والآداب تحسين الهيأة الاجتماعية المحلية فقط، بل أرادت خدمة الوطن بأكمله. فأكثرت لذلك من التشجيع والحث على الاجتماع والاتحاد والتعاون، ليتم بذلك الهدف الذي أرادت الجريدة الوصول إليه وهو خدمة مصالح الوطن.

ومن ذلك أنها قامت تحذر من الآفات الاجتماعية المضرة بالمواطن والمجتمع بكامله، وهي الخمر والقمار وحاولت تقديم العلاج النافع لهذه الآفات، وأوردت مقالا نقلا عن جريدة **المؤيد** تبين فيه أضرار الخمر الاجتماعية والصحية، والتي منها ذهاب العقل، والخمول، وفساد الأخلاق والمزاج، واختلال الصحة، وارتكاب الفواحش والمنكرات.

---

(١) ٤٨٩ (١٦ شعبان ١٣٠١ هـ / ٩ ك٢ ١٨٨٤) ص ٢.
(٢) ٥٤٠ (١٥ شوال ٣٠٢ / ١٤ تموز ١٨٨٥) ص ٢.
(٣) ١٢٨٦ (١٩ صفر ٣١٨ (١٨ حزيران ١٩٠٠) ص ٣.
(٤) مصطفى الغلاييني: صاحب مجلة النبراس أديب وشاعر توفي سنة ١٩٤٤ م (راجع ص ٢٨٥).
(٥) ١٤٣٠ (٢١ صفر ١٣٢١ / ٢٨ نوار ١٩٠٣) ص ٦.
(٦) ١٢٦٠ (٨ شعبان ١٣١٧ / ٩ ك١ ١٨٩٩ م) ٢.

كما أن للخمر والميسر آفات كثيرة. نهى الشرع عنهما في القرآن والسنة وهما يؤديان لأذى الإنسان في شخصه من جهة الدين والعرض والمروءة والصحة. وأما أضرارها من حيث الهيئة الاجتماعية فهو التأثير من جهة التناسل، ومن جهة فقد الأمن، ومن جهة تعطيل العمل والتأثير على الثروة العامة[1].

وأخذت الجريدة تنشر المقالات التي تحذر من الخمر، وتبين أضرارها، ومن ذلك نقلاً عن احدى الجرائد الاميركية، يورد فيها الكاتب طريقة حديثة لمنع شاربي الخمرة عن تناولها، وهي أن يقال للسكير: غط طرف اصبعك في هذا الخمر ثم المس بؤبؤ عينك، وساعتئذ سيشعر بتهيج في مقلته لأن بؤبؤ عينه تتهيج ويعسر عليه النظر وحين يكثر منه سيعدم البصر مدة من الزمن، ثم يقال له «فاذا كان الخمر الصرف له مثل هذا الفعل على غشاء عينك ألا يكون له مثل هذا الفعل على بطانة معدتك، وهي لا تختلف في رقتها عن غشاء عينك»[2].

ونلاحظ أن الجريدة تضع نصب القارىء الأمراض السارية في المجتمع وتوجد لها الحلول فلا تتركها حسرات وآلام لا شفاء لها، بل تضع لها الأدوية الناجعة فإن تقبلها القارىء كانت الفائدة له، وان رفضها كانت سوء عاقبتها عليه.

موضوع المرأة

عالجت الجريدة موضوع المرأة وحقوقها وواجب تعليمها، ولقد كان هذا الموضوع مطروحا ومتداولاً كثيراً في ذلك الوقت، ومنذ أيام رفاعة الطهطاوى المتوفى سنة ١٨٧٣ م ارتفع الصوت بالدعوة إلى تعليم المرأة، وفي لبنان اهتم بطرس البستاني بهذا الأمر أيضا، ثم توالت المقالات والخطب والمناظرات بشأن المرأة وحقوقها ومقامها في المجتمع[3].

والمعروف أن المرأة العربية وخصوصا المسلمة كانت تعاني في القرن التاسع عشر نوعا من الجهل وحرماناً من حقوق التعلم، بينما كانت المرأة الغربية في أوروبا تتعلم وتعلم وتشارك الرجل في كثير من الأعمال، ونتيجة للانفتاح على الغرب ظهر تأثير حضارتهم الغربية في أفكار الأدباء والمفكرين العرب، فقاموا يدعون لتحرير المرأة من الجهل. ولعل القباني أول رجل مسلم في لبنان يدعو المرأة للتعلم. ويهيىء لها ظروف التعلم، وذلك ساعد في افتتاح مدارس للبنات من طريق جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ١٨٧٨ م.

لذلك أخذت الجريدة تنشر كل ما يتعلق بأحوال المرأة وما يدعو إلى تحسين أوضاعها الاجتماعية

---

(١) ١٦٢٢ (١١ جمادي الثانية ١٣٢٥ / ٢٢ تموز ١٩٠٧) ص ٣.

(٢) ١٦٠٣ (٢٦ محرم ١٣٢٥ / ١١ آذار ١٩٠٧) ص ٣.

(٣) أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، الطبعة الأولى، بيروت ك ٢ ١٩٦١، منشورات دار مكتبة الحياة، ص ٢٢٤.

وشهدت ابتداء من سنة ١٨٩١ م ازدياداً في تلك المواضيع فنشرت موضوعا بعنوان «نساء المسلمين» بقلم «فاطمة علية»[١] والذي جعل كتابا فيما بعد[٢].

كما كتب «عبد الباسط فتح الله» سلسلة أخرى من المقالات ترجمها عن كتاب «ارنست لوكوفي» بعنوان «مسألة النساء» وضمّنها آراءه الخاصة التي تستشف من التعاليم الإسلامية. فطالب بإصلاح تربية المرأة وتحسين أحوالها، وتكلم عن أوضاع المرأة في أربع مراحل: الفتاة والعروس والأم والمرأة، وعن حقوقها في كل وضع تكون فيه، وما فرضته لها الشريعة الإسلامية. وهو يرى أن إنصاف المرأة يكون بالرجوع بها إلى نصوص الشرع وأصول الدين. ثم إن المرأة شريكة الرجل في مسؤولياته فمن الواجب تناسب الشريكين، لأن المرأة الصالحة يؤثر صلاحها في زوجها وتكون قدوة حسنة لأبنائها وبناتها، والمرأة السيئة هي شر متاع الدنيا لذلك وجب حسن تربية البنات وتعليمهن، وتنوير عقولهن[٣].

أما الغاية التي أرادت الجريدة الوصول إليها من تعليم المرأة، فهي جعلها امرأة صالحة لأن تكون ربة بيت تقوم بوظائفها العائلية، وأهمها تربية أولادها، وأن تعدّ لأمتها رجالا تسعد بهم وترقى بفضلهم.

ففي رسالة من مدير معارف بيروت إلى الجريدة، يرى أن تعليم المرأة يجب أن يتعلق بما يفيد سعادة منزلها فقط، وأن اشتغال البنات بتعليم ما لا يحتجن إليه يعدّ من غير الفائدة، فيقول «فليصرفن عن تحصيل القوانين والفلسفة والسياسيات وأكثر أقسام الرياضيات نظرا لضعف مداركهن بالنسبة إلى الذكور»[٤].

وكذلك كان رأي «مصطفى لطفي المنفلوطي»[٥] إذ قال في موضوع تعليم المرأة:

«أما الفتاة التي لا تريد أن تكون زوجة وأمّاً، فلا يناسبها أن تتوسع في العلم وأن تتعلم تقويم البلدان وحقائق الأكوان»[٦].

وتطرقت الجريدة لموضوع الحجاب وتنظيم الزواج والطلاق، وهي مواضيع شرحتها الشريعة الإسلامية وبينت أصولها، فكان للجريدة المبادرة في نقل هذا الموضوع الذي كتب فيه الشيخ «حسين الجسر»[٧]

---

(١) فاطمة علية: كريمة صاحب الدولة جودت باشا مأمور مجلس الوكلاء في الدولة، كتبت الرواية بالتركية، لكن الثمرات عربتها ونشرتها تباعاً في جريدتها.

(٢) ٩٢٥ (٢٣ رمضان ١٣١٠ / ١٠ نيسان ١٨٩٣) ص ١ .

(٣) الأعداد ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، (١٣١٧ / ١٨٩٩).

(٤) ١٣٢٣ (٥ ذي الحجة) ١٣١٨ / ١٧ آذار ١٩٠١) ص ٢.

(٥) المنفلوطي: (١٢٨٩ - ١٣٤٣ / ١٨٧٢ - ١٩٢٤) أديب وقصصي ولد بمنفلوط في مصر وتعلم بالأزهر، وكان على صلة بالإمام محمد عبده نشر في جريدة المؤيد مقالات عدة تحت عنوان «النظرات والعبرات» وولي أعمالاً كتابية في وزارة المعارف وأمانة سر الجمعية التشريعية وأخيرا أمانة سر المجلس النيابي.

(٦) ١٣٤٩ (٧ محرم ١٣١٦ / ٣٠ شباط ١٩٠٨) ص ٢ و٣.

(٧) حسين الجسر: مفتي طرابلس كان رجل علم في عصره وصاحب وجاهة في بلده. راجع (ص).

ونشرته الجريدة في سلسلة مقالات وفيها يبرر الشيخ قضية تعدد الزوجات التي سمح بها الشرع للقادر، وجعل أسباب الزواج متعلقة بأربعة أمور هي أسباب الكسب الأربعة وهي: الامارة والتجارة والصناعة والزراعة، حتى إذا فقد منها سبب اقتصر على الثلاث الأخرى وهكذا حتى إذا فقدت الأسباب الأربعة ترك الزواج وأحيل للأغنياء. وأما الطلاق فقد أباحه الشرع حين لا يتم التوافق بين الزوجين، وهذا رحمة بهما لئلا تتحول حياتهما إلى خلاف دائم، ومن أهم الأسباب التي تدعو للطلاق هو عدم الإنجاب. أما حجاب المرأة فيرى الشيخ أنه أمر يقتضيه العقل السليم وتستحسنه الإنسانية والناموس الطبيعي. ولكن الحجاب الذي يقصده الشيخ هو ملازمة المنازل، لأنه يقول:

والنساء نظرا لتكليفهن بتدبير المنزل صار لزومهن للمنازل موافقا لما كلفن به»[1].

كما تحدثت الجريدة عن أخبار المرأة في دمشق، والمرأة في اليابان وعن مؤتمر النساء في برلين، ففي الموضوع الأخير ذكرت ما يلي:

«اجتمعت للمرة الأولى في برلين جمعية النساء المنتخبات وغايتهن النظر في حقوقهن السياسية والتصويت مع الرجال في الانتخابات العمومية»[2].

أما رأي الجريدة فكان مخالفاً لهذه المرحلة المتطورة التي توصلت إليها المرأة في أوروبا ورأت أن الأفضل للمرأة أن تطبق واجباتها كزوجة وأم، فهذه من أسمى الوظائف وأنفعها للهيأة الاجتماعية مما تطمح إليه. ففي نظرها أن المرأة خلقت لتكون زوجة وأمّاً، وأنها يجب أن تتعلم لتؤدي واجبها فقط في هذه المهمة التي خلقت لها. أما التوسع في ذلك فمرفوض وخصوصاً العمل خارج المنزل، فهذه من الحرية الأوروبية التي ليست صالحة لأن تكون في بلادنا.

ويدخل في نطاق المواضيع الاجتماعية موضوع **القضايا العمالية:**

ففي السنوات الأخيرة للجريدة اهتمت بموضوع العمل والعمّال ومطاليهم وذلك إثر الثورة العمالية التي حدثت في أوروبا والتي كانت من أسبابها الثورة الصناعية والتقدم السريع في التقنية وإرهاق العامل بالعمل المتواصل والسريع.

فنقلت الجريدة بعض المقالات الأميركية بهذا الخصوص ورأت ضرورة تحديد ساعات العمل، لأن إرهاق العامل في مهنته يؤثر في صحة الصناعة وجودتها فقالت:

«والصحيح أن خير الأعمال ما تمّ على مهل وبعناية. أما العمل الذي يتم بسرعة، فإنه عمل غير كامل»[3].

---

(١) ١٦٠٣ (٧ ربيع الآخرة ١٣٢٥ / ٣٠ أيار ١٩٠٧) ص ٣ و٤.
(٢) ١٤٨٩ (٥ جمادي الأولى ١٣٢٢ / ١٨ تموز ١٩٠٤) ص ٨.
(٣) ١٦٠٣ (٧ ربيع الآخرة ١٣٢٥ / ٢٠ أيار ١٩٠٧) ص ٣ و٤.

وطالبت بعدم حصر الثروة في أيدي أفراد قلائل، لأن ذلك يؤدي إلى فقر مدقع عند عامة الأفراد. وهذا الفقر يسوق إلى كثرة العمل لنيل القليل من الدراهم، وكثرة العمل مع قلة الأجرة داء عضال، يجعل العمل بمثابة عقاب لا بمثابة تأدية وظيفة في الحياة، ورأت الجريدة أن إضراب العمال نشأ عن هذه الأوضاع، لذلك اضطرت الحكومات لوضع قانون يحدد قيمة الأجور ومدة العمل[1].

وفي مقال آخر طالبت بضرورة انتهاز الفرص المهمة، والاستفادة منها في العطاء والإنتاج، كما يحصل في البلدان الأوروبية فقالت:

«أما أغلب تجارنا فليس عندهم لانتهاز الفرص أهمية تذكر، وكل ما يسمعونه بشأنها وعما اكتسبت يعتبرونه خرافة ويعللونه بالحظ»[2].

ولقد بلغت الجريدة تطوراً كبيراً في انفتاحها على مستجدات العصر وحوادثه، ودعت للتآسي به فيما يفيد التقدم والحضارة العلمية.

ويظهر لنا من خلال المواضيع الاجتماعية أن الجريدة كانت تعيش مع الناس وقضاياهم، ولم تبتعد عنهم وعن احتياجاتهم، فحين ترى أن الحاجة ملحة للتربية والتعليم، تنادي بتعميم العلم والمعرفة في البلاد، وتحذر من الجهل المضر، والبطالة المفسدة للمجتمع بكامله. كما تدعو إلى تهذيب الأخلاق والابتعاد عن المفاسد، لأن هذه الأمور تضر بالهيأة الاجتماعية، وتؤدي إلى ضياع البلاد وانهيارها. فالبلاد إنما تقوم على أكتاف أبناء هذا المجتمع، وبقدر ما يكون نظيفاً وراقياً يكون إسهامه في العمران قوياً وصالحاً.

ورأت الجريدة أن صلاح المجتمع يكون بإصلاح التعليم في المدارس وتنظيمه وتطويره، فعمدت إلى عرض أفضل وسائل التعليم الحديثة. لكن المدرسة وحدها لا تكفي، فلا بدّ من التربية البيتية، حيث الأم هي التي تتحمل مسؤولية تربية أبنائها، فيجب أن تكون الأم على مستوى جيد من التربية والتعليم حتى يكون أولادها صالحين أخلاقيا ومدنيا. لذلك حرصت الجريدة على الدعوة إلى تعليم المرأة وتحسين مستواها العلمي، خاصة وأن المجتمع الأوروبي قد شهد حركة ثقافية واسعة، وكان للمرأة الغربية دور بارز فيها، فلا يجوز للمرأة المسلمة أن تبقى جاهلة بينما تجد سواها تقوم بالمساهمة العلمية والعملية في مجتمعها، مع العلم أن الجريدة ترفض عمل المرأة المسلمة، كما دعت الجريدة كل فرد إلى تحمل مسؤولياته تجاه وطنه، وتأدية الواجبات التي يفرضها وطنه عليه، من عمران وثقافة ومدنية لكي يستطيع أن يسير بركاب الحضارة.

---

(١) ١٣٢٦ (٢٦ ذي الحجة ١٣١٨ / ١٥ نيسان ١٩٠١) ص ٢.
(٢) ١٦١٦ (٢٨ ربيع الآخرة ١٣٢٥ (١٠ حزيران ١٩٠٧) ص ٢ و٣.

وهناك القضايا العمالية التي شاركت فيها الجريدة عموم العمال الأوروبيين وبرهنت على مدى استعدادها لتقبل كل فكر جديد ومفيد للمجتمع، فطالبت ضمنيا بالاقتداء بالحضارة الغربية، لكنها رفضت ظاهرياً هذه الحضارة أو بالأحرى رفضت ما تمثله الحضارة الغربية من فساد في الطباع والأخلاق، ولم ترفض ما تمثله من علم ومعرفة.

ولقد برهنت الجريدة أنها جريدة تربوية أخلاقية بناء على اهتماماتها الاجتماعية الكبيرة والتي فاقت أي اهتمام آخر من مواضيعها.

٣ - الفنون الأدبية.

نتناول تحت هذا العنوان المواضيع التالية: الأدب والقصص والمسرح والكتب، واللغة بالإضافة إلى المواضيع الصحافية لكونها تتضمن مباحث ومناظرات أدبية.

ويبلغ عدد هذه المقالات الأدبية والأخبار الفنية ما يقارب الثمانماية موضوع تأخذ النسبة الكبرى منها أخبار الكتب، ثم الصحافة. إلا أنها ليست الأكثر أهمية فهي بغالبيتها أخبار وإعلانات، بينما تنال المقالات الأدبية أهمية أكبر لكونها تتناول مباحث قيّمة، رغم قلة عددها بالنسبة لأخبار الكتب والصحافة.

ولقد أرادت الجريدة من خلال هذه المواضيع الوصول إلى الغاية الثقافية التي هدفت لها، وحيث أرادت المساهمة الفعلية في تيسير نشر المعرفة بين الناس. وكان جو البلاد العلمي مستعداً لتقبل الثقافة. وكانت حركة التأليف والترجمة ناشطة، وتعمل على ارتفاع المستوى الفكري وتوسع الآفاق العلمية. وهذا ما تظهره لنا الجريدة من خلال مواضيعها الأدبية، خصوصاً بالنسبة لأخبار الكتب والمسرح والصحافة. فنجد أن الجهل الذي خيّم على البلاد قد بدأ ينقشع وينبعث مكانه نور العلم والمعرفة.

ونلاحظ أن الحياة الجديدة قد دخلت إلى الأدب، فجعلت الأدباء يتناولون المواضيع الحضارية الجديدة التي أفرزتها الظواهر العمرانية، والأساليب الحديثة، فأخذ الأدب يتدرج مع نهاية القرن التاسع عشر في التحلل من القيود التقليدية القديمة وينفتح على العصر الحديث ووسائله الحديثة.

ومن مشاهير الكتّاب في الفنون الأدبية الشيخ ابراهيم الأحدب والشيخ حسين الجسر بالإضافة إلى اعتمادها على بعض الصحف في نقل الأخبار مثل جريدة **المؤيد**وجريدة **المعلومات** التركية.

الأدب.

لم تهتم الجريدة بالأدب كفن خاص ولم تبلغ عنايتها به كعنايتها بباقي المواضيع السياسية والاجتماعية رغم الصفة الأدبية التي وسمت نفسها بها، وجلّ ما كانت تنشره بعض المواضيع الشعرية في المدح والرثاء والقليل من المباحث الأدبية.

فلقد دخل الأدب شيء من صبغة المدنية الحديثة مع منتصف القرن التاسع عشر، ودخلت إليه الخيالات الشعرية التي نقلت بالمخالطة والأسفار، ومطالعة كتب الأجانب الشعرية في أساليب النظم وطرق التصور الشعري، وأخذ البعض يقلدون الأساليب الافرنجية من حيث الوصف[1]، ولعل هذا التأثير ظهر في النثر أيضاً، فلقد كان النثر في أواخر العصر العثماني قد أصبح المعول عليه في الألفاظ بين سجع واستعارة وتورية وجناس، بحيث يتعذر الوصول إلى المعنى بسهولة. فلما جاءت المدنية بعلومها الطبيعية والرياضية أصبح الأدباء ينفرون من استعمال ما لا حقيقة له ويستنكفون عن إضاعة الوقت في السجع وتكرار الألقاب[2].

أما بالنسبة للمواضيع الشعرية التي تناولتها الجريدة، فكانت في السنوات الأولى متجهة نحو الأساليب والأبواب الشعرية القديمة، ونلاحظ أن أغلب المواضيع في تلك الفترة كان في المديح والرثاء وخاصة للسلطان أو لأصحاب المراكز المهمة والشخصيات البارزة، فنقرأ مثلا قصيدة في مدح وتهنئة راشد باشا، مدح السلطان مراد، رثاء شريف مكة، رثاء حسين بيهم، رثاء بطرس البستاني، قصائد تهنئة للسلطان، رثاء الشدياق. . .

وأشهر من كتب في هذه المواضيع الحاج حسين بيهم[3] في مدح الشريف حسين، والشيخ حسين الجسر في رثاء عبد الغني الرافعي، والشيخ أحمد طبارة في مدح السلطان عبد الحميد.

ونأخذ مثالاً من تلك القصائد، قصيدة للشيخ أحمد طبارة في مدح السلطان عبد الحميد ويظهر فيها الكثير من التملق للسلطان والارتفاع به إلى أبعد الحدود، وهذه القصيدة في سبعة عشر بيتا تبدأ بالمطلع التالي:

أعيدك أم عيد الكواكب والبدر ... وليلة عيد الفطر أم ليلة النحر

وليلة عيد الشرق للناس أشرقت ... فضاءت بها الأكوان أم ليلة القدر

بل هو عيد الشرق والغرب والعلى ... وعيد بني الدنيا وكل بني الدهر[4]

ثم مع مطلق القرن العشرين أخذنا نلاحظ التغير الجديد الذي طرأ على القصائد التي تنشرها الجريدة والذي يستدل منه أن الجريدة كانت تأخذ دائماً بالجديد ولا تقف جامدة أمام التيار الماضي، فكانت ذات طابع تجديدي كالقصائد التي تنشرها والتي تضمنت أبواباً شعرية جديدة مخالفة للأبواب القديمة متأثرة

---

(١) جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٥٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٠٦.

(٣) حسين بيهم، من أبناء بيروت، نشأ وتعلم فيها. وكان من أعضاء الجمعية العلمية السورية سنة ١٨٦٨ م وانتخب نائباً عن بيروت في مجلس المبعوثين سنة ١٨٧٦، له ديون شعر (راجع ص ٢٨٤).

(٤) ١٢٩٧ (٨ جمادي الأولى ١٣١٨ / ٣ أيلول ٩٠٠) ص ١ .

بالمظاهر الحضارية الحديثة، فنشرت قصيدة في «وصف القطار»[١] مأخوذة من ديوان «مصطفى الرافعي»[٢]. وهي قصيدة مؤلفة من خمسة وعشرين بيتاً، كما هناك قصيدة في وصف «الفونوغراف»[٣] نشرتها الجريدة نقلا عن جريدة طرابلس[٤]. وهناك قصائد في وصف المدن، إذ إن الشعراء تأثروا أيضا بالظواهر العمرانية الحديثة فظهر ذلك في شعرهم. فهناك قصيدة في وصف بيت المقدس، وقصيدة في وصف الطبيعة، وقصيدة في وصف «مدينة بيروت» ونأخذ مثالا على تلك القصائد التجديدية قصيدة بيروت للشاعر «سليم اليعقوبي»[٥] وهي مؤلفة من اثنين وعشرين بيتاً يُظهر فيها التجديد في الكتابة الشعرية يقول في مستهلها:

بي شوق يهزني نحو بيرو ت كما هزني اليها العلاءُ
بلدة تنبت الفضيلة في النفـ ـس كما أنبت الرياضَ الماءُ[٦]

ونتبين من خلال هذه المواضيع الشعرية حركة التدرج في فن الشعر أخذت تنقل من القديم إلى الحديث شكلاً ومضموناً، من حيث المواضيع الشعرية التي انتقلت من مدح فلان ورثاء آخر إلى وصف المظاهر الحضارية الجديدة أو في طريقة كتابة الشعر. ولكن عدد القصائد الشعرية القديمة كانت هي الأكثر عددا في الجريدة حيث كانت فترتها الزمنية أطول.

أما مواضيع الأبحاث الأدبية، فمنها ما يتعلق بالأدب وتاريخه كما في موضوع «الشعر والشعراء» ل «مصطفى الرافعي»، حيث يتحدث عن الشعر ومن ألف فيه[٧]، وموضوع يبحث في «تاريخ الموشحات والأزجال» منذ نشأتها في الأندلس[٨] وموضوع «المتشرقون الغربيون» كتبه محي الدين الخياط[٩] في ثلاثة أجزاء، وعرض فيه جهود المستشرقين الغربيين في دراسة الأدب العربي والشعر، وفي دراسة الدين الإسلامي ويتاول المشاهير منهم وأول من بدأ في ذلك العمل فيقول:

---

(١) ١٤٣٤ (١٩ ربيع الأنور ١٣٢١ / ١٥ حزيران ١٩٠٣) ص ٣.

(٢) **الرافعي** (١٢٩٧ - ١٣٥٦ / ١٨٨٠ - ١٩٣٧) أديب، وأصله من طرابلس الشام، عين كاتبا في محكمة طنطا الأهلية في مصر، وانتخب عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق، توفي بمصر له ديوان شعر «في ثلاثة أجزاء» تاريخ آداب العرب»، إعجاز القرآن.

(٣) ١٦٤٣ (١٨ ذي القعدة ١٣٢٥ / ٢٣ ت ١٩٠٧٢ م) ص ٥.

(٤) جريدة أنشأها محمد كامل البحيري في طرابلس سنة ١٨٩٣م).

(٥) **اليعقوبي** (١٢٩٧ - ١٣٥٩ / ١٨٨٠ - ١٩٤١) سليم بن حسن اليعقوبي فقيه وأديب ولد في فلسطين تعلم بها ثم بالأزهر وعين مدرسا في يافا ثم مفتيا لها. توفي بمكة من آثاره: ديوان شعري، «حسنات اليراع» و«حكمة الإسلام» و«الاتحاد الإسلامي» حسان بن ثابت»...

(٦) ١٦١٩ (٢٠ جمادي الأولى ١٣٢٥ / ١ تموز ١٩٠٧) ص ٥ و٦.

(٧) ١٤٣١ و١٤٣٢ (١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م).

(٨) ١٤٣٥ (٢٦ ربيع الأنور ١٣٢١ و/ ٢٢ حزيران ١٩٠٣ م) ص ٣ و٤.

(٩) **محي الدين الخياط**: أحد رجال الأدب والفقه والشعر وعمل في ميدان التربية والتعليم وكتب في «ثمرات الفنون» و«الاقبال» من مؤلفاته دروس التاريخ الإسلامي، دروس الصرف والنحو...

«أول من كتب في السيرة المحمدية» جان غاني يه» فرنسي الأصل، ثم ترجم ساوارس القرآن العظيم سنة ١٧٨٣ م وكتب كوستاوده يل بالالمانية كتابا في النبي وسيرته الشريفة ثم ألف «كوسه ن دوبر سووال كتاباً في ثلاثة مجلدات سماه «تاريخ العرب». .[١]. .

وفي نطاق النقد لأدبي نجد موضوعاً لأسعد داغر بعنوان «كساد بضاعة الأدب» ينتقد فيه إهمال الناس للأدب وعدم اهتمامهم به[٢]، وهناك بحث قيم في «أصول الكتابة» لابراهيم الأحدب في ٣ أجزاء، يعرض فيه ضرورة اطلاع الكاتب على أسرار وفنون الكتابة الأدبية، ومعرفة علم المعاني وعلم البديع[٣].

وفي نطاق النثر الأدبي نجد موضوعاً بارزاً بعنوان «قدوم الربيع» للأحدب، وكانت الجريدة تدرج هذا النوع الأدبي ضمن مختارات من النثر والشعر، وضمن الباب نفسه عرضت الأمثال والحكم فتأخذ المثل وتبيّن سبب شيوعه كما في عند جهينة الخبر اليقين» أو «على نفسها جنت براقش». ثم أحدثت الجريدة في السنة الخامسة والعشرين باباً جديداً بعنوان «الفكاهات واللطائف» تسرد فيه النوادر المسلية عربية وأجنبية.

فمن تلك النوادر ما روته نقلاً عن إحدى الجرائد بعنوان وسيلة الغنى»:

«ومن لطيف ما روته الجرائد أن زنجياً من قبيلة الأشانتي قتل امرأته، فحكم عليه بالحبس مدة خمس سنين. فتعلم صناعة التجارة واشتهر أمره كثيراً. فاتفق أكثر الزنوج على قتل نسائهم ليدخلوا السجن ويتعلموا ما تعلمه. فحين علم الملك بالأمر دعا إليه رجلاً أرمل فضرب عليه جزية باهظة. فلم يعد حينئذ من يتكلم بذبح امرأته[٤].

لكن هذا الباب لم يطل عمره، إذ إن الجريدة ألغته مع التغيير الجديد الذي بدأت به في السنة السابعة والعشرين، فجعلت باباً مخصصاً لمناهج البيان أودعت فيه ما وقفت عليه من بدائع الشعر الجديد والكتابة العصرية. ونلاحظ أن أغلب المباحث الأدبية كانت بعد السنة الخامسة والعشرين للجريدة، أما قبل تلك الفترة فقلّما نعثر على موضوع أو بحث أدبي قيم.

كما اهتمت الجريدة بالقصة في السنوات الأولى ما بين ١٨٩٢ و١٨٩٥م، حيث عرضت موضوع قصتين: الأولى بعنوان «سعادة العائلة» والثانية «الوطني» أما القصة الأولى، فلقد كانت مترجمة إلى العربية بقلم «عوني اسحاق» وعرّفت بها الجريدة فقالت:

---

(١) ١٤٨٤ (٢٩ ربيع الأول ١٣٢٢ (١٣ حزيران ٩٠٤) ص ٣ و٤.
(٢) ١٣٣٥ (٧ ربيع الأنور ١٣١٩ / ٢٤ حزيران ١٩٠١ م) ص ٦.
(٣) العدد ١٧ و١٨ و١٩ (١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م).
(٤) ١٣٧٨ (٤ صفر ٣٢٠ / ١٢ نوار ١٩٠٢) ص ٨.

«سعادة العائلة» هي اسم لرواية حسنة الموضوع لطيفة الأسلوب أدبية الغاية تأليف «الكونت ليون تولستوى» الروسي، ترجمت للتركية ونقلت تباعاً برخصة نظارة المعارف الجليلة في جريدة ترجمان حقيقت»[1].

أما الرواية الثانية، فلقد نقلتها الجريدة عن المؤيد وكانت أهدافها وطنية كما يدل عليها اسمها فلذلك قالت الجريدة:

«فأحببنا نقلها تبصرة وذكرى لقوم يتأملون»[2].

ومن الملاحظ أن الروايات في تلك الفترة كانت تعتمد على الترجمة، وهذا يدل على مدى توسع الثقافة الأجنبية وانتشارها في البلاد كما يدل على نشاط حركة التأليف والترجمة التي لم تقتصر على الروايات بل كانت شاملة لجميع أنواع الفنون، فمن خلال الإعلانات الكثيرة عن مواضيع الكتب التي يبلغ عددها ما يقارب الثلاثماية وخمسين تبدو لنا هذه الحركة الناشطة في الترجمة، فهناك إعلان عن كتاب تعريب «تاريخ وليم الظافر» لأسعد داغر. وترجمة رواية «ذات النقاب» ليوسف آصاف، وترجمة «رواية العبر» لنجيب طراد. وإعلان عن كتاب ظهر باللغة الفرنسية عن الإسلام بقلم «دوزى». أما مواضيع الكتب التي أعلنت عنها الجريدة، فنجدها متعددة الاهتمامات، فمنها الأدبية ومنها الدينية، والتاريخية، والعلمية. فمن تلك الكتب: «كشف الأرب عن سر الأدب» لابراهيم الأحدب، و«أساس البلاغة» للزمخشري و«رسالة التوحيد» لمحمد عبده، وتاريخ روسية الحديث لنخله قلفاط.

أما اهتمامات الكتاب بالمواضيع العلمية، فيبدو أنها قليلة لأننا قلما نعثر على إعلان لها إلا فيما ندر، ومن الكتب التي ذكرت «منتخبات الصناعة» لمكاريوس شاهين و«غرائب الأرض والسموات» لابراهيم الحوراني.

ومن الملاحظ أن الجريدة لم تقتصر على نشر الثقافة الإسلامية فقط، بل تعدتها إلى نشر أعمال لأدباء مسيحيين فأعلنت عن كتاب «شعراء النصرانية» للأب لويس شيخو، وكتاب «مختارات أديب اسحاق» لعوني اسحاق.

وكذلك أطلّت الجريدة على أخبار المكتبات العامة الشهيرة، مثل المكتبة الرفاعية في طرابلس، والمكتبة الخالدية في القدس، والمكتبة اليسوعية في بيروت وأخبار عن أشهر المكتبات العامة في أوروبا.

ولقد عكست لنا الجريدة الصورة الثقافية الحديثة في تلك الفترة من حيث إقبال الكتّاب على الاهتمام بنشر المعرفة والعلم بين ا لناس، لأن وجود الكتاب في مجتمع ما يدل على حضارته واندفاع أهله لنيل المعرفة والترقي وبقدر ما تكون مواضيع الكتب قيمة، تكون فائدتها عظيمة في تنوير العقول التي تسكب فيها.

---

(١) ٩٠٤ (٢٤ ربيع الثاني ١٣١٠ / ١٤ ت٢ ١٨٩٢) ٤.
(٢) ١٠٢٥ (١٣ شوال ١٣١٢ / ٢٢ نيسان ١٨٩٥) ص ٣.

ويدلنا اهتمام الجريدة بمواضيع الكتب والمكتبات على مدى استعدادها في المساهمة الفكرية والنهضة العلمية للبلاد، فعملت على تنشيط الثقافة العامة وإشاعة العلم والمعرفة بين أوساط الناس.

وهذا ما نلاحظه أيضاً من خلال أخبار الروايات المسرحية التي كانت تعلن عنها الجريدة من وقت لآخر.

فلقد دخل التمثيل الحديث إلى البلاد العربية في أواسط القرن الماضي، وكان السوريون[١] أسبق المشارقة إلى اقتباسه بسبب اختلاطهم بالافرنج وإتقان لغاتهم، والرحلة إلى بلادهم ومشاهدة مسارحهم ومطالعة مؤلفاتهم، وأول من فعل ذلك منهم في بيروت «مارون النقاش»[٢]، حيث مثل أول رواية عربية سنة ١٨٤٨ م أي قبل إنشاء المدارس الكبرى، ثم نشأ بعد ذلك حب التمثيل ورغب أكثر الأدباء في هذه الصناعة، فجعلوا يمثلون على المسارح العامة والمدارس الكبرى[٣].

ولقد أظهرت لنا الجريدة هذه الحركة الناشطة على صعيد التمثيل المسرحي بما أعلنته عن هذا الفن وعن أصحابه. ومما يلفت النظر أسماء المؤلفين المسرحيين الذين ذاع صيتهم في تلك الفترة. وحملوا على كاهلهم مهمة تنشيط هذا الفن المسرحي وتقديمه، حيث شهد التمثيل المسرحي بداية عهده على أيديهم، ومن هؤلاء المؤلفين البارزين: الشيخ ابراهيم الأحدب، سليم النقاش، يوسف الخياط، انطوان شحيبر.

ومنهم من ألف روايات مسرحية ومنهم من ترجم بعض الروايات، فمن الروايات العربية رواية «ولادة بنت المستكفي» للأحدب الذي ذاع صيته بالروايات المسرحية، ومن الروايات المترجمة: «رواية المريض الوهمي» التي نقلها عن الفرنسية انطوان شحيبر، ولقد كانت أغلب الروايات المسرحية مترجمة عن روايات أجنبية، أما أشهر المسارح التي عرضت فيها، فهو المسرح السوري في بيروت.

وظهرت في تلك الفترة حركة في اللغة وعلومها، وكان ابراهيم اليازجي - كما يذكر جرجي زيدان - أول من اهتم بذلك فانصب على تصحيح كثير من الكتب العربية، ثم تبعه الشدياق فنظر في اللغة نظرة تحليلية وألف كتاباً في اللغة سرد فيه الأفعال والأسماء الأكثر تداولاً، ورتبها بالنظر إلى التلفظ بها لإيضاح تناسبها وتجانسها لفظاً ومعنى، وهذا الكتاب هو «سر الليال في القلب والابدال». ولكن بالإجمال قلّما

---

(١) المقصود أبناء البلاد السورية بما فيها لبنان وفلسطين وسوريا. كما ذكرنا سابقاً.

(٢) مارون النقاش: ولد سنة ١٨١٧ في صيدا وأتقن اللغات التركية والفرنسية والايطالية وكان لديه ولع بالموسيقى ولكنه انقطع للتجارة ومال إلى الأسفار، فرحل إلى مصر وإيطاليا وشاهد مسارحها فأعجبه التمثيل ونقله إلى العربية، من مؤلفاته المسرحية «رواية البخيل» مثلها سنة ١٨٤٨ في بيته ورواية «هارون الرشيد» وغيرهما. توفي سنة ١٨٥٥ (زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٥٠٢ - ٥٠٣).

(٣) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٥٠٢.

أصاب العلوم اللغوية تغيير يذكر، إلا في بعض الكتب المدرسية من حيث ترتيبها لتسهيل تناولها على الطلاب[١].

ولهذا كانت المباحث اللغوية في الجريدة قليلة فتبلغ ما يقارب الخمسين موضوعاً انصبت حول الاهتمام باللغة العربية وضرورة تعلمها، إضافة إلى بعض المباحث اللغوية.

ولقد كانت الجريدة تذكر استعدادها الدائم لنشر كل ما يرد في مباحث اللغة العربية[٢]. فنشرت في سنة ١٨٨١ م مقالاً مهماً بقلم «جبر ضومط»[٣] بعنوان «واجب الاهتمام باللغة العربية» تضمن النصح لأبناء الوطن والدعوة للتيقظ من الانصباب على اللغات الأجنبية وترك اللغة الأصلية التي بها قام الوطن وحفظ الجنسية ومما قاله:

«إن اللغة هي السلطة القوية الرابطة لمجموع أفراد الأمة برباط الألفة... فنحث أبناء الوطن على الانتباه إلى مثل ذلك وأن لا يلقوا أوطانهم في أخدود التأخير بأيديهم فيكونوا هم الجانين على أنفسهم وعلى بلادهم»[٤].

إلا أن البيئة الحضارية الجديدة استدعت دخول مفردات حديثة إلى اللغة العربية، ما اضطر اللغويون للوقوف على هذه الظاهرة، والبحث في إمكانية دخولها إلى اللغة أو رفضها. فنشرت الجريدة في سنة ١٨٩٤ م بحثاً للأديب «فضل الله صروف» [٥] بعنوان «الألفاظ الغربية في العربية» يبين فيه بعض الألفاظ الغربية التي دخلت إلى اللغة العربية ويدعو للتمسك بالألفاظ العربية ومما قاله:

«ما المانع من ترجمة الألفاظ التي صارت الأحوال تقتضيها.. فإذا قلنا عوضا عن (دق بالتلغراف) يدق دقا ودقدقة وأخباراً تلغرافية الخ ب سلكش بسلكش سلكوشات جمع سلكوشه ونحو ذلك، فإن كلمات كهذه مستحدثة بدواع من اللغة ضرورية لا بد أن تظهر باديء ذي بدء مستهجنة»[٦].

كما تناولت الجريدة موضوع «اللغات الشرقية في أوروبا» وهو موضوع حديث استدعته حركات الترجمة والنقل، فذكرته الجريدة في أربعة أعداد في سنة ١٩٠٤ م بقلم المستشرق «ادوارد براون»[٧]. ويبحث في هذا الموضوع عمل الأوروبيين وتهافتهم على نشر العربية قولاً وعملاً. وذكر أنهم يطبعون في كل عام ألوفا من مؤلفات العرب القدامى النادرة وفي مختلف الفنون[٨].

---

(١) زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٤ ص ٥٩٤.
(٢) ٩٧٩ (ذي العقدة ١٣١٥ / ١٤ نوار ١٨٩٤) ص ٣.
(٣) جبر ضومط هو أستاذ اللغة العربية في المدرسة الكلية الامريكية وله كتاب «الخواطر» في اشتقاق اللغة، وفلسفة البلاغة، والخواطر العراب في النحو والاعراب (زيدان، ج ٤، ص ٥٩٥).
(٤) ٣٤٠ (٢١ شعبان ١٢٩٨ / ١٨ تموز ١٨٨١) ص ٤.
(٥) أستاذ اللغة في جامعة كمبردج في انكلترا.
(٦) ٩٧٩ (٩ ذي العقدة ١٣١٥ / ١٤ نوار ١٨٩٤) ص ٣.
(٧) أستاذ اللغة في كلية كمبردج في انكلترا.
(٨) ١٤٦٢ (١٦ شوال ١٣٢١ / ٤ ك٢ ٩٠٤) ص ٢ و٣.

وهناك أيضاً بعض المباحث اللغوية المهمة، مثل موضوع «كيفية تأسس علم اللسان» وموضوع «الفصحى والعامية»، «الفصاحة والبلاغة».

وبالإجمال، فإن المباحث اللغوية في الجريدة كانت قليلة ونادرة وأغلبها كان مع مستهل القرن العشرين وهي مباحث حديثة كمثل موضوع اللغات الشرقية واللغات الغربية، وفيما خلا ذلك فالمواضيع اللغوية السابقة كانت عادية وعلى النسق القديم.

ننتقل إلى المواضيع الصحافية فنجد أن الجريدة تضمنت ما يقارب مئتين وأربعة وثلاثين موضوعاً بين خبر ومقال، ولو أردنا أن نجري إحصاء للصحف والمجلات الصادرة آنذاك لوجدنا الثمرات خير دليل لنا، إذ إن الجريدة كانت تهتم بأخبار كل جريدة ومجلة تصدر في لبنان والخارج، كما كانت تنشر ما تتعرض له الجرائد من توقف عن الصدور أو عودة أو تعطيل، وأحياناً تجري مناظرات مع بعض الجرائد المحلية وغيرها، وفي الجريدة توجهات عديدة إلى الصحافيين لاتباع الأساليب الصحيحة في نقل الأخبار وتجنب كل ما يضر بمصلحة الدولة. ففي سنة ١٨٩١ م نشرت الجريدة مقالاً مهما في وظيفة الجرائد وواجباتها نحو الدولة والوطن، وحذرت من تفضيل المصلحة الخاصة على المصلحة الوطنية والتي تظهر على الأخص في نقل الأخبار عن جرائد أجنبية، وهذه الأخيرة لا تريد سوى مصلحة بلادها فتقول:

«يوجد عدد ليس بقليل من أهل النفوذ يود كل منهم خدمة مصلحته الخاصة وإن كان بها ضرر المصلحة العامة ولا يريد من الجريدة إلا أن تكون خادمة لفكره الخاص أصاب به أم أخطأ، ضرّ به أم نفع»[(١)].

وهناك مناظرات عديدة أجرتها الجريدة مع جرائد أخرى محلية **كالبشير والجنة**[(٢)] وغير محلية مثل **الصدى**[(٣)] **والأهرام**[(٤)].

فلقد اشتهرت الثمرات بتعصبها للدين الإسلامي وتأييدها للدولة العثمانية.

وجلّ المناظرات التي كانت تجري بينها وبين هذه الصحف إما لسياستها الإسلامية أو العثمانية، ومن تلك المناظرات ما أجرته الجريدة مع البشير في مسألة الرق ودفاعها عن الكاردينال لافيجرى وهي مسألة كانت للثمرات مواقفها الإسلامية منها - كما سبق -.

---

(١) ١٠٧٢ (١٦ شول ١٣١٣ / ٣٠ آذار ١٨٩٦) ص ١ .

(٢) **الجنة** لسليم البستاني، جريدة صدرت في بيروت ١٨٧٠ م.

(٣) **الصدى** جريدة صدرت في باريس سنة ١٨٧٧ لمديرها جبران دلال الحلبي.

(٤) جريدة **الأهرام** لسليم وبشارة تقلا صدرت سنة ١٨٧٦ في الاسكندرية ثم نقلت إلى القاهرة سنة ١٨٩٨ م.

أما مجادلتها مع **الأهرام**، فكانت بشأن سياستها الصحافية حيث اتهمتها **الأهرام** بعدم نقل الأخبار الصحيحة، وأن رجال بلاده غير محتاجين لآراء الثمرات، فتجيب الثمرات بأنها إذا ادّعت محبة الوطن فلا يوجد مكذب لها، لأنها تتفق علاوة على وارداتها خدمة للوطن وهي لا تتعلق لغرضها النفسي كغيرها[1].

وكانت تنشر الإخطارات التي تصلها من الآستانة والتي تفيد التقيد بقانون المطبوعات الذي أصدرته الدولة، وتذكر الإخطارات الموجهة اليها وإلى الصحف الأخرى مثل الإخطار إلى **البشير** وإلى **المقتطف**.

كما تنشر الإعلانات عن الصحف الجديدة التي تظهر في البلاد وخارجها فأخبرت عن صدور جريدة **العروة الوثقى** للأفغاني في باريس، وجريدة **الشهباء** في الشام وجريدة **الاسكندرية** في مصر وجريدة **البيان** في الهند.

ووجهت نصيحة إلى أبناء الوطن للاهتمام بالصحف، وما تجنيه من فوائد جمة للهيأة الاجتماعية في ناحية الحضارة والعمران فقالت:

«لو صرف قومنا عشر معشار ما صرفه ويصرفه الأوروبيون من الاهتمام والاقبال لرأوا جرائدنا بحالة تسرهم ولكان من ورائها فوائد جمة للهيأة الاجتماعية ولزاد تدرج البلاد في مدارج الحضارة والعمران أكثر مما هي عليه الآن»[2].

ولقد خدمت الجريدة الصحافة من طريق اهتمامها بأخبار الصحف المحلية والعالمية، حيث أطلعت قرّاءها على كل جديد يختص بها، وقامت بالتحذير من بعض الجرائد المعادية للدولة والدين، واهتمت بالدعوة للبعض الآخر. فقدمت لنا من خلال إعلاناتها ومقالاتها دراسة قيّمة عن صحافة لبنان والعالم في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

٤ - المواضيع الاقتصادية.

ويبلغ عدد هذه المواضيع ما يقارب الأربعماية والسبعين ما بين خبر وبحث علمي، إلا أن نسبة الأخبار فيها فاقت نسبة الابحاث العلمية، ولقد تضمنت مواضيع في الزراعة والصناعة والتجارة والمواصلات.

ولقد كانت البلاد تشكو من تأخر في الموارد الاقتصادية، خاصة أن اليد الأجنبية كانت تسعى للاستيلاء على خيرات البلاد، إضافة إلى ترويجها لصنائعها، ما يؤدي إلى كساد البضائع الوطنية، وتأخر الاقتصاد. لذلك قامت الجريدة تحرّض على إحياء ثروة البلاد الطبيعية والاعتماد على المنتوجات والصناعات المحلية، في محاولة منها لدرء خطر الفقر والتأخر.

---

(١) ١٣٦ (١ ذي الحجة ١٢٩٤ / ٦ ك١ ١٨٧٧ م).

(٢) ١٠٧٢ (١٦ شوال ١٣١٣ / ٣٠ آذار ١٨٩٦ م) ص ١ .

لذلك، فحين جددت الجريدة في مظهرها عام ١٨٩٨ م افتتحت باباً خاصاً بعنوان «فوائد زراعية صناعية». قدمت فيه كل ما يفيد الوطن والمواطن. وذلك بالوقوف على الأخبار المستجدة، والوسائل الحديثة التي تفيد الاقتصاد الوطني. فأكثرت في تلك الفترة من المواضيع التي تهم الزراع والصناع ونشرت سلسلة مقالات عن الصناعات التركية، وسلسلة أخرى تفيد الفلاحين في تربية دود الحرير، بالإضافة إلى تناولها مواضيع متنوعة في الفوائد الزراعية.

وابتداء من سنة ١٩٠٠ م أخذت الجريدة تهتم بنشر مشروع السكة الحميدية الحجازية وأكثرت من نقل الأخبار والمقالات بشأنها، كما تحدثت عن تجارة الدولة العثمانية، وعن تجارة مدينة بيروت، وعن التحسين الاقتصادي.

أما المصادر التي اعتمدتها الجريدة، فكانت منتقاة ومختارة من جرائد علمية مثل **المقتطف**[١] **والنحلة**[٢]. أما الكتّاب فأشهرهم عبد الوهاب التنير[٣] الذي اشتهر بالمواضيع الصناعية الزراعية، «وفؤاد شهاب»[٤] الذي اهتم بموضوع «تربية دود الحرير» ووضع فيما بعد كتاباً بهذا الاسم.

ففي السنوات الأولى كانت المواضيع الاقتصادية متفرقة، ومن غير تبويب. ولا تصنيف. وكانت هناك توجهات ونداءات كثيرة تدعو للأخذ بأسباب ترقي البلاد وتقدمها وعدم الخلود إلى الكسل، ما يجعل الأمر سهلاً أمام الأجانب الذين يترقبون الفرص للاستيلاء على خيرات البلاد.

ثم بينت الجريدة أهمية الاعتناء بالاقتصاد العام في البلاد، فنشرت مقالاً عن «الصلة بين الزراعة والصناعة والتجارة» وتعلق بعضها ببعض فقالت:

«إن بين الصناعة والزراعة والتجارة صلة، فلولا الزراعة لم تكن الصناعة، ولولا هذه لم تكن التجارة إلا أن أهمية التجارة ثانوية بالنسبة لأهمية النوعين الباقين في بلادنا لأن التجارة لا يتمكن من انتشارها بدونهما»[٥].

لذلك، فإننا نلاحظ أن الجريدة ركزت على نشر مباحث زراعية لتعميم الفائدة، لأن موارد البلاد تعتمد بالدرجة الأولى على هذه المهنة، وهي بدورها تعتمد على دور الفلاح ومقدار صلاحيته للاهتمام بأرضه ونتاجها، ولقد لوحظ في تلك الفترة حركة نزوح قوية إلى المدن أو إلى الخارج، ما ترك مجالاً لتأخر

(١) المقتطف، مجلة علمية صناعية زراعية صدرت سنة ١٨٧٦ م للدكتور يعقوب صروف وفارس نمر ثم انتقلت إلى مصر سنة ١٨٨٦ م.

(٢) النحلة، مجلة علمية أدبية أصدرها الأب لويس الصابونجي في بيروت سنة ١٨٧٠ م.

(٣) عبد الوهاب التنير: من أبناء مدينة بيروت وكان يعمل في شركة ماء بيروت (راجع ص ٣٩٠)

(٤) فؤاد شهاب: من أبناء حاصبيا في لبنان، تقلب في وظائف عديدة (راجع ص ٢٩٠).

(٥) ٢٢٥ (١ جمادى الأولى ١٢٩٦/ ٢١ نيسان ١٨٧٩ م) ص ٣ و٤.

الزراعة وبالتالي تأخر اقتصاد البلاد، فقامت الجريدة تحث على الاهتمام بالأرض ومواردها وسقايتها فنشرت مقالاً لعبدالوهاب التنير يبين فيه كيفية ضخ الماء واستخدامها في ري الأراضي الزراعية، ودليل معرفة قوة المياه التي تجري في القناة المعدة للري، وذلك بأسلوب علمي دقيق[1].

كما نشرت المقالات التي تهتم بالتطورات العلمية الحديثة، التي تخدم تحسين طرق الزراعة بالوسائل التقنية الحديثة،فنقلت عن نظارة الزراعة والأحراج والمعادن في الدولة العثمانية، الوسائل الحديثة الناجعة التي تؤدي إلى ترقي الزراعة في البلدان العثمانية. فقالت إن منها: «استحضار الآلات الزراعية الحديثة وتعليم استعمالها للأهلين، تعليم الزرّاع غرس الأشجار بواسطة عمال الزراعة، افتتاح دار نموذجات زراعية في الآستانة العليه، المبادرة باجراء التدابيراللازمة لمنع سريان الأمراض التي تظهر أحياناً بين الحيوانات، وارسال متخرجي المكتب البيطري للنظر في تلاشيها»[2].

وكانت هذه الوسائل غاية في التقدم والتطور، بالنسبة لذلك العصر وهي وسائل قلما تستخدم في بلادنا في عصرنا الحالي، كما كانت الجريدة تطالع الناس في المواسم بأحدث الوسائل لخدمة الزراعة، إذ إن الفلاح قلما يعتني بأرضه، من حيث اختيار الأسمدة المناسبة، والموسم المناسب للخضرة المناسبة، ما يؤدي لخسارة كافة الموسم الزراعي، فمن ذلك أنها اختارت في شهر أيار أن تذكر للزّراع كيفية زرع شتل الخضراوات فقالت:

«بدأ منذ مدة الفصل الموافق لزراعة شتل الباذنجان وغيره كالقرنبيط والملفوف وأشباههما»[3].

ثم تعطي الوسائل في ذلك ومنها: سقاية الزرع، واستعمال الاسمدة، وتنظيف المكان والنكش، واختيار الموقع الذي تكون مياهه عذبة باردة.

ويبدو أن الدول الأوروبية كانت في ذلك الوقت تهتم بأمور الزراعة. فلقد بُحث هذا الموضوع على مستوى عالمي في سنة ١٩٠٥ م، واقترح إنشاء مجمع زراعي دولي، فنشرت الجريدة هذا الخبر قائلة:

«ذكرت جرائد البريد أن الملك عمانوئيل ملك ايطاليا قد أرسل كتاباً إلى رئيس وزرائه بسط فيه اقتراحاً زراعياً عظيماً، وخلاصته إنشاء مجمع زراعي دولي لجمع الأخبار المتعلقة بالزراعة»[4]. ولعل أهم موضوع وأطوله بهذا الخصوص هو «تربية دود الحرير» الذي نشرته الجريدة سنة ١٩٠٥ م في سلسلة مقالات مؤلفة من ثمانية عشر جزءاً كتبه «فؤاد شهاب» وتكلم فيه عن دودة القز وطرق تربيتها وأوصافها والفوائد المكتسبة من هذه التربية، وبيّن واجب الاهتمام بهذه الصنعة لما تجنيه من فوائد صناعية عديدة[5].

---

(١) ١١٩٢ (٢٠ ربيع الأول ١٣١٦) ٨ آب ١٨٩٨) ص ٦ و٧.
(٢) ١٣٧٤ (٦ محرم ١٣٢٠ / ١٤ شعبان ١٩٠٢) ص ٤.
(٣) ١٣٨٠ (١٩ صفر ٣٢٠ / ٢٥ أيار ٩٠٢) ص ٦.
(٤) ١٥٠٢ (٢٩ ذي الحجة ٣٢٢ / ٦ آذار ٩٠٥) ص ٨.
(٥) من العدد ١٥٤١ إلى العدد ١٥٧٠ (١٣٢٣ / ١٩٠٥).

ونلاحظ أن المواضيع الزراعية متطورة وحديثة، وأحياناً تفوق التطبيق العملي. فظلت آراء وتوجهات من دون التنفيذ لانعدام وجود الوسائل الكافلة لتحسينها والتي يتطلبها العصر. كما أن الجريدة اعتمدت فيها على إعطاء النصائح والإرشادات، وبقيت الناحية الإخبارية فيها قليلة جداً. ويبدو أن الزراعة كانت المورد الأساسي لاقتصاد البلاد في تلك الفترة، لذلك اهتمت الجريدة بترقيتها وعرضت الوسائل العديدة لترقيتها أكثر من سواها.

وتختلف المواضيع الصناعية بين حضّ على استخدام الصنائع الوطنية وبين إيراد كل ما تحصل عليه الجريدة من أبحاث وأخبار واكتشافات صناعية، ولقد اتسع نطاق الأخبار الصناعية وزادت على الأبحاث العلمية في ذلك، إذ كان التيار الغربي يمتد بنواحيه المادية والتقنية على البلدان العربية الغافلة عن هذا التقدم، فرأت الجريدة أنه من المستحسن الاطلاع على هذا التقدم لرفع المستوى الاقتصادي.

ويبدو أن البلاد كات تعاني من ضعف في صناعتها وبعد عن أي تطور في مضمارها. ففتحت الجريدة للصناعيين نافذة على الصناعة الجديدة في أوروبا سواء في بناء البيوت العصرية أو في شق الطرقات أو استخدام الكهرباء التي لم تدخل إلى البلاد إلا في أواخر القرن التاسع عشر، أو في تحسن حالة المواصلات والنقل، فدخل الترامواي إلى بيروت في بداية القرن العشرين، ويلاحظ أن الصناعة الوحيدة المشتهرة في البلاد كانت الصناعة النسيجية وبعض الصناعات التركيبية.

فقامت الجريدة تحث على الاهتمام بالصناعة النسيجية وعدم الاكتراث بالصناعات الأوروبية التي تضر بالصناعة المحلية ومما ذكرته قولها:

«إن منسوجات بلادنا العثمانية حريرية أو صوفية أو قطنية هي أجود وأمتن مما يعمل في معامل أوروبا..»[1]

وحذرت مراراً من التهاون في أمور هذه الصناعة وترويج البضائع الأوروبية، ما يؤول إلى كساد وتأخر البضاعة المحلية.

ونظراً لأهمية صناعة النسيج، أخذت الجريدة تنشر المواضيع الحديثة في هذا الخصوص وما ذكرته، الاكتشاف الجديد لوقاية المنسوجات القطنية من الحريق في سنة ١٩٠٢ م فقالت:

«اكتشف الدكتور بركنس اكتشافاً مهماً لصناعة نسيج القطن، وهو وقاية المنسوجات القطنية ونحوها من الاحتراق، وقد توصل إلى اكتشافه هذا بعد عمل ألفي تجربة»[2].

---

(١) ١١٤٩ (٧ جمادي الأولى ١٣١٥ / ٤ ت١ ١٨٩٧) ص ١ .

(٢) ١٣٩٨ (٢٦ جمادي الثانية ٣٢٠ / ٢٩ أيلول ٩٠٢) ص ٨.

كما ذكرت سلسلة مقالات في موضوع «صناعة الفخار»[1] بقلم عبد الوهاب التير، فكانت تلك الصناعة لا تزال رائجة في البلاد حيث يستخدم الفخار في كثير من الأدوات المنزلية.

وكثر في السنة الخامسة والعشرين للجريدة المواضيع التي تتحدث عن الصناعات التركيبية، مثل موضوع «استقطار العطر» في سلسلة مقالات، وكذلك عن الصناعات المستخرجة من اللوز، وعن كيفية استحضار عطر البلسم، وكيفية استخراج عطر البهار، ومما ذكر في هذا الموضوع الأخير: أن يخلط عطر البهار المستخرج مع روح القمح الخالص في زجاجة يسد فمها سداً محكماً وتهز هزاً شديداً ثم توضع في مكان بارد لمدة خمسة عشر يوماً «ثم تستعمل من هذه الخلاصة أقداراً مختلفة بحسب التراكيب العطرية البهارية»[2].

وتعترض الجريدة إذا لاحظت في بعض الصناعات المستحدثة ما يخالف الشريعة الإسلامية، فنقلت مرة عن مجلة المقتطف أن صناعة البوماد ويدخلها دهن الخنزير. فقامت تحذر من استخدام هذا الدهان وتقول:

«يجب لعموم المسلمين أن يجتنبوا هذا الدهان حيث كان أصله من دهن الخنزير»[3].

ونلاحظ أن الجريدة مهما جالت في العلوم الحديثة إلا أنها لا تنسى أنها جريدة إسلامية والدين يتطلب منها أن تؤدي واجباتها نحوه فتحذر مما يتعارض معه.

كما تحدثت الجريدة عن الصناعات والاختراعات العلمية التي ظهرت في أوروبا، ومنها موضوع «اختراع الطائرة» في سنة ١٨٧٨ م، واختراع آلة لتصوير داخل الإنسان في سنة ١٨٩٥ م وغيرها من الاكتشافات العلمية.

ومن المواضيع الاقتصادية أيضاً تحدثت الجريدة عن تجارة بيروت وتجارة الدولة العثمانية، والتقدم العمراني والاقتصادي الذي حصل أيام السلطان عبد الحميد، كما تحدثت عن ميزانية الدولة العثمانية وإنشاء البنك العثماني في بيروت وعن قضايا المواصلات وإنشاء السكك الحديدية.

وبالإجمال، فإن هذه المواضيع اقتصرت على مدينة بيروت وعلى الدولة العثمانية. ويبدو أن التجارة في بيروت كانت رائجة ومتفوقة على الصناعة والزراعة في ذلك الوقت، ومما ذكرته الجريدة في سنة ١٨٧٩م:

«لو تأمل المنصف في الحالة الحاضرة علم أن الأغنياء انصبوا على خدمة الصناعة الأجنبية والتجارة بها بأمل اكتساب الدرهم والدينار»[4].

---

(١) الأعداد ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨ (١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م).
(٢) ١١٩٢ (٢٠ ربيع الأول ١٣١٦ / ٨ آب ١٨٩٨) ص ٧.
(٣) ٨٩ (١٩ ذي الحجة ١٢٩٣ / ٤ ك٢ ١٨٧٧) ص ٣ و٤.
(٤) ٢٢٥ (١ جمادي الأولى ١٢٩٦ / ٢١ نيسان ١٨٧٩) ص ٣ و٤.

وذكرت نقلاً عن جريدة البشير زيادة دخل مرفأ بيروت في سنة ١٨٩٦ م نظرا للنشاط التجاري وكثرة الصادرات والواردات[١].

وفي بداية القرن العشرين شهدت التجارة في بيروت نشاطاً بارزاً، خصوصاً بعد مد السكة الحديدية بين بيروت ودمشق فقالت الجريدة:

«الحمد لله رأت مدينتا بيروت في هذه المدة الأخيرة من الحركة الدائمة في التجارة ما لم تره منذ أحقاب عديدة»[٢].

كما اهتمت الجريدة بالتجارة العثمانية، وبالدول التي تتعامل معها الدولة في تجارتها، فلقد ظهر في أحد التقارير أن واردات الدولة العثمانية إلى انكلترا قد زادت عن غيرها من الدول الأوروبية، كفرنسا والمانيا وأوستراليا، ونقلت الخبر عن رئيس غرفة التجارة العثمانية في لندن فقالت:

«نشر السير وليم دانيال رئيس غرفة التجارة العثمانية في لندرا تقريره السنوي عن قيمة الواردات إلى البلاد العثمانية وقيمة الصادرات»[٣].

ويظهر لنا من هذا التقرير اهتمام الدول الغربية باقتصاد الدولة العثمانية وعلاقاتها التجارية الخارجية مع سائر الدول.

ولقد داومت الجريدة على نشر جميع الأخبار المتعلقة بالتقدم العمراني والاقتصادي الذي أصابه البلدان العثمانية أيام السلطان عبد الحميد الثاني، فنشرت سلسلة مقالات بعنوان «المآثر الحميدية الغراء» فذكرت جميع الإصلاحات والتجديدات والتحسينات العمرانية والعلمية والاقتصادية التي أجراها السلطان في الممالك العثمانية، من ترميم مساجد وإعمارها وافتتاح مدارس علمية وصناعية ومعاهد علمية وفنية، وبناء جسور وفتح طرقات[٤].

كما أعلنت في سنة ١٨٩٣ م عن افتتاح البنك السلطاني العثماني في بيروت وعن كيفية التعامل مع هذا البنك[٥].

وفي سنة ١٩٠٨ م أعلنت عن افتتاح مكتب التجارة والصنائع الحميدي في بيروت[٦].

---

(١) ١٠٧٤ (٣ شوال ١٣١٣ هـ / ١٣ نيسان ١٨٩٦ م) ص ٢.
(٢) ١٥٣٦ (١ رمضان ١٣٢٣ (٣٠ ت١ ١٩٠٥ م) ص ٥.
(٣)
(٤) الأعداد ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥.
(٥) ٩١٧ (٢٦ رجب ١٣١١ / ١٣ شباط ١٨٩٣) ص ١ .
(٦) ١٦٤٧ (٢٣ ذي الحجة ١٣٢٥ / ٧ ك٢ ١٩٠٨) ص ٤.

ولعل أهم حدث بالنسبة للمواصلات في البلاد العثمانية ما ذكرته الجريدة عن مشروع إنشاء السكة الحجازية، الذي قرر السلطان عبد الحميد إنشاؤها في سنة ١٩٠٠ م ، وهو خط حديدي يصل الشام بالحجاز، ويسهل السفر على الحجاج إضافة إلى الفوائد المعنوية، والمادية العديدة، التي يستفيد منها أهالي البلاد التي تمر فيها تلك السكة. فبدأت الجريدة بنشر الأخبار المتعلقة بهذا المشروع العظيم الفائدة للمسلمين، والذي يربطهم بدار الخلافة فقالت في بشرى زفتها للعالم الإسلامي:

«رأى مولانا أمير المؤمنين - ورأيه الموفق إن شاء الله - وصل الخط الحديدي الأناضولي الممتد من دار السعادة إلى أنقرة وقونية بالخط الحديدي المباشر بإنشائه بين رياق وحماه وهو متصل بخط دمشق طريق حرم الله الشريف فتصبح دار الخلافة متصلة بالحرمين الشريفين توثق بينهما القوتان المعنويتان. .»[1].

ثم افتتحت اكتاباً لجمع التبرعات من المسلمين في بيروت وغيرها، وكانت تنشره على صفحات جريدتها، وتنشر كل خبر جديد يصلها عن أنباء العمل في هذا المشروع أو المقالات التي تشرح فائدته المعنوية والمادية.

وكانت الدولة قد أعلنت منح ميدالية السكة الحجازية لمن يخدمون مشروع السكة الحجازية، ونظراً لتفاني القباني في خدمة هذا المشروع، منحته المدالية التي نقش على أحد وجهيها عبارة هذا تعريبها: (مدالية مخصوصة بأولي الحمية الذين أظهروا الخدمة والغيرة في الخط الحديدي الحجازي الحميدي) ويرسم على الوجه الآخر صورة القاطرة[2]. .

ولقد قامت جريدة الثمرات بخدمة مصالح الوطن الاقتصادية، من طريق اهتمامها بهذه المواضيع، رغم أنها في السنوات الأولى لم تقدم شيئاً جديراً بالأهمية على المستوى الزراعي والصناعي. وكانت في هذا المجال جريدة إخبارية أكثر من كونها جريدة تهتم بالأبحاث العلمية، وازداد اهتمامها بعد سنة ١٨٩٨م بتلك الأبحاث خصوصاً بالنسبة للزراعة، أما بالنسبة للصناعة، فكان الأسلوب الإخباري فيها يطغى على غيره خصوصاً أنها تنقل الأخبار عن جرائد ومجلات أخرى من دون أن تقدم هي أبحاثاً علمية وهذا طبيعي، لأن محرري الجريدة وغيرهم من محرري الجرائد العربية لم يكونوا على مستوى التقدم العلمي الغربي، أما في مجال التجارة، فلم تقدم شيئًا يذكر ذا نفع للمواطن، وإنما اقتصرت على نقل الأخبار المتفرقة، ولعل أهم موضوع اقتصادي برز في الجريدة هو موضوع السكة الحجازية الذي شغل الجريدة لمدة سنوات عدة ابتداء من ١٩٠٠ م. ولقد اتسمت الجريدة بحسن اختيار مصادرها، فهي تنقل الأخبار عن مجلات تختص بهذا النوع مثل مجلة المقتطف، وفي المواضيع الزراعية اعتمدت على رجال مختصين بتلك المهنة دارسين لها، مثل «فؤاد الشهابي» المختص بتربية دود الحرير، والذي أصدر كتابين في ذلك هما «الروض النضير في تربية دود الحرير»، و«حياة سورية المادية عن التربية العملية لدود الحرير.

---

(١)و(٢) العدد ١٣٤٧ (٣ جمادي الثانية ١٣١٩) ١٦ أيلول ١٩٠١) ص ١ .

كما نستطيع أن نلاحظ التطور العمراني والاقتصادي لمدينة بيروت من خلال تلك المواضيع، فلقد دخل إليها الترامواي الكهربائي، وأنيرت شوارعها بالكهرباء في بداية القرن العشرين ووسعت شوارعها، وتحسنت تجارتها، وبنيت فيها المدارس الصناعية والعلمية، وافتتح فيها بنك عثماني رسمي، وكانت بيروت قد جعلت ولاية مستقلة ابتداء من سنة ١٨٨٨ م. نظراً لأهميتها الاقتصادية والعلمية التي ازدهرت في تلك الفترة كما نلاحظ التطور العلمي على الصعيد العالمي، والاكتشافات الحديثة التي فاقت تصور الشرقين فقابلوها بالاستغراب، وأحيانا بالرفض. فقامت الجريدة بنقل تلك الحضارة وأسبابها إلى الشرق عامة وليس إلى لبنان فحسب.

٥ - المواضيع العلمية.

يبلغ عدد هذه المواضيع العلمية ما يقارب الثلاثماية والخمسين موضوعاً تقريباً وتتناول فيها العلوم الطبية والكيميائية والجغرافية، إضافة إلى مواضيع الاكتشافات العصرية المتنوعة والتي تدل على التطور الحضاري في ذلك الوقت.

ونلاحظ أن المواضيع الطبية تأخذ النسبة الكبرى ٢٥٧ موضوعاً بين هذه المواضيع التي ذكرناها، بينما لا تمثل العلوم الأخرى إلا الربع تقريباً.

ويدلنا اهتمام الجريدة بالمواضيع الطبية على الانفتاح على العصر العلمي، إذ افتتحت في بيروت معاهد وكليات لتدريس العلوم، مثل الكلية السورية الانجيلية (الجامعة الأميركية) التي أنشئت سنة ١٨٦٦ م - أي قبل صدور جريدة الثمرات - ثم ألحقت بها فروع في الطب والصيدلة. وكذلك أنشئت الكلية اليسوعية في بيروت سنة ١٨٧٤ م، وفتح لها فرع طبي سنة ١٨٨٣ م. تخرج في هاتين الكليتين طبقة من خيرة الأطباء المشهورين[١]. فكانت البيئة العلمية مؤاتية لتداول المواضيع التي ستطرق إليها الجريدة، والتي حاولت من خلالها أن تقدم الفائدة العلمية المرجوة للناس كافة، وأعطت للجريدة الصفة العلمية.

ولقد تناولت المواضيع الطبية التي كانت قليلة، في السنوات الأولى مسائل ونصائح طبية عامة، وأشهر موضوع تناولته هو موضوع «الأنفلونزا». ومع بداية القرن العشرين ازداد اهتمام الجريدة بهذه المواضيع وأشهر موضوع تناولته هو موضوع «السل» و«التيفوئيد»، ويبدو أن هذه الأمراض كانت سارية في تلك الفترة.

أما المواضيع العلمية الأخرى، فلقد تحدثت الجريدة عن الكيمياء في سنة ١٨٩٤ م وعن الراديوم في سنة ١٩٠٣م، حيث تداول الناس هذه المواضيع بالإضافة إلى الاكتشافات العلمية الأخرى. أما المواضيع الجغرافية، فلم يكن اهتمام الجريدة فيها كافياً.

---

(١) جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج ٤ ص ٣٩٩.

وتفوق النسبة الإخبارية في هذه المواضيع العلمية على نسبة المباحث، ولقد ازداد اهتمام الجريدة بها بعد سنة ١٨٩٨ م، حين افتتحت بابا خاصا لاكتشافات العصر واختراعاته. وأهم المصادر التي اعتمدتها الجريدة في مواضيعها العلمية فهي في الطب مجلة **طبيب العائلة**[١] وفي العلوم الأخرى اعتمدت على مجلات علمية أيضاً مثل **المقتطف والنحلة**.

في الطب

اهتمت الجريدة بشكل كبير بالأمراض المنتشرة والأوبئة، وكانت غايتها صحية أكثر من كونها علمية ثقافية. فقامت الجريدة بتقديم التدابير الطبية الواقية من الأمراض حفاظاً على الصحة العامة. فكانت تسارع في نشر الأدوية والعلاجات الجديدة التي تعثر عليها، بالاعتماد على مصادر طبية متخصصة، أو بنشر مقالات وأبحاث لأطباء متخصصين، فتأخذ بكل جديد ومفيد وتعرضه للمواطن. ولقد قلّت المواضيع الطبية في السنوات الأولى رغم أن هذا الموضوع لم يكن بعيدا عن احتياجات الناس، وأكثر المواضيع التي تعرضت لها هي مضار الخمر والتبغ والمسكرات، لأن هذه الآفات تؤدي إلى فساد الصحة العامة وبالتالي تفسد الأخلاق وتؤدي بالبلاد إلى التراجع والتأخر. ومما ذكرته في هذا الموضوع عن مضار التبغ والمسكرات من الناحية الطبية:

«ومن مضارهما فلج العصب البصري، والعمى التدخيني، وخفقان القلب»[٢].

وتضيف الجريدة تذكير معلمي المدارس كي يحذروا من هذه الآفات والمواظبة على التنبيه والإنذارات بمضارها.

ويبدو أنه في سنة ١٨٩٥ قد ظهر تلوث في ماء الشرب، فنشرت الجريدة سلسلة مقالات في موضوع «ماء الشرب وعلاقته بالأمراض» وطرق الوقاية منها، وبيّنت أن الماء عنصر أساسي في نقل بعض الأمراض لذلك وجب الاهتمام والعناية بماء الشرب[٣]..

كما اهتمت في سنة ١٨٩٢ م بموضوع «الانفلونزا» فنشرت سلسلة مقالات نقلاً عن جريدة صباح التركية في ثمانية أعداد، بين فيها الدكتور خلقي[٤] أسباب هذا المرض وأخطاره وطرق الوقاية منه. ومما ذكره:

---

(١) **طبيب العائلة**، مجلة صحية شهرية أنشأها الدكتور الفريد عيد في القاهرة سنة ١٨٩٥ م.

(٢) ١٠١٧ (٢٣ شعبان ١٣١٢ / ١٨ شباط ١٨٩٥) ص ٤.

(٣) ١٠٥٩ (٦ رجب ١٣١٣ / ١١ ك١ ١٨٩٥) ص ٣.

(٤) أحد أطباء الآستانة العلية.

«ولاستيلائها على الجسم صور مختلفة تتفاوت مع مزاج المصاب واستعداده للأمراض ومنها الهزال الشديد، وصعوبة المشي والحركة وألم الرأس..»[1].

ومع بداية القرن العشرين كثرت المواضيع الطبية، إلا أن نسبة الأخبار فيها أكثر من العلمية، وأهم موضوع تناولته هو موضوع «السل» فتحدثت في أعداد كثيرة عن هذا المرض، ونستشف من العناوين التالية في موضوع «السل» المعاناة الكبيرة من هذا المرض المستفحل في ذلك الوقت وهي: «اكتشاف دواء السل»، «السل الرئوي» «دواء للسل جديد» «شفاء السل الرئوي» «معالجة السل بالكهرباء» «معالجة السل بماء البحر» «عدوى السل» ثم أخيراً خبر إنشاء مستشفى للسل في الشبانيّة في جبل لبنان سنة ١٩٠٨ م ومما ذكرته عن أدوية السل في سنة ١٩٠٢ م ما يلي:

«يقول أحد الأطباء الايرلنديين أنه قد توفق لشفاء كثيرين من المسلولين بدواء بسيط، وهو أنه كان يأتي بالثوم فيقشره ويعصره ويغلي عصيره على النار إلى أن يتبخر، فينشقه للمسلول فيشفى باذنه تعالى»[2].

ويظهر أن أكثر العلاجات التي تنشرها الجريدة كانت لا تزال ضعيفة وتعتمد على وسائل بدائية. كما نلاحظ ذلك من خلال الفوائد الصحية التي كانت تعطيها الجريدة من وقت لآخر. فمن ذلك، وقوف الجريدة على طريقة جديدة للامتناع عن التدخين أشار بها طبيب روسي وهي تقوم على ما يلي:

«مضمضة الفم بمحلول نترات الفضة بمعدل ٢٠ في المائة، فإذا دخّن الإنسان بعد هذه المضمضة أحدث الدخان طعماً كريهاً جداً في فمه يحمله على إبطال التدخين مدة طويلة»[3].

أو ما ذكرته في منافع الملح:

«ثبت أن الملح الاعتيادي هو أفضل مسحوق للأسنان، فإنه يجعلها بيضاء براقة جميلة جداً كما أنه يخفف آلامها ويوقف نزيف الدم منها عند حدوثه»[4]

وكانت الجريدة تعطي النصائح الصحية من وقت لآخر، ففي فصل الصيف تنشر الفوائد الصحية لتجنب الأمراض الصيفية، وفي شهر رمضان تنشر التدابير الصحية الواجب اتباعها، وتبين فوائد الصوم الصحية.

ونشرت في سنة ١٩٠٢ م بحثاً علمياً للدكتور بريتليون[5] أثبت فيه ما للصنائع والحرف من تأثير على الصحة، وأحصى معدل الموت في أهل كل واحدة[6]..

(١) ٨٦٩ (٢٥ جمادي الثانية ١٣٠٩ / ٢٥ ك٢ ١٨٩٢) ص ٣ و٤.
(٢) ١٤٠٥ (١٧ شعبان ٣٢٠ / ١٧ ت٢ ١٩٠٢) ص ٧.
(٣) ١٦٠٨ (٢ ربيع الأنور ١٣٢٥ / ١٥ نيسان ١٩٠٧) ص ٥.
(٤) ١٥٦٨ (٤ جمادي الأولى ١٣٢٤ / ٢٥ حزيران ١٩٠٦) ص ٧.
(٥) مدير الإحصاءات الطبية والصحية لمدينة باريز.
(٦) ١٣٨٠ (١٩ صفر ٣٢٠ / ٢٦ أيار ٩٠٢) ص ٦ و٧.

وعقد في مصر سنة ١٩٠٢ م مؤتمراً طبياً عالمياً، حيث كانت مصر تهتم بالطب أكثر من سائر البلدان العربية وافتتحت فيها أول مدرسة طبية سنة ١٨٢٦ م وهي المدرسة الطبية المصرية التي تأسست في أبي زعبل وألحقت بها مستشفى للتطبيق العملي[١]. ولقد حضر هذا المؤتمر ٥٢٠ طبيباً منهم ١٨٠ طبيباً أجنبياً. وألقى الخديوي عباس حلمي باشا خطاباً اجتزأت الجريدة منه ما قاله:

«ولما كانت غاية المؤتمر أن ينظر في شأن الأمراض التي تفشى في البلاد الحارة كان وادي النيل أفضل بلاد لعقد المؤتمر المشار إليه، بالنظر إلى حالة جوها وموقعها الجغرافي، وإلى كونها الصلة بين المشرق والمغرب..»[٢].

وتدلنا هذه الأخبار أن الجريدة لم تكن ضيقة في اختيار المواضيع، بل كانت تلاحق الأخبار والتطورات العالمية على كل المستجدات الطبية، ومن ذلك أنها كانت تعرض الاكتشافات الحديثة على الصعيد الطبي، مثل موضوع تميز الدم فقالت:

«اكتشف بعضهم طريقة لتميز الدماء عن بعضها حتى إذا وجد أثر دم في مكان عرف ما إذا كان دم إنسان أو حيوان آخر بسهولة..»[٣].

ونستطيع أن نسجل للجريدة نشاطاً صحفياً في مجال نقل الأخبار والأبحاث الطبية، وإن كانت تلك الأبحاث قليلة ونادرة ولكنها على المستوى العلمي الحديث لتلك الفترة. أما الفوائد الصحية فبالاجمال كانت نصائح تقليدية وعادية. ويدلنا اهتمام الجريدة بهذه المواضيع على مقدار تحسس الجريدة بمتطلبات الناس وأوضاعهم الصحية. ولو أمكننا إحصاء تلك المواضيع لاستطعنا أن نجعل منها كتاباً طبياً مفيداً للجميع، ونستطيع بذلك أن نلاحظ التطور الطبي الذي حصل منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين.

أما المواضيع العلمية الأخرى، فكانت قليلة ونادرة، تعتمد على نقل الأخبار العلمية أكثر من تناولها الابحاث العلمية، ولكن أشهر موضوع تناولته هو موضوع «الكيمياء» وموضوع الراديوم، وموضوع الشعور بالزلزال قبل وقوعه. بالإضافة إلى عرض بعض الاكتشافات العلمية كاختراع الطائرة وغيره. ويبلغ عدد هذه المواضيع ما يقارب الستين وأكثرها في المستجدات العلمية الحديثة. وكانت تدرج ضمن باب الاكتشافات والاختراعات العصرية الذي بدأ مع عام ١٨٩٨ م.

---

(١) جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٤، ص ٣٨٨.
(٢) ١٤١١ (٢٩ رضمان ٣٢٠ / ٢٩ ك١ ٩٠٢) ص ٦.
(٣) ١٦٠٦ (١٨ صفر ١٣٢٥ / ١ نيسان ٩٠٧) ص ٨.

ففي موضوع الكيمياء نقلت بحثاً عن جريدة المؤيد بعنوان «الكيمياء في عام ٢٠٠٠» فبعد أن كانت قوة يد الإنسان هي الفاعلة الوحيدة في الصنائع في الزمن الماضي، دخلت القوى الطبيعية والكيماوية في كثير من الصناعات خاصة في أوروبا وبعد الثورة الصناعية التي حدثت فيها في القرن الثامن عشر، فتحدث الكاتب عما يمكن أن يحدث في عام ٢٠٠٠ إذا فقدت هذه الطاقة الكيماوية البخارية المتولدة عن احتراق الفحم فقال:

«ويأتي يوم لا يحمل فيه الإنسان لغذائه ولتعويض ما يفقد من عناصر جسمه، إلا قطعة صغيرة من مواد أزوتية وأخرى من مواد دسمة وقطعة صغيرة من مواد نشوية كل هذه المواد تصنع في معاملنا وتتخذ بطرق غاية في الاقتصاد والسهولة بكمية خالية من جراثيم الأمراض التي تزعزع دعائم الراحة العمومية»[1].

كما تحدثت عن أشعة الراديوم في بداية القرن العشرين، وكانت في بداية أمورها يبدو أن استخدامها لم يكن قد بلغ الغاية المرجوة لعلاج التيفوئيد ومكروب الكولرا، التي استعملت أشعتها لأجله فتقول الجريدة:

«فإذا أرسلت الأشعة إلى مكان من الجسم وقد استقر فيه الميكروب أحرقت تلك الأشعة الميكروب، وأبادته. ولكنها قد تحرق السليم من الكرويات فمثلها كمثل الدب الذي وقف حارساً على رأس صاحبه فوقعت ذبابة على أنفه فضربها بيده فسحق الذبابة ورأس الرجل»[2].

ومن المواضيع العلمية المستجدة ما نقلته الجريدة عن إحدى الجرائد الانكليزية، حيث ادّعى أحدهم بإمكان الشعور بالزلزال قبل وقوعه ولكنه لم يبح بالطريقة التي اكتشفها ومما قاله:

«يمكنني أن أخبر بوقوع الزلزال قبل حدوثه بثمان وأربعين ساعة أو بأربع وعشرين ساعة كما أن الطريقة التي اكتشفتها في هذه المسألة يمكنني أن أخبر بواسطتها عما سيكون من المطر والثلج والضباب في أي جهة من جهات الدنيا قبل وقوعها بسبعة أيام»[3].

ومن الاختبارات العلمية موضوع «تأثير الألوان في البعوض» نقلا عن جريدة النشرة، إذ علم بالتجربة أن بعوض الحمى المالارية يؤثر بعض الألوان على بعض، ونتيجة لذلك يستطاع تجنبه بعد معرفة الألوان التي لا يرغب فيها وتجنب عدوى الملاريا

«فقد رباه أحد المختبرين في حياض حجرية ضرب عليه خيمة فكان الداخل الخيمة في ثياب سوداء يجتمع البعوض عليه، والداخل إليها في ثياب بيضاء يعتزله»[4].

---

(١) ٩٩٩ (٨ ربيع الثاني ١٣١٢) ٢٦ أيلول ١٨٩٤) ص ٢ و٣.

(٢) ١٤٤٢ (١٦ جمادي الأولى ١٣٢١ / ١٠ آب ٩٠٣) ص ٨.

(٣) ١٥٨١ (١٠ شوال ١٣٢٤ / ٢٦ ت٢ ١٩٠٦) ص ٦ و٧.

(٤) ١٣٨٠ (١٨ صفر ٣٢٠ / ٢٦ نوار ٩٠٢) ص ٧.

وبهذه الطريقة يستطاع القضاء على البعوض بعد جلبه بوساطة هذه الطريقة الحديثة.

كما تحدثت الجريدة عن الاكتشافات العلمية التي ظهرت في أوروبا، مثل موضوع «اختراع الطائرة» واختراع آلة لتصوير داخل الإنسان، وتحدثت عن المنطاد وعن الفوتوغراف.

ففي موضوع «اختراع الطائرة» الذي نقلته عن مجلة النحلة في سنة ١٨٨٨ م تظهر الجريدة أمامه بمظهر المتعجب الحالم. وفيه أن رجلاً من أميركا اخترع آلة كهربائية تحمل الناس وتطير بهم من بلدة إلى أخرى لكن الجريدة تعتقد أنه حلم من الأحلام التي يتمنى المرء تحقيقها فتقول: «يا حبذا لو صحت الأحلام»[١].

وكذلك الأمر في مقال عن الآلة الفلكية التي اخترعت لرؤية القمر، فتنقل الجريدة هذا الخبر أنه زعم، وليس خبراً علمياً حقيقياً فتقول:

«زعم أحد ضباط الجيش النمساوي واسمه (جون ماير) أنه اخترع آلة فلكية جديدة يمكن بواسطتها رؤية القمر كأنه على بعد ٣٠٠ متر»[٢].

ويبدو أنه في مستهل القرن العشرين قد أخذت الكهرباء تدخل على كثير من الصناعات، فذكرت الجريدة في أعداد كثيرة عن استخدام الطاقة الكهربائية في كثير من الصناعات، مثل وسائل التدفئة، ووسائل النقل والمواصلات. ومن ذلك الترامواي الكهربائي الذي وصل إلى بيروت في سنة ١٩٠٦ م، وسمحت الدولة العثمانية بتسيره في بيروت فجاء الخبر بالشكل التالي:

«صدرت الارادة السنية بمنح سليم أفندي امتيازاً بتسيير الترامواي الكهربائي في بيروت وباضاءة الثغر بالكهرباء لمدة تسع وتسعين سنة»[٣].

ومن الاكتشافات والأبحاث الجغرافية التي يبلغ عدد مقالاتها الخمسين موضوعاً، تناولت الاكتشافات الفلكية والجغرافية والرحلات، إضافة إلى الأخبار الجغرافية المتنوعة.

ومن المواضيع الجغرافية الفلكية ما ذكرته عن «النجوم المذنبة» و«الحياة في الكواكب» وعن «تكوين القمر» وعن «اكتشاف القطب الشمالي».

وتحاول الجريدة في مجال هذه الاكتشافات الجغرافية أن تحث الهمم على الاكتشافات العلمية أسوة بالغرب، حيث لم يثنهم شيء عن الإقدام على العلم والمعرفة، ومما ذكرته في موضوع «اكتشاف القطب الشمالي» الذي أوردته سنة ١٨٩٩ م:

---

(١) ١٩٥ (٥ ذي القعدة ١٢٩٥ / ٣١ ت١ ١٨٧٨ م) ص ٣.
(٢) ١١٨٢ (٩ محرم ١٣١٦ / ٣ نوار ١٨٩٨ م) ص ٨.
(٣) ١٥٦٨ (٤ جمادي الأولى ١٣٢٤ / ٢٥ حزيران ١٩٠٦) ص ٤.

«ما فتيء الأوروبيون مولعين باكتشاف القطب الشمالي غير مبالين بما يقاسونه من الأهوال والشدائد، ولا لمن مزقته الأرياح وذهب فريسة هذا الاكتشاف العلمي بل كأن لم يكن ذلك كله إلا ليزيد هممهم ويثبتهم»[1].

كما ذكرت نقلاً عن إحدى المجلات الفرنسية مقالة لأحد العلماء في سنة ١٩٠٧ م وصف بها القمر وتكوينه، وذكر المسافة التي بينه وبين الأرض، ومما قاله أيضاً:

أن الكرة القمرية كانت مرسحاً لمعارك خارقة للعادة بين المواد، وما حظي القمر بالسلام والهدوء الا بعد انحلال قواها بالكلية»[2].

ويلاحظ من خلال التطورات العلمية، أن البلاد الأوروبية لم تكتف بالأرض لموضع اكتشافاتها واختباراتها، بل حاولت الخروج لأكثر منها، فحاولت اكتشاف القمر والكواكب الأخرى، حتى بلغت بها التطورات العلمية للوصول إلى غايتها. فكان الحديث الأكبر هو أن وطأ أرمسترونغ سطح القمر في السبعينات من القرن العشرين وكان حدثاً علمياً باهراً.

ومن الاكتشافات الجغرافية موضوع بعنوان «مجاهل افريقيا» حيث عرض فيه الكاتب الغرائب والعجائب التي رآها في تلك البلاد، ولقد نقلت الجريدة هذا المقال عن إحدى الجرائد الأميركية: **العالم النيوركي** فوصف فيها الكاتب الأراضي التي وصل إليها والتي كانت لا تزال مجهولة عند كثير من علماء أوروبا حيث لا يزال الجهل مخيماً في ربوعها ومما قاله:

«إنني في بقعة من الأرض يكثر فيها القرود والغوريلا بكثرة عظيمة، فهي ذات غابات عظيمة لا يعرف أولها من آخرها.. ويوجد هنا أنواع من الحيوان والإنسان مضى عليها ١٠ آلاف سنة ولا تزال في بحور الجهل»[3].

كما اهتمت الجريدة بالجغرافيين العرب واكتشافاتهم الجغرافية القديمة، فذكرت موضوعاً بعنوان «جغرافيو العرب» نقلاً عن جريدة أقدام التركية يمجد فيها الكاتب بالجغرافيين العرب، أمثال المسعودي أول جغرافي العرب، حيث بلغت سياحاته أقصى السواحل الجنوبية في الهند وافريقية، والاصطخرى، وابن حوقل.[4].

لذلك نشرت موضوعاً بعنوان «اكتشاف أميركا» يرجع فيه الكاتب الفضل للعرب في اكتشاف أميركا حيث كانت رحلاتهم تمتد إلى أقاصي البلاد[5]..

---

(١) ١٢٣٦ (١٨ صفر ١٣١٧ هـ / ٢٦ حزيران ١٨٩٩) ص ٣ و٤.

(٢) ١٦٢٤ (٢٥ جمادي الثانية ١٣٢٥ / ٥ آب ١٩٠٧) ص ٥ و٦.

(٣) ١٠٦٢ (٢٧ رجب ١٣١٣ / ١ ك٢ ١٨٩٦) ص ٣ و٤.

(٤) ١٣٧٣ (٢٨ ذي الحجة ١٣١٩ / ٧ نيسان ١٩٠٢) ص ٢ و٣.

(٥) ١٦٤٦ (٩ ذي الحجة ١٣٢٥ هـ / ١٣ ك٢ ١٩٠٨ م) ص ٢ و٣.

كما نشرت سلسلة مقالات في مواضيع المناخ في البلدان الشامية، مثل مناخ اللاذقية والشام ومناخ طبريا، ولقد قدّمت تلك المباحث خدمة للقراء، ولمن أراد أن ينتقل من بلد إلى آخر فتكون لديه فكرة عن طبيعة البلد الذي ينزل به. ومما ذكرته عن مناخ دمشق: بحثاً لأحد أطباء دمشق يذكر فيها الفوائد الصحية التي خصها بمن يأتي إلى دمشق فقالت الجريدة:

«يجدر بالحريص على صحته العارف بقيمتها أن يعمل بها ويتبعها وقد خصها حضرته بمن يأتي إلى دمشق وهو حديث عهد بها ليكون على علم بالضار والنافع من أحوالها الجوية ومواسمها الطبيعية»[1].

أما أخبار الرحلات فعديدة منها «رحلة لأوروبا»، و«رحلة إلى طرابلس» و«رحلة إلى القدس». ففي موضوع «رحلة إلى أوروبا» سنة ١٩٠٣ م يخبر فيها الكاتب عن سفره وأخبار رحلته الطويلة إلى أوروبا في سلسلة مقالات، ويذكر ما شاهده في طريقه من مدن ومحلات تجارية وغيرها[2].

ويبقى مجال المواضيع الجغرافية ضيقا في الجريدة ولم تتوسع فيه، فلم ينل هذا الموضوع الاهتمام الكافي منها، ومع ذلك فهي لم تهمل خبرا علمياً مفيداً أو دون أن تطلع عليه القرّاء.

ويلاحظ أن جميع هذه المواضيع العلمية مستمد من الحضارة الغربية، فلم تهمل الجريدة نشر أي خبر عن اكتشاف أو بحث علمي. فعملت على نقل تلك الحضارة العلمية الأوروبية، لتحث أبناء البلاد على الاقتداء بها وتوقظهم لضرورة التعلم، والإقبال على المواد العلمية المتنوعة التي من شأنها أن تفيد البلاد في نطاق الصناعة، وفي نطاق الصحة العامة، والاكتشافات العلمية المتنوعة، وهي أمور لا بد من تداركها في كل بلد يسير على درب التقدم. ومن الأشياء الحديثة التي نلاحظها دخول الكهرباء في كثير من الاختراعات، وكذلك اختراع الطائرة والتلغراف، والفونوغراف، واستخدام أشعة الراديوم، والاختبارات العلمية، والاكتشافات الجغرافية.

أما الشرق فقد كان بعيداً عن كل ذلك، وإذا افتتحت مدرسة علمية في منطقة من المناطق تفتتح بالاحتفالات والأفراح. ورغم ذلك فإن الجريدة تبقى حذرة من هذه الحضارة ولا تتهالك عليها، بل تبقى واعية من نتائجها أو من تعارضها مع الدين. فهي لا تنسى أن دخول المدنية الحديثة الغربية يشكل خطراً من ناحية السيطرة الفكرية والنفوذ الاقتصادي الذي يتبعه النفوذ السياسي. لكنها حين تعرض المستجدات العلمية، تعرضها لكونها علماً والإسلام يدعو إلى العلم.

٦ - المواضيع الحضارية.

يبلغ عددها ما يقارب الثلاثماية موضوع وتناولت مباحث حضارية تاريخية ومباحث مدنية. ولقد قلّت نسبة المباحث التاريخية عن المباحث الأخرى، وأهم موضوع تاريخي تطرقت إليه الجريدة هو «حرب

(١) ١٤٠٣ (٢ شعبان ١٣٢٠ / ٣ ت٢ ١٩٠٢) ص ٣.
(٢) ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣ (١٣٢٠ / ١٩٠٣).

القادسية» الذي نشرته في سنة ١٨٨٠ م ضمن سلسلة طويلة، كذلك موضوع «الحرب العثمانية اليونانية» في سنة ١٨٩٨م ضمن سلسلة طويلة أيضاً. وأغلب المواضيع التاريخية إما أن يكون لها صلة بالتاريخ العثماني أو بالتاريخ الإسلامي. وتهدف الجريدة من خلالها إلى تمجيد الدولة العثمانية والدين الإسلامي.

كما اهتمت الجريدة بمواضيع المدن وبموضوع المدنية والعمران، فنشرت أبحاثا عديدة عن مدن عربية وتركية أشهرها» مدينة ايدين «التركية، «ومدينة حضرموت» في سلسلة مقالات، بالإضافة إلى بعض المواضيع الحضارية الأخرى.

ومن المواضيع المهمة ثلاثة مواضيع، ويقع كل موضوع في سلسلة مقالات متلاحقة وهي: «مسؤولية الإنسان» و«ضمانة الارتقاء» و«النظر في مدينة البشر».

وكانت الغاية من هذه المواضيع الوصول إلى مرحلة متطورة من الحضارة الإنسانية، لأن العمران بحاجة إلى كل فرد من أفراد المجتمع.

وبالنسبة للمصادر فلقد اعتمدت الجريدة على أخبار ومباحث تنقلها من مجلات وجرائد، منها **الأهرام**[١]، **والنشرة الاسبوعية**[٢]، **وجريدة أقدام**[٣].

المواضيع التاريخية

اهتمت الجريدة بالتاريخ الإسلامي والعثماني فقط، وخرج عن دائرة اهتمامها تاريخ الدول الأوروبية مثلاً، فتحدثت عن القواد العثمانيين، مثل السلطان عثمان باشا والسلطان أورخان، كما تحدثت عن التاريخ الإسلامي.

وتركزت المواضيع التاريخية المهمة في السنوات التالية ١٨٨٠ م، ١٨٩٠ و١٨٩٨ م وقلما نعثر على موضوع تاريخي مهم خارج هذه السنوات.

ففي سنة ١٨٨٠ م نشرت الجريدة سلسلة مطولة في موضوع «حرب القادسية «ضمن تسعة عشر جزءاً»[٤]. ولقد أرادت الجريدة خدمة المسلمين في هذا الموضوع بأن تعطي المواعظ في أخلاق المسلمين السابقين، وتدعو للسير على هواهم، ومما قاله في ذلك

«لا يخفى أن اتحاد الكلمة ومشورة أهل الرأي وهضم جانب النفس والعمل للعموم والمحافظة على الأمانة ومراجعة المأمور أميره في كل أمر... هو أساس النجاح وداعية الفلاح»[٥].

---

(١) **الأهرام** أنشأها سليم تقلا وبشارة تقلا سنة ١٨٧٦ م.

(٢) **النشرة الأسبوعية** للدكتور كرنيليوس فانديك صدرت سنة ١٨٧١ م في بيروت.

(٣) **أقدام** جريدة تركية.

(٤) من العدد ٢٨٨ إلى العدد ٣٣٨ (١٢٩٧ هـ / ١٨٨٠ م).

(٥) العدد ٢٨٨ (٢٨ رجب ١٢٩٧ / ٤ تموز ١٨٨٠).

وفي سنة ١٨٩٠ نشرت سلسلة من المقالات في مفاخر السلطان عثمان، وسلسلة أخرى عن السلطان أورخان(١). وذلك لترسخ في نفوس المواطنين محبة الدولة العثمانية وسلاطينها. وقامت في سنة ١٨٩٨ م وبعد التطوير الجديد للجريدة على نشر موضوع «الحرب العثمانية اليونانية» في سلسلة مقالات مؤلفة من ثلاثة وعشرين جزءاً، عمدت من خلاله إلى نشر تاريخ الحرب التي قامت أخيرا بين الدولة العثمانية واليونان، مبينة علاقة كل دولة من الدول الأوروبية بالدولة العثمانية(٢).

كما عمدت في سنة ١٨٩٨ م إلى نشر «مفاخر آل عثمان»، وذلك خدمة لسياستها العثمانية ودرءاً للأضاليل والفتن، التي تحاك ضد الدولة. فنشرت سلسلة طويلة بهذا الموضوع، ومما ذكرته في مقدمة موضوعها:

«والعصر أن المفترين على الدولة العلية لفي خسر، إذ لو سبرنا بطون التواريخ التي خطتها أيدي الأوروبيين ممن لم تغش أبصارهم بغشاوة التعصب ولم يختم على قلوبهم بالحقد والبغضاء لرأيناها طافحة بما للدولة العلية «أيدها الله» من الأيادي البيضاء على الأمم الأجنبية مما لا ينكره إلا كل مكابر زنيم»(٣).

ونلاحظ أن نطاق المواضيع التاريخية كان ضيقاً بحيث لم تتعرض الجريدة إلا للتاريخ الإسلامي والتاريخ العثماني، وهي إن أرادت أن تعطي تحليلاً للحوادث التاريخية فنجدها تمجد بالدولة وسلاطينها، ولا تخرج عن دائرة الطاعة والولاء للدولة والذي يزيد في ولائها للدولة كونها دولة إسلامية، فالفتوح العثمانية هي فتوح إسلامية بالدرجة الأولى، فهي حين تمجد بالدولة العثمانية إنما تقوم بتمجيد الدولة الإسلامية والخلفاء المسلمين. ونلاحظ أنها ابتعدت عن تواريخ الدول الأخرى، وليس هذا راجعاً لقلة مصادرها، وإنما لعدم رغبتها في خدمة مصالح الدول الأخرى بإبرازها لتاريخها، لأن نشر تاريخ دولة ما يعطيها نوعاً من الدعاية السياسية، وهذا ما لا ترغب فيه الثمرات وهو خارج عن نطاق اهتماماتها.

واهتمت الجريدة أيضاً بالتراجم والسير فبلغ عدد مقالاتها في ذلك ما يقارب الثلاثين وتناولت فيها سير وتراجم مشاهير العرب القدماء والحديثين، فترجمت للصاحب بن عباد، وللهمذاني،، والخوارزمي، وابن العميد، كما ترجمت للحديثين أمثال الأمير عبد القادر الجزائري، والشيخ ابراهيم الأحدب. وتقدم هذه التراجم الفائدة التأريخية والأدبية لهذه الشخصيات من خلال عرض سير حياتهم، خاصة حين كانت تترجم لبعض الشخصيات فور وفاتهم مثل الشيخ الأحدب، فتكون أول من سجّل لهم تاريخهم وتنال السبق في ذلك.

---

(١) من العدد ٧٧٦ إلى العدد ٧٨٧ (٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م).

(٢) من العدد ١١٦٥ إلى العدد ١١٨٩ (٣١٥ هـ / ١٨٩٨ م).

(٣) ١١٩٦ (١٨ ربيع الثاني ١٣١٦ / ٥ أيلول ١٨٩٨) ص ٢.

ومن تواريخ الأشخاص ننتقل إلى تواريخ المدن. ففي سنة ١٨٧٥ م نشرت الجريدة سلسلة من ثماني مقالات عن تاريخ «مدينة ايدين التركية»[١]. وكذلك في سنة ١٨٧٥ م ستة مقالات عن «مدينة حضرموت» العربية[٢].

وفي سنة ١٨٩٧ م تكلمت الجريدة عن مدينة نيويورك وما حدث فيها من تطورات عمرانية تبهر الأنظار وعن الجديد في أبنيتها ومطاعمها التجارية[٣].

وفي نطاق الاكتشافات الآثارية تحدثت الجريدة عن الآثار في صيدا وفي سوريا وفي مدينة نابلس، وعن الاكتشافات في مدينة بابل، حيث نجحت الجمعية الالمانية في كشفها، ومما ذكرته الجريدة عن هذه الاكتشافات الأخيرة:

«قال الدكتور كلودوي أنه اكتشف شوارع المدينة وأسوارها وهياكلها وساحاتها ومنتدياتها بواسطة الكتابات الواضحة تحقق كيف كانت حياة شعبها الاجتماعية والعقلية والدينية»[٤].

كما تناولت في بعض الأبحاث تاريخ الحضارة العربية كما في موضوع «أخبار الساعة الناطقة عند العرب» الذي ذكرته في سنة ١٩٠٦ م تشيد فيه بما كان للعرب من حضارة في تلك البلاد، ومما قالته:

«كان للأندلسيين من أنواع الفنون والمعارف فمنها اختراعهم بمدينة قرطبة ساعة مرتفعة بالفضاء فإذا صارت الساعة الواحدة مثلاً ظهر من حجرتها هيكل بشكل فتاة ونطقت في بيت من الشعر الموزون، فمن شعرها يشعر بأن الساعة واحدة وهكذا تستأنف عملها على الدوام»[٥].

كما تكلمت عن «اختراع البوصلة» التي اكتشفها العرب وكانت من أبرز نتائج أفكارهم ومخترعاتهم[٦].

وتهدف الجريدة من ذلك إلى إبراز تقدم العرب على جميع التمدن الأوروبي وأن الفضل يعود للعرب (من حيث كونهم الأمة المحمدية، وليس من الجهة القومية العنصرية) في كثير من الاكتشافات والاختراعات، التي أخذوها وطوروها.

المواضيع المدنية.

تحدثت الجريدة عن قضايا فلسفية مدنية، خصوصاً في السنوات الأخيرة أي في بداية القرن العشرين واهتمت هذه المواضيع بغاية واحدة هي الوصول إلى مدنية حقيقية تستطيع إسعاد الهيئة الاجتماعية والارتقاء بالمواطن من مرحلة الانحطاط. وأما المدنية التي تريدها الجريدة، فليست خارجة عن نطاق

---

(١) من العدد ١٤ إلى العدد ٤٠ (١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م).
(٢) من العدد ١١٦٨ إلى العدد ١١٧٣ (١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م).
(٣) ١٦٤٣ (١٨ ذي القعدة ١٣٢٥ / ٢٣ ت٢ ١٩٠٧).
(٤) ١٣٨٠ (١٨ صفر ٣٢٠ هـ / ٢٦ نوار ١٩٠٢ م) ث ٧.
(٥) ١٥٧١ (٢٥ جمادي الأولى ١٣٢٤ / ١٦ تموز ١٩٠٦ م) ص ٥.
(٦) ١٣٨٥ (٢٤ ربيع الأول ٣٢٠ / ٣٠ حزيران ٩٠٢) ص ٦.

الشريعة الإسلامية بل تأتي خادمة لها، لأن الشريعة الإسلامية كما تعتبر الجريدة، قدمت الحجر الأخير في بناء المدنية الكاملة.

وأهم من تكلم في هذا الموضوع هو «سليمان مصويع» فكتب سلسلة مقالات، منها «مسؤولية الإنسان» في خمسة أجزاء، «ضمانة الارتقاء» في ثلاثة أجزاء و«النظر في مدنية البشر» في ستة أجزاء.

ففي موضوع «مسؤولية الإنسان» تحدث عن نشأة المسؤولية وتطورها عند البشر، فاعتبر أن الإنسان يمر في حياته بعدة أدوار، ولقد تولدت المسؤولية في بداية الخلق من أصل الممنوعية التي فرضت بالأمر الإلهي، ثم ارتقى الإنسان من همجيته وتلطفت طباعه ورأى أنه لا بد من استنباط ناموس ينطبق عليه أحكامه ويكون له قوة شرعية مدنية. ولما لم يتسن للعقل أن يفهم الإعلان الإلهي أرسل الله إليه رسلاً للإرشاد، فأصبح يدرك أن إهماله الواجبات التي له والتي عليه تستوجب المسؤولية والعقوبة. ورأى الكاتب أن كل ممنوعية لا تجانس الممنوعية العقلية ليست بواجبة إلا إذا أفادت العمران، واعتبر أن الدين والمدنية هما ركنا العمران، وأن الإنسان هو المحور الذي تدور حوله رحى الحياة، وبالتالي فإن المسؤولية لاحقة به لا محالة. ثم فصّل الكاتب أصول هذه المسؤولية من حيث كونها: حق خاص، وحق عام وحق طبيعي، وحق وضعي، وحق أصلي وحق طارىء، وحق مكسوب، وأخيراً حق مطلوب[1].

فالكاتب يهدف من خلال هذا الموضوع إلى وضع كل فرد أمام مسؤولياته، تجاه نفسه وتجاه غيره، لأن التواكل هو الضعف، ولأن العمران بحاجة إلى كل فرد من أفراد المجتمع. وفي «ضمانه الارتقاء» اعتبر أن عوامل الارتقاء تعود إلى ثلاثة عوامل أولية هي العلم وتحصيله والمثابرة على طلب المساواة، واحترام حق الغير.

وركز على أهمية التربية في الوصول إلى الرقي، لأن فسادها يؤدي بدون شك إلى الانحطاط. واعتبر أن الدائرة الأولى للرقي هي العائلة، إذ هي المدرسة الأولى للأخلاق والعواطف، وأن الأم هي الأستاذة في المدرسة العائلية التي تؤسس أخلاق الناشئة على قواعد الرقي.

أما الدائرة الثانية فهي المدارس القائمة على تأديب النفس، وترقية العواطف وفهم ماهية الحياة. والدائرة الثالثة هي دائرة الأمة القادرة على الهناء والشفاء[2].

فاعتبر الكاتب في هذا الموضوع أن التربية هي الأساس وهي لا تتم إلا إذا اتحدت العوامل الثلاثة التربية البيتية والمدرسية والخارجية المعتمدة على دائرة الأمة، وساعتئذ تستطيع الأمة مجتمعة أن تصل إلى الرقي الذي هي بحاجة إليه.

---

(١) الأعداد: ١٣٨٥، ١٢٨٧، ١٢٨٩، ١٣٩١، ١٣٩٢، (١٣٢٠ هـ/ ١٩٠٢ م)
(٢) الأعداد: ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦(١٣٢١ هـ/ ١٩٠٣ م).

وفي موضوع «النظر في مدنية البشر» تتبع فيه المدنية منذ خلق البشر حتى وصل إلى الشريعة الإسلامية. واعتبر أن لكل دور من أدوار حياة الإنسان مدنية خاصة به، ولقد اختار الله إكمال أدبية الحياة البشرية ضمن أدوار أربعة وهذه الأدوار هي: الإعلان الإلهي، والشرع الموسوي، والشرع المسيحي، والشرع الإسلامي.

فاعتبر أنه لا مدنية إلا ومصدرها الدين وركنها شريعته، فهذا المجتمع عاش طفلاً في فترة الإعلان الإلهي، وصغيراً في الموسوية وشاباً في المسيحية ورجلاً في الإسلام. ففي العهد الموسوي كانت المدنية قاصرة ولم تكن هناك فتوحات دينية، وفي المسيحية لم يكن لدى مجتمعها الاستعداد الكافي لتقبل المدنية الكاملة. فحين صار الاستعداد موجوداً أصبح لا بد من رسول يأخذ حظه من إيفاء الخدمة لدورها الأخير فجاء صاحب الشريعة الإسلامية، التي خدمت مع فطرتها واعتدالها الدين والمدنية فأقرت الواجب والجائز والممنوع. كما خدمت الإنسانية، فافتراضها كل ما يمكن أن يعرض للإنسان في حياته، وقدمت له الحلول واستوفت البحث في جميع شؤونه الشخصية والاجتماعية[1].

ونلاحظ أن الكاتب قد قدّم مباحث مدنية قيمة وذات فائدة في علم الاجتماع باعتماده التدرج المنطقي والفلسفي في عرض آرائه. وكانت غايته الوصول بالمجتمع إلى مرحلة متطورة من التقدم والحضارة ليسير في مجال العمران والتوسع، فلذلك نادى أولا بتحمل المسؤولية المفروضة على كل فرد من أفراد المجتمع، ثم طالبه بالتعلم وتحصيله والمثابرة عليه، وفي النهاية رأى أن الإسلام قدّم خير الحلول لبني البشر، لأن الشريعة الإسلامية كانت هي الكافلة لإبقاء النوع الإنساني في تطور دائم لما قدمته من مدنية كاملة، شاملة، مستوفية جميع شؤونه الشخصية والاجتماعية.

ويسجل للجريدة الفضل في تقديمها لهذه النماذج من المباحث المدنية والعمرانية مما يفيد المجتمع حضارياً ومما يدل على مستواها الفكري المتقدم، حيث تسعى لتقديم أفضل الوسائل التي يمكن أن تفيد القارىء المثقف والمجتمع وتحمله على القيام بنهضة تجاري النهضة الحضارية الحديثة. وعملت على تغذيته بالمقومات الحضارية حتى يستطيع استيعاب العلوم ويسعى وراء العلم والمعرفة.

٧ - المواضيع الدينية.

يبلغ عدد المقالات المتعلقة بالمواضيع الدينية ما يقارب المائة واثنين وسبعين مقالا وهو عدد ضئيل بالنسبة لمواضيع الجريدة عامة مع أهميته لطابع الجريدة الديني. ورغم ذلك فإنه لا يخلو موضوع سياسي أو اجتماعي أو أدبي من رؤيته بالمنظار الديني. فالجريدة تتوجه بكتاباتها إلى المجتمع الإسلامي والعالم الإسلامي. فلا بد أن تعكس الوجهة الدينية لأفكارها.

(١) الأعداد: ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٦ (١٣٢٣ / ١٩٠٤).

ولقد تضمنت هذه المواضيع أخبارا عن الإسلام والمسلمين في البلاد العربية والعالم، كما تضمنت دعوات ونصائح دينية ودعت للاتحاد الإسلامي، كما وتطرقت إلى موضوع الرق وشرحت موقف الإسلام منه وذلك في سنة ١٨٨٩ م. ويلاحظ أنه في السنوات الأولى كانت المواضيع الدينية أخبارية بشكل كبير، أما الأبحاث الدينية فكانت نادرة جداً، ولم تتسع دائرتها إلا في السنوات الأخيرة ابتداء من ١٩٠٣ م فأخذت تتجه نحو المواضيع الفكرية، فكتب الشيخ «محمد عبده» سلسلة مقالات في «أصول الإسلام» وكتب «محمد توفيق البكري»[١] سلسلة أخرى بعنوان المستقبل للإسلام. ونشرت في سنة ١٩٠٤ م بمناسبة شهر رمضان المبارك تفسير سورة العصر في مقالات سلسلة من أربعة أجزاء للشيخ «محمد عبده».

أما الهدف الأساسي من هذه المواضيع، فكان خدمة مصالح الدين الإسلامي والدعوة إلى الاتحاد الإسلامي العام. لذلك حرصت على نقل أخبار المسلمين في جميع بلدان العالم في الهند والصين وانكلترا وغيرها. ولم يكن هدف الجريدة الدعوة إلى تطبيق أحكام الإسلام الدينية من صلاة وصوم وزكاة فهي لم تأت على ذكر مباحث في هذه الأمور، وإن أتت فمقالات قصيرة ونادرة، فلم يكن همها الفرد المسلم فقط بل المجموع الإسلامي. لأن الخطر الغربي كان يحدق بالعالم الإسلامي بأسره، فيجب إيقاظ المسلمين وتنبيههم من غفلتهم قبل أي شيءآخر. أما المصادر التي اعتمدتها في تلك المواضيع، فعديدة منها التركية كجريدة صباح وجريدة **البصيرة والموسوعات**، ومنها العربية **كالمؤيد** المصرية، **والحاضرة**[٢] التونسية وغيرها.

الأخبار الإسلامية.

وتتناول فيها الجريدة أخباراً عن العالم الإسلامي، فتنشر أخبار المسلمين في أي بعقة كانوا من العالم، في أفريقيا وفي اليابان وفي أميركا، وتترصد أحوالهم، وتحركاتهم العملية والعمرانية. ففي سنة ١٨٩٦ م تعرض المسلمون في أزهر مصر لهجوم من قبل ا لجنود الانكليزية، وفي سنة ١٩٠٢ م أنشأ العلماء في الهند ندوة علمية دعوا إليها جميع المسلمين، وفي سنة ١٩٠٦ أنشأ المسلمون الانكليز مسجداً في مدينة «لندرا» كا اهتمت بنشر الأنباء الثقافية الإسلامية كإنشاء المدارس الإسلامية أو إصدار الكتب الإسلامية، ورافقت المسلمين في كثير من أعيادهم.

واعتمدت في نقلها لهذه الأخبار على مصادر خارجية عبر جرائد منها: **أقدام وصباح التركيتان** وجريدة **المؤيد** وغيرها.

فتخبرنا الجريدة مثلا عن المسلمين في الهند فنجد أنه في سنة ١٩٠٦ م قد أسلم منهم عدد كبير وأعلنوا إسلامهم على يد رجلين من تلك الديار فتقول:

---

(١) **محمد توفيق البكري**: هو شيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر.
(٢) جريدة الحاضرة، أصدرها علي بوشوشة في تونس سنة ١٨٨٨ م.

«والذين اهتدوا في تلك الديار للدين الإسلامي فبلغ عددهم ١٤٣٧ شخصاً»[١].

وفي السنة نفسها كانت الهند تشهد نشاطاً عظيماً على صعيد الحركة الإسلامية، فتذكر الجريدة نقلاً عن جريدة أقدام التركية أنه تألف في الهند وفد إسلامي عظيم يضم محترفين بالصناعات العالمية، وأن مهمة هذا الوفد هو إنشاء إدارة ملكية وعسكرية في افريقيا لنشر الدين الإسلامي، وتعليم الأهالي الصناعات المختلفة[٢].

كما شهدت الصين في سنة ١٩٠٧ م حركة دينية أيضاً فأسلم عدد كبير منهم وهم يقومون بواجباتهم الدينية من صلاة وصيام وزكاة فتقول:

«أما المسلمون في الصين فيقدر عددهم ب ٣٤ مليون مسلم...»[٣].

أما اليابان فيبدو أنها خطت خطوات واسعة في نشر الدين الإسلامي، إذ إنها دعت في سنة ١٩٠٦ م إلى مجمع علمي يضم علماء مسلمين من جميع الأقطار وذلك للبحث في حقيقة الإسلام، وتكلفت الحكومة اليابانية بتغطية نفقات سفر العلماء إليها[٤].

وتحدثت سنة ١٨٩٦ م عن الحادثة التي جرت في جامع الأزهر من تهجم الانكليز على أحد أروقة الشام في الجامع، ثم إطلاق الرصاص على الطلبة، وما حدث من ملابسات حول هذه القضية. ولقد استنكرت الجريدة تلك الأعمال وما نتج عنها من محاكمة أربعة عشر طالباً، ونفي اثنين وستين إلى بلادهم. إضافة إلى إقفال رواق الشام لمدة سنة كاملة[٥].

كما تناولت الجريدة أخبار الجمعيات الإسلامية في العالم، فذكرت نقلاً عن جريدة المؤيد أهداف الجمعية الإسلامية في نيويورك سنة ١٨٩٣ م والتي تناولت موضوع الأخوة الإسلامية في أميركا، والمطالبة بدرس التعاليم والقواعد الإسلامية درساً صحيحاً[٦].

أما الجمعية الخيرية الإسلامية في مصر التي تألفت سنة ١٨٩٣ م فكانت أهدافها إغاثة الفقراء والعجزة، وفتح المكاتب الابتدائية في المدن[٧].

كما اهتمت الجريدة بالثقافة الإسلامية فنشرت أخباراً عن المدارس الإسلامية والكتب الإسلامية. فمن ذلك ما ذكرته في سنة ١٨٩٣ عن وجوب تعاون أبناء الوطن وخصوصاً المسلمين لتسهيل تناول المعارف وإصلاح أحوال التعليم[٨].

---

(١) ١٥٥٨ (٢٢ صفر ١٣٢٤ / ٣ نيسان ١٩٠٦) ص ٤ و٥.
(٢) العدد نفسه، ص ٥.
(٣) ١٦٠٢ (١٩ محرم ١٣٢٥ / ٤ آذار ١٩٠٧) ص ٤.
(٤) ١٥٦٨ (٤ جمادي الأولى ١٣٢٤ / ٢٢ حزيران ١٩٠٦) ص ١ .
(٥) ١٠٨٢ (١٤ محرم ١٣١٤ / ١٥ حزيران ١٨٩٦) ص ١ و٢.
(٦) ٩٤٩ (٢٩ ربيع الأول ١٣١١ / ٩ ت١ ١٨٩٣) ص ٢ و٣.
(٧) ٩٤٥ (١ ربيع الأول ١٣١١ / ١١ أيلول ١٨٩٣) ص ٢ و٣.
(٨) ٩٥٧ (٢٥ جمادي الأولى ١٣١١ / ٢٢ ت٢ ١٨٩٣) ص ١ .

وأخذت تعلن عن الكتب الإسلامية التي تصدر، وتتحدث عن محتوياتها، فهناك إعلان عن كتاب «الإسلام في عصر العلم» للمؤلف «محمد فريد بك وجدي» وهو يحتوي على أربعة مجلدات، يتحدث في المجلد الأول عن الإنسان، وفي الثاني عن المادة وما وراءها، والثالث عن المدنية، والرابع عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم[١].

واستنكرت الجريدة وضع الضرائب الباهظة على الكتب الإسلامية التي هي الوسيلة لبث العلوم الإسلامية وعمران المدارس، وذلك إثر شكوى جريدة **الحاضر** التونسية من صعوبة وصول الكتب الإسلامية إليها بسبب هذه الضرائب[٢].

كما استنكرت سنة ١٨٩٦ م جرأة الصربيين على ترجمة القرآن الكريم وطبعه محرّفاً لتوزيعه على بسطاء المسلمين في تلك الجهات، فتذكر الثمرات بأن القرآن الكريم هو المعجزة الدائمة للرسول صلى الله عليه وسلم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[٣].

وانتقدت الجريدة حرية المعتقد المزعومة في بعض المدارس، وهي التي تجبر المسلم على تعلم المسيحية والدخول إلى الكنيسة، وتدخل في أطعمته ما حرّمه الشرع الإسلامي كلحم الخنزير[٤].

وشكرت الجريدة الدولة لاهتمامها بفتح المدارس وتعليم الفروض الدينية، فلقد جاء أمر من الآستانة العلية سنة ١٨٩٩ م بوجوب الاعتناء بالفروض الدينية في المدارس الأميرية، وبمواظبة التلاميذ على الصلوات الخمس وتطبيق الشريعة الإسلامية[٥]. وذلك خدمة للهدف الذي نادى به السلطان عبد الحميد بالدعوة إلى الاتحاد الإسلامي، وضرورة نشر مبادىء الدين في المدارس الرسمية للدولة لمحاربة الثقافة الغربية التي تنشرها المدارس الإرسالية، والتي تهدف لكراهية الدولة العثمانية.

ولم تغب الجريدة عن المسلمين في مواسم أعيادهم، بل كانت تذكر الوقائع والاحتفالات التي كانت تقام في عيد الفطر، وعيد الأضحى، وكل مناسبة دينية. ففي مناسبة المعراج النبوي تذكر الاحتفال الذي أقيم، فتقول في أحد الأعداد سنة ١٨٩٨ م:

«وافقت الليلة الماضية ليلة معراج سيد الوجود وأكرم موجود صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم، فأنيرت المنائر والمساجد الشريفة والدوائر الرسمية بأنواع المصابيح المتلألئة إجلالاً وتعظيماً وتليت قصة المعراج الشريف في الجوامع والمساجد»[٦].

(١) ١٤١١ (٢٩ رمضان ١٣٢٠ / ٢٩ ك١ ١٩٠٢) ص ٢ و٣.
(٢) ١١٠٦ (٢ رجب ١٣١٤) ٢٥ ٢ ١٨٩٦) ٢.
(٣) ١١٠٦ (٢ رجب ١٣١٤ / ٢٥ ٢ ١٨٩٦) ٣.
(٤) ٦٠١ (٢٠ محرم ١٣٠٤ / ٦ ت١ ١٨٨٦) ص ١ و٢.
(٥) ١٢٢٩ (١١ ذي الحجة ١٣١٦ / ٨ أيار ١٨٩٩) ص ١ .
(٦) ١٢١٠ (٢٨ رجب ١٣١٦ / ١٣ ك١ ١٨٩٨) ص ١ .

كما كانت تظهر الجريدة بحلة جديدة في كل مناسبة من المناسبات الدينية. وفي مواسم الحج كانت تقدم للحجاج كل ما يهمهم من أخبار تتعلق بشؤون سفرهم وتنقلاتهم وما تخبرهم به نظارة الصحية[(١)].

وفي شهر رمضان المبارك كانت تقدم للمسلمين كل ما يفيدهم علمياً وصحياً، فلقد نشرت تفسير سورة العصر خلال شهر رمضان المبارك، وقدمت بحثاً حول فوائد الصيام الصحية، فذكرت بعض النصائح للصائم في كيفية تناول الطعام والمستحسن منه وأهمية التزوار والخروج ليلاً بعد الافطار[(٢)].

النصائح والإرشادات الدينية.

وأكثرها يدور حول تطبيق التعاليم الإسلامية والاتحاد الإسلامي، ففي السنوات الأولى وخصوصاً ١٨٨٤ و١٨٨٥ كثرت مقالات الشيخ «إبراهيم الأحدب» بالدعوة للتحلي بالمبادىء وبالأخلاق الإسلامية الكريمة، ونلاحظ مضامين المواضيع التي تكلم فيها من خلال عناوين المقالات التالية: «كن مع الله تر الله معك»، و«صلات الله ونعمه»، الصبر على محارم الله أيسر من الصبر على عذابه».

فيدعو لتطبيق التعاليم الإسلامية، وإلى الورع والخوف من عذاب الله تعالى، كما يطالب المسلمين بتلاوة القرآن الكريم والعمل بأحكامه، ويعدد نعم الله على الإنسان، وواجباته نحو ربه.

ونشرت الجريدة رسالة من الهند في سنة ١٩٠٣ م بعنوان «فضيلة الإسلام» يدعو فيها صاحبها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما يدعو لانتقاد العادات السيئة والاشهار بما يمس الدين الإسلامي، مثل ما يفعله كثير من الغوغاء والنساء عند القبور لطلب الحوائج[(٣)]. وتقابل دعوته هذه الدعوة الوهابية للشيخ «محمد بن عبد الوهاب» في نبذ البدع والخرافات الدخيلة على الإسلام.

ونقلت عن جريدة **طرابلس** مقالاً عن الجهاد في الإسلام وأهميته بالنسبة للمسلمين ومشروعيته والرد على من يطعن في حق الإسلام من الغربيين. ومما قاله «.. فهم يجهلون حقيقة الدين الإسلامي، وقد أعمت قلوبهم البغضاء.. ومما يضحك الثكلى تصريح أولئك الجهلة السخفاء أنه على الأمم المتمدنة أن تسعى لإبادة المسلمين لا لتقويتهم، وأن تدجين الكواسر أسهل من تدجين الإسلام»[(٤)]. ويظهر من خلاله الحقد الأعمى على الإسلام والمسلمين.

وعن جريدة **البصيرة** التركية تحت عنوان «الإسلامية والجندية» يشيد بدور الأمة العثمانية في الجهاد فيقول: «كل ما أطلنا النظر وأجلنا الفكر لنقف على أمة قد براها الله على الجندية فطرة وخلقاً وأخلاقاً وديناً وعادة إلا وتمثلت لنا الأمة الإسلامية للعيان وبرزت لنا الأمة العثمانية بأحسن برهان»[(٥)].

---

(١) ١١٨١ (٢ محرم ١٣١٦ / ٢٣ نوار ١٨٩٨) ص ٤.
(٢) ١٤٩ (١٥ رمضان ١٣٢٠ / ١٤ ك٢ ١٩٠٢) ص ١ و٢.
(٣) ١٤٤٨ (٢٩ جمادي الثانية ١٣٢١ / ٢١ أيلول ١٩٠٣) ص ٢.
(٤) ١٠٨٧ (٧ صفر ٣١٤ (٢٠ تموز ١٨٩٦) ص ٣.
(٥) ٨٤١ (٢٩ ذي القعدة ٣٠٨ / ٦ تمز ١٨٩١ م) ص ٢.

وهناك دعوات عديدة وكثيرة للاتحاد الإسلامي، والجريدة لا تنادي بالاتحاد القولي فقط، بل تعرض الوسائل المؤدية لذلك. ومنها ما ذكرته سنة ١٨٩٠ م عن وجوب اهتمام الجمعيات العلمية والأدبية لهذا الأمر، توحيد مبادىء التعليم وانتخاب الكتب المناسبة لمكارم الأخلاق[١].

ومنها ما ذكرته نقلا عن جريدة **الموسوعات** التركية، حيث دعا فيها المحرر إلى إنشاء مجمع يبحث في الأسباب الموصلة للرقي، والبحث في تشكيل إرساليات دينية تحمل القرآن الكريم وتعلمه للمسلمين، وأن ترسل إرسالية للحجاز في كل موسم لتلقن الحجاج أمور دينهم، وأن ينشر الدين الإسلامي باللغات الأربع العربية والتركية والفارسية والأوردية (لغة مسلمي الهند) وأخيرا إنشاء مدرسة دينية محضة يربى فيها الأفراد تربية إسلامية[٢].

ولا ننسى موضوع الاتحاد الإسلامي الذي طرحه المصلحون في ذلك العصر، أمثال جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رضا، وغيرهم، فالجريدة لم تكن لتغيب عن هذا الموضوع، بل جعلت شعار الجريدة خدمة مصالح المسلمين والوحدة الإسلامية، فكانت تنشر كل خبر يتعلق بهذا الأمر ويحث عليه. وفي أحد المواضيع التي ذكرتها الجريدة نقلا عن جريدة **محمدان**[٣]، يتألم الكاتب لضياع البلدان الإسلامية ويدعو لليقظة، والبحث عن الأسباب الموجبة للترقي فيقول:

«أقول لأخواني المسلمين في كافة بقاع الأرض، أن الإسلام جسم واحد رأسه الدولة العلية وساعداه الأفغان ومراكش ورجلاه مصر والعجم، ولا يمنع الدول الأجنبية من الاعتداء والتداخل في بلاد الإسلام غير هذا الاتحاد»[٤].

وفي رسالة أخرى للجريدة يدعو فيها صاحبها للاتحاد، ورفض أي جنسية غير الإسلام الذي جمع شمل الأمة فيقول:

«يجدر بالمسلمين أن يحسّوا بأن الذي أصابهم في هذه الأزمنة المتأخرة لم يكن إلا نتيجة الخمول والتقاعس عن تعزيز جانب الدين ونشر رايته.. والجنسية الوحيدة في الإسلام التي يلتئم بها شمل المتفرقين من الأفراد هي الدين الذي أصبح به المسلمون وهم أجناس مختلفة، وأصول متعددة أخواناً»[٥].

فكانت الغاية المتوخاة من هذه المواضيع تحذير المسلمين وإيقاظهم من غفلتهم وتجميع كلمتهم والانضمام تحت لواء الدولة العثمانية الواحدة، التي تكفل هذه الوحدة وتحمي الجمع الإسلامي.

---

(١) ٧٨٨ (٢٨ شوال ٣٠٧ / ١٦ حزيران ١٨٩٠) ص ١ .
(٢) ١٢٤٢ (٣ نوار ١٣١٧ / ٧ آب ١٨٩٩) ص ٢ و٣.
(٣) جريدة تصدر في الهند.
(٤) ١٢١٤ (٢٦ شعبان ١٣١٦ / ٩ ك٢ ١٨٩٩) ص ٢ و٣.
(٥) ٧٩٠ (١٢ ذو القعدة ٣٠٧ / ٣٠ حزيران ١٨٩٠) ص ٢.

موضوع الرق

عالجت الجريدة موضوع الرق وما نتج عنه من مجادلات عديدة، وأبدت رأي الدين الإسلامي في هذا الموضوع، ويظهر أن الرق كان لا يزال معمولاً به في الدولة العثمانية، وكما يذكر الدكتور «حسان حلاق»، فلقد ورثته بيروت والحكم العثماني منذ أجيال بعيدة، ولكن مشارف القرن العشرين شهدت انحساراً هاماً له نظراً لتطورات اقتصادية واجتماعية. ولقد وجد سماسرة لبيع وشراء العبيد واستخدامهم في الدور والقصور لدى الولاة والأمراء وكبار التجار وعلية القوم[١].

ولقد منع السلطان المتاجرة بالرقيق في سنة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م كما ذكرت الجريدة. أما سبب تناولها لهذا الموضوع، فهو الرد على الكردينال لافيجري رئيس أساقفة الجزائر، الذي ادّعى أن بقاء الأسر في افريقيا أمر تبعث عليه مبادىء الدين الإسلامي وتستلزمه أصوله. فأرادت الجريدة أن تظهر موقف الإسلام من هذا الأمر. وأجرت مجادلات كثيرة مع جريدة البشير الارثوذكسية، التي كانت تساند الكاردينال في آرائه، فنشرت الثمرات مقالات عدة في الرد عليه، خاصة في سنة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م فذكرت بأن الاسترقاق كان قبل مجيء الإسلام بعهد بعيد، وإنما أباحه الشرع عند الامتناع عن دخول الإسلام في الحرب. وأن حكم الاسترقاق هو الإباحة. ويجوز لخليفة المسلمين منع المباح لمصلحة المسلمين، لذلك فقد منع صاحب السلطنة المتاجرة بالرقيق، ورأت الجريدة أن أهداف الكردينال هي أبعد من مسألة محاربة الرقيق، وإنما غايته الحقيقية تكمن في مسألة النفوذ الديني الذي يبتغيه، وذلك خوفاً من فوز المرسلين الدينيين الذين يرسلهم السنوسي لكي يعلموا مبادىء الدين الإسلامي، فيخشى الكردينال من تفوقهم وفوزهم على مرسليه في أفريقيا الذين يحاولون التبشير بالدين المسيحي[٢].

وقامت الجريدة تنشر أخبار الرقيق في العالم الأوروبي، ففي انكلترا مثلاً يتبعون طريقة معينة لاستجلابهم، فمتى قبضت المراكب الإنكليزية على إحدى السفن تسير بها إلى كولومبيا، حيث تطلب من الراكبين أجرة سفرهم، وثمن قوتهم. فلا يستطيعون تأديتها، فتقضي عليهم ساعتئذ بالاشتغال بالقيمة لأداء المطلوب منهم»[٣].

أما النمسا فقد ألف فيها شركات للاتجار بالبشر من طريق الغش ولخداع، وتلك الشركات تقوم على رؤساء من اليهود والنصارى[٤].

---

(١) الدكتور حسان حلاق، التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية في القرن التاسع عشر، الدار الجامعية، بيروت ١٤٠٧ م، ص ٣٢.
(٢) الأعداد: ٧٠١، ٧٠٢، ٧١٢، ٧١٣، ٧٢٢ (١٣٠٦ ١٨٨٩ م).
(٣) ٧٢٢ (٢٣ جمادي الثانية ١٣٠٦ / ١ ك٢ ١٨٨٩ م) ص ٢.
(٤) ٧٦٤ (٧ جمادي الأولى ٣٠٧ / ٣٠ ك١ ١٨٨٩ م) ص ٣.

ونشرت الثمرات نقلاً عن جريدة المؤيد في مقال للدكتور كارل هينيك، يصف فيه كيفية الاتجار بالرقيق في أوروبا والوحشية المفرطة التي يعاملون بها، حيث يؤخذون كالبهائم مكبلين مغلولين في القيود والسلاسل، وفي رقبة كل منهم طوق من حديد في طرفيه حلقتان تمر منهما سلسلة عظيمة من حديد تربط الجميع ببعض، ويتركون عدة أيام من دون طعام ولا شراب إلا بلعة يسيرة[1].

كما أوردت الجريدة مقالاً بعنوان «الأسر والرق في الأمم»، بيّنت فيه الفرق بين الإسلام وغيره من الأمم في معاملة الرقيق. فلقد كان الأسر قبل الإسلام وبعده ابتداء بالأمة الرومانية وحضارتها، حيث كانوا يعاملون الرقيق أبشع معاملة، مرورا بالعصر الجاهلي وحتى مجيء الإسلام الذي جاء مثل فلق الصبح وبث نوره في العالم ونادىء بالرفق في الإنسان[2].

وهكذا تفسر الجريدة موقف الإسلام من الرق، وتدحض آراء المفترين على الدين واتهاماتهم الباطلة، فالدين لم يبتدع الرق، بل جاء لتحسين أوضاع الرقيق حتى التوصل بهم إلى الحرية، والدول الغربية هي التي تفنن في وسائل الرق وتعذيب الرقيق وتكليفه فوق طاقته، فتنتقد الجريدة تلك المدنية التي تدعيها أوروبا ظاهرياً، بينما تقوم في الخفاء على تأليف الشركات للاسترقاق والاستعمار، كما تفعل في كثير من البلدان بعد أن تعذب الأهالي وتسرق مواردهم الطبيعية.

المباحث الفكرية والدينية

شهدت الجريدة ابتداء من سنة ١٩٠٢ م مواضيع ذات مباحث فكرية إسلامية، منها موضوع «المتشابهات» للشيخ محمد عبده، يعرض فيها مذهب السلف والخلف في موضوع صفات الملائكة، ورأى المذهبين فيها، ولقد نقلته الجريدة مما يلقيه الشيخ من محاضرات في الجامع الأزهر[3].

وكذلك موضوع «طبيعة الإسلام وأصوله» وهو موضوع الرسالة التي نشرت فيما بعد بعنوان «رسالة التوحيد». ولقد عرضته الجريدة في سلسلة مقالات متلاحقة ضمن ثمانية أجزاء. ويعرض فيه الإمام الأصول السبعة للإسلام، بعد أن بيّن أن دعوة الإسلام الأولى هي الاعتقاد بوجود الله وتوحيده، والثانية التصديق برسالة النبي صلى الله عليه وسلم. ورأى أن هذه الأصول تنحصر في النظر العقلي لتحصيل الإيمان، وتقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض، والبعد عن التكفير، والاعتبار بسنن الله في الخلق، وحماية الدعوة لمنع الفتنة عن المسلمين، ومودّة المخالفين في العقيدة عن طريق المصاهرة، وأخيراً الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة عبرّ طريق الاشتغال بالعلوم الكونية، وإنشاء المساجد، ودور الكتب والاهتمام بالمدارس، وتنشيط العلوم والفنون الأدبية[4].

---

(١) ١٠١١ (١٠ رجب ١٣١٢ / ٧ ك٢ ١٨٩٥) ص ٣ و٤.
(٢) ١٦١٤ (١٤ ربيع الاخره ١٣٢٥ (٢٧ آيار ١٩٠٧) ص ٣ و٤.
(٣) ١٣٧٨ (٤ صفر ٣٢٠ هـ / ١٢ نوار ٩٠٢) ص ٢.
(٤) الأعداد ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠ (١٣٢٠ هـ / ١٩٠٣ م).

وهناك مبحث آخر بعنوان «المستقبل للإسلام» لمحمد توفيق البكري في سلسلة مقالات متلاحقة في ثمانية أعداد، وهدف هذا الموضوع إيجاد الوسائل التي تخدم الإسلام والمسلمين وترفع من شأنهم ومكانتهم. فعرض الكاتب المباحث التي تستطيع أن تؤدي دورها في مستقبل الإسلام. وهذا الموضوع يتألف من ثلاثة فصول الأول: يتحدث فيه عن رأس مال الإسلام ويكمن في المكان والسكان، لأن موطن المسلمين هو مجموع الأمة الإسلامية، وحين يقول المسلم وطني لا يقصد به التربة وإنما يقصد الدين. وفي الفصل الثاني يتحدث عن موضوع الجهل الذي يؤدي إلى الانحطاط والتأخر وفساد الأخلاق والمجتمع. أما مقاومته فتكون بالعلم. لذلك يعرض في الفصل الثالث الذي موضوعه العلم وسائل نقل العلم وكيفية التعليم، والمال اللازم لذلك ثم فيمن يفترض عليه القيام به[1].

كما نشرت الجريدة تفسير سورة العصر للشيخ محمد عبده في سلسلة مقالات مؤلفة من أربعة أجزاء، شرحها الامام حين كان في الجزائر، حيث اقترح عليه الناس أن يقرأ لهم درساً عاماً يستفيدون منه ويتحقق به تلقيهم عنه ففسر لهم سورة العصر ونشرتها الجريدة في شهر رمضان سنة ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م [2]. وهي من التفاسير السهلة الفهم بالنسبة للقارىء.

كما نشرت بحثاً للمنفلوطي نقلاً عن جريدة **المؤيد**، حيث رفض فيه إقامة نصب تمثال لمصطفى كمال باشا لأن التماثيل محرمة في الإسلام، واقترح إنشاء مدرسة تحمل اسمه وتعلم المعارف والأخلاق والآداب الدينية والمذاهب الوطنية[3].

ولقد اتسمت جميع المباحث بالطابع الديني الإسلامي فنقلت الجريدة الفكر الإسلامي في ذلك العصر وهو لا يختلف عن أي وقت، لأن الدين واحد في أي منطقة كان وفي أي عصر كان.

ونستطيع أن نلحق المواضيع الفلسفية بالمواضيع الفكرية الإسلامية، إذ إن الجريدة تعرضت للمواضيع التي تبحث في الفلسفة الإسلامية، ولأن الكتاب الذين بحثوا في هذه المواضيع تناولوها من الوجهة الإسلامية، وأشهر من كتب في هذا الموضوع الشيخ محمد عبده.

وأهم موضوع تناولته الجريدة في السنوات الأولى هو موضوع «الدهريون» ثم بعد السنة الخامسة والعشرين للجريدة أخذت المواضيع الفلسفية تزداد وخاصة في سنة ١٩٠٢م.

فنشرت سلسلة مقالات في «فلسفة ابن رشد»، وسلسلة أخرى في موضوع «أدوار الحياة»، ومسؤولية الإنسان» لسليمان مصوبع، وفي سنة ١٩٠٨ م نشرت سلسلة مقالات للأديب «محمد جميل بيهم»[4] بعنوان «لطائف الكون».

---

(١) الأعداد ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠ (١٣٢٠ هـ / ١٩٠٣ م).

(٢) ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٨، ١٤٦٠ (١٣٢١ / ١٩٠٣ م).

(٣) ١٦٥٤ (١٣ صفر ١٣٢٦ / ١٦ آذار ١٩٠٨ م، ص ٢ و٣.

(٤) محمد جميل بيهم (١٨٨٧ - ١٩٧٨ م) من أبناء بيروت تلقى علومه الأولى في الكلية الإسلامية، وعُين عضواً في جمعية المقاصد، له مؤلفات عديدة في التاريخ.

أما عدد المقالات الفلسفية، فتبلغ ما يقارب التسعين مقالاً، وأكثرها مقالات مسلسلة وقامت الجريدة من خلالها بعرض آراء المفكرين الإسلاميين في ذلك الوقت، أمثال «جمال الدين الافغاني» ، و«الشيخ محمد عبده»، الذين حاولوا إصلاح المجتمع بمحاربة ما ساد فيه من فساد في التربية والأخلاق، ومحاربة الأفكار الفاسدة التي أخذت تدخل إلى الدين الإسلامي خصوصاً شيوع مذهب« داروين» والتأثر بفكرة «المادة».

فلقد نشرت الجريدة رسالة الأفغاني في «الرد على الدهريين» التي نقلها من الفارسية إلى العربية الإمام محمد عبده، حيث ظهر في تلك الفترة فئة من الماديين رأوا أن كل شيء في الحياة يخضع للمادة فأنكروا الدين وأنكروا الروح. فكان للأفغاني رد عليهم في هذه الرسالة اعتمد فيها البراهين العقلية والحجج ونقلتها الجريدة في سنة ١٨٩١ م في سلسلة مقالات ضمن عشرة أعداد من الجريدة، ذكرت فيها أضرار الدهريين وعقائد الدين وخصاله الحميدة[١].

كما تناولت الجريدة فكر بعض الفلاسفة القدماء، فكتب «سليم شمعة» في سنة ١٩٠٢ م عن أفلاطون وأبقراط. وأرسطو طاليس. وتحدثت عن الفلاسفة الإسلاميين فتناولت الفيلسوف ابن رشد، حيث تعرض الشيخ محمد عبده لفلسفته في المادة وخلق العالم، وفي اتصال الكون بالخالق، وطريق الاتصال، والتسامح، في سلسلة مقالات ضمن خمسة أعداد من الجريدة[٢].

وبما أن روح العصر سادت فيها المادية وأفكارها، فلقد أخذ الكتاب يتداولون مواضيع تتحدث عن «ماهية العقل» وماهية «الروح». فنشرت الجريدة مقالا بعنوان «العقل» شبه فيه الكاتب العقل بالنبات الذي يعيش وينمو بالخدمة والماء ويذبل ويذوب بدونهما. ويعتبر أن تدريب العقل على الأفكار الخيّرة والأخلاق الكريمة يجعله ينمو، بينما إذا أهمل ينحل ويضعف. والعقل هو القوة التي وضعها الله في الإنسان ليعرف الحق من الباطل فيقول الكاتب:

«ولقد منحه الله سبحانه وتعالى للإنسان ليعرف به الحق فيأتيه، والباطل فيتجنبه ويميز الخبيث من الطيب»[٣].

وبحثت الجريدة في موضوع «الروح» والمحاولات والاختبارات التي أجريت لمعرفتها. فلقد زعم بعضهم أن لها وزنا وثقلاً، لكن الجريدة بقيت عند موقف الدين منها وقالت:

«الروح من أمر الله عجز البشر قديماً وحديثاً عن ادراك كنهها ومعرفة حقيقتها»[٤].

---

(١) من العدد ٨١١ إلى العدد ٨٢٢ (١٣٠٨ هـ / ١٨٩١ م).
(٢) الأعداد: ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٣٤٠ (١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢م)
(٣) ١٦١٧ (٦ جمادي الأولى ١٣٢٥ / ١٧ حزيران ٩٠٧) ص ٢ و٣.
(٤) ١٦٣١ (١٥ شعبان ١٣٢٥ / ٢٣ أيلول ٩٠٧) ص ٥ و٦.

وهكذا في كل المواضيع الفلسفية تظهر المواقف الإسلامية في جميع المستجدات العصرية والأفكار المغايرة للدين فتجابهها متسلحة بسلاح الشرع الإسلامي.

ونشرت الجريدة في السنة الأخيرة موضوعاً لـ «محمد جميل بيهم» في سلسلة مقالات بعنوان «لطائف الكون» حيث دعا فيه للتفكر في خلق الله في الكائنات وطرق حياتهم. ومما قاله:

«إذا نظر الإنسان إلى هذه الكائنات نظرة متفكر بصير يعلم أن الباري، تعالى لم يخلق شيئاً عبثاً، ولم يوجد في الكون إلا ما هو من الضروريات لمتمماته..»[1]

وتتصف المقالات الفلسفية في الجريدة بأنها كانت في غالبيتها تعالج مواضيع العصر وما يرافقه من مجادلات فكرية طارئة على الدين الإسلامي، فتبين رأي الدين في ذلك، وتظهر للجميع أن الدين الإسلامي لا يتعارض مع الفلسفة.

ويمكننا أن نسجل للجريدة الفضل في ربط العالم الإسلامي ببعضه من طريق نشرها لأخبار المسلمين وأحوالهم وما يحاولون القيام به من جمعيات وعمران تفيد المسلمين في بلادهم، فعملت بذلك على خدمة الجامعة الإسلامية، وتنبيه المسلمين لمصالحهم العامة، التي لا تتوقف على فرد بعينه ولا على جماعة بعينها، بل المسؤولية مطلوبة من المجموع الإسلامي ككل، بل من الأمة الإسلامية في أي منطقة كان فيها المسلم. على أن الجريدة لم تهتم بالقضايا الدينية كثيراً كفقه وعبادات واستعاضت عن ذلك بعرض المشاكل الاجتماعية للمسلمين، لأن هدفها خدمة مصالح المسلمين بالدرجة الأولى وليس بالدعوة لاعتاق الإسلام، فتركت مسؤولية ذلك لرجال الدين، لأن الخطر يحدق بالإسلام من حيث هو دين لمجموعة كبيرة من الناس.

وهي إن أقلت من المواضيع إلا أنها لم تخل بقيمتها وبميزتها التي اتسمت بها الجريدة من حيث كونها تعكس الفكر الإسلامي. وهذا ما لاحظناه في المواضيع الفكرية الإسلامية، حيث عالجت المواضيع العصرية المطروحة وكانت تقف في مواجهة المسائل الفكرية ولم تحاول التهرب منها، بل خاضت فيها للوصول إلى نتيجة ترضي الدين الإسلامي.

٨ - الإعلانات.

خصصت الجريدة في صفحاتها الأخيرة مكاناً للإعلانات، وكانت هذه الإعلانات متنوعة ضمنها دعايات لأدوية جديدة أو آلات حديثة.

---

(١) ١٦٥٣ (٦ صفر ١٣٢٥ / ٩ آذار ٩٠٨) ص ٦.

فمن ذلك مثلاً إعلان عن طباخ جديد فذكرت: «نعلم لحضرات الجمهور أنه ورد إلى محل طبارة وبلوز الكائن أول سوق البازركان قرب زاوية القصار طبابيخ من النحاس الأصفر»[1] كما أرفقت الإعلان بصورة لهذا الطباخ الجديد. أو إعلان عن أدوية جديدة من ذلك الإعلان عن الاودول في «أعداد كثيرة فتذكر: «الأودول هو أحسن دواء لوقاية الأسنان من الآلام كما شهدت به مشاهير الأطباء وجميع المختبرين»[2].

وهناك إعلان عن ساعات مستحدثة تمشي دائماً بدون تدوير وهي موجودة بمخزن عمر الداعوق المشهور بيع الكساتك والمجوهرات[3].

كما هناك إعلانات عن صدور كتاب جديد، أو عن مسرحية أو إعلان بأمر ما يخص الجريدة، كتأخير صدور أو تعيين وكلاء أو دعايات لأشخاص مثلاً.

«الدكتور كونيش (طبيب الماني) لجميع الأمراض . . . ومحله عند بوابة يعقوب بملك بشارة أفندي الصباغ»[4].

ونستطيع أن نلاحظ من خلال هذه الإعلانات الملامح الحضارية لذلك العصر من خلال الوسائل الاستهلاكية التي كان يستخدمها الناس، فنلمح التطور الكبير الذي حدث في الحياة الاجتماعية منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى وقتنا هذا. فكنا نسمع مثلا عن الطبابيخ النحاسية أما اليوم فنتكلم عن الأفران الكهربائية. وكذلك الأمر بالنسبة للساعات المستحدثة التي تمشي بدون تدوير، فإن الساعات الاتوماتيكية اليوم هي أمر طبيعي وليست أمرا غريبا.

ونستطيع أن نتلمس الصورة القديمة لبيروت من خلال الأماكن التي تذكر، مثلاً سوق البازركان، زاوية القصار، بوابة يعقوب. هذه الصورة للمجتمع البيروتي القديم قد اختفت معالمها في عصرنا هذا.

خامساً: مقالات القباني في ثمرات الفنون.

تدور مقالات القباني الافتتاحية في **ثمرات الفنون** حول محاور رئيسة تتعلّق بمفهوم الإصلاح وهي:

الإصلاح السياسي، والإصلاح الاجتماعي التربوي، والإصلاح الاقتصادي. وسوف نتناول كلا من هذه المحاور ونتحدث عنها مع بيان المميزات الرئيسة لفكر القباني.

---

(١)و(٢) العدد ١٢٠١ (٢٤ جمادي الأولى ١٣١٦ / ١٠ ت١ ١٨٩٨) ص ٨.

(٣) ١٣٦٣ (١٠ شوال ١٣١٩ / ١٩ ك٢ ١٩٠٢) ص ٨.

(٤) ١٤٣٠ (٢١ صفر ١٣٢١ / ٣٠ آذار ١٩٠٣) ص ٨.

أولاً - الإصلاح السياسي

يظهر لنا من خلال المقالات السياسية أن القباني ينطلق في تفكيره مثل جمال الدين الأفغاني، من قضية التدهور العام في الممالك الإسلامية، وبما أن ضغط المراقبة الصحافية كان شديداً، فلم يتح للقباني المجال لتقديم أي طرح سياسي منهجي أو تغيير إداري. ولم تكن لمقالاته السياسية البنية القوية لتكوّن نظرية سياسية متكاملة، وإنما جلّ ما قدّمه في هذه الناحية بعض الدعوات الإصلاحية المتأثرة بدعوة الأفغاني في الوحدة الإسلامية. بالإضافة إلى رفعه شعار الجامعة العثمانية وتوجهه المستمر لإصلاح إدارة المأمورين، فلقد وقف القباني في أكثر مقالاته السياسية للدفاع عن البلدان الإسلامية المهددة بخطر التوسع الأوروبي. وفي مقالاته رفضٌ وثورةٌ تَهيب بالمسلمين الدفاع عن أنفسهم، وتنم عما في نفس القباني من مشاعر كراهية للعدو المستعمر وولاء للدولة العثمانية. وهذا ما يظهر لنا جلياً في دعوته إلى الجامعة الإسلامية.

أ - الجامعة الإسلامية

أدرك دعاة الجامعة الإسلامية أنه يجب العمل الجدي للتخلص من النير الغربي، وذلك بالعمل على تدعيم الرابطة الكبرى وتثبيتها بين المسلمين من طريق الوحدة الإسلامية.

أما الوحدة الإسلامية، كما يعرفها شكيب أرسلان - بمعناها الشامل ومفهومها العام، فهي الشعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى، لا انفصام لها بين جميع المؤمنين في المعمور الإسلامي، وهذه الوحدة قائمة على ركنين أساسين هما: الحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة، والخلافة الإسلامية[1].

لذلك، كنا نجد القباني يهتم كثيراً بمشروع السكة الحجازية التي تصل البلاد الإسلامية ببعضها، كما كانت له آراؤه في الخلافة التي يعتبرها أساسا لربط العالم الإسلامي ببعضه.

وكان للقباني طريقته الخاصة لتدعيم الأفكار الهادفة للوحدة الإسلامية، ألا وهي الدعوة المستمرة على صفحات جريدة **ثمرات الفنون** لهذه الرابطة. وكان عمله هذا مستنداً على نداءات وتحذيرات من الاستعمار وما يؤول عنه من تقسيم للممالك الإسلامية والعثمانية.

ونلاحظ أن القباني يلتقي مع السيد جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩ - ١٨٩٧) في دعوته لهذه الوحدة، وفي أسلوبه المعتمد على حركة الإيقاظ بالدرجة الأولى. فلقد كان الأفغاني يعتقد أن بريطانيا هي من أخطر البلدان الأوروبية على المسلمين، وأنه لا بد من اتحاد عام وشامل بين المسلمين حتى يستطيعوا مجابهة كل الأخطار، ومن أقوال جمال الدين الأفغاني في رفض الاستعمار:

---

(١) لوثروب ستودارد، **حاضر العالم الإسلامي**، نقله إلى العربية الأستاذ عجاج نويهض بقلم الأمير شكيب أرسلان، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٧٣ م المجلد الأول ص ٢٨٧ وص ٢٨٩.

«أنرضى ونحن المؤمنون، وقد كانت لنا الكلمة العليا أن تضرب علينا الذلة والمسكنة، وأن يستبد في ديارنا وأموالنا من لا يذهب مذهبنا ولا يرد مشربنا ولا يخدم شريعتنا ولا يرقب فينا إلا ولا ذمة. بل أكبر همه أن يسوق علينا جيوش الفناء حتى يخلي منا أوطاننا ويستخلف فيها من بعدنا أبناء جلدته والجالية من أمته»[1].

ولقد كان الأفغاني يعتقد أن الدول الأوروبية لم تكن بالفطرة أقوى من الدول الإسلامية، وأن الفكرة السائدة عن تفوق انكلترا على غيرها لم تكن سوى وهم خطر. وإذا كانت انتصارات المسلمين قليلة وانهزاماتهم هي القاعدة، فذلك عائد إلى انقسام المسلمين وجهلهم[2]. لأن بريطانيا تتحين الفرص لتعمل على إلقاء النزاع بغية إحكام سيطرتها فيقول الأفغاني:

«فبريطانيا لا تفتر تحدث فتوقاً في البلاد، فتدخل من أضيقها فتوسعه وترقب أصغر حدث فتجسمه، وتعمل على شق عصا القوم وتقسيمهم أحزاباً وتكون نصير المتباغضين»[3].

ويدعو الأفغاني للرابطة الدينية حيث يكون الدين هو الجامع المشترك بين الجميع أيا كانت جنسيتهم فيقول:

«علمنا وعلم العقلاء أجمعون أن المسلمين لا يعرفون لهم جنسية إلا في دينهم واعتقادهم»[4].

«واعتصموا بحبال الرابطة الدينية التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها التركي بالعربي والفارسي بالهندي والمصري بالمغربي وقامت مقام الرابطة النسبية»[5].

وسار القباني على خطى الأفغاني نفسها يحذر من بريطانيا عدوة الدولة العثمانية والمحرضة الأولى على الاستعمار، لأنها تتفنن في أساليب الخداع والمكر في سبيل الحصول على بغيتها، ومما قاله القباني:

«وقد عرفت الدولة البريطانية بالأنانية وحب الذات والآثرة، وهي مع ذلك إذا رأت من خصمها قوة واقتداراً جنحت إلى السلم، وأظهرت ضروباً من المحاولات وأنواعاً من الاعتذارات وذلك مما يعجز عنه غيرها»[6].

ويطالب القباني بالتضامن والاتحاد بين المسلمين لدرء خطر المستعمر، لأن النفاق والتخاذل قد انتشر بينهم إلى درجة عظيمة، ولن يكون حلاً إلا باتحادهم وتضامنهم فيقول:

---

(١) **الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني**، تحقيق محمد عماره، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، لا ت، ص ٣٥٦.
(٢) البرت حوراني، **الفكر العربي في عصر النهضة**، ص ١٤٣.
(٣) **الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني**، ص ٤٦٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣٠٧.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣١٠.
(٦) العدد ١٠٩٩ (٥ جمادي الأولى ١٣١٤ / ١٢ ت١ ١٨٩٦ م).

«متى حصل الاتحاد والاتفاق بين أهل الإسلام لا يمكن أعظم مقتدري دول أوروبا التغلب عليهم لأن المسلمين مفطورون على الشجاعة والاقدام»[1].

وفي عدد آخر «إن قواعد ديننا وعبادتنا ترشدنا إلى لزوم الاتحاد والوفاق وفوائد ذلك لا ينكرها إلا مخبول العقل كما ينكر طعم الماء من سقم»[2].

أما قواعد هذا الارتباط فتكمن في التمسك بالشريعة المطهرة وبالخلافة الإسلامية.

١ - الخلافة الإسلامية:

كان للخلافة شأن تاريخي عظيم ولا سيما في أوائل عهدها، ثم أطفىء سراجها وانقلبت إلى صورة وهمية، بعد أن أنزل المغول الهلاك ببغداد، ثم ما برحت هكذا حتى جاء السلاطين الأتراك فاتخذوا لأنفسهم لقب الخلافة، فاعترف لهم العالم الإسلامي بهذه الخلافة الاسمية[3]. وحين تسلّم السلطان عبد الحميد الثاني العرش جعل سياسته تقوم على أساس الدعوة للجامعة الإسلامية، ولقد سارت معه هذه الدعوة سيراً متوالياً مدة تقرب من ثلاثين سنة، وأفلح في حمل أمراء المسلمين وقاداتهم على الاعتراف بسلطته الروحية، واستطاع أن ينشر الدعوة في سبيل الجامعة الإسلامية الكبرى في أوسع آفاقها، ويحي الشعور بالوحدة العامة والتضامن المستمسك بعضه ببعض في جميع الأمم الإسلامية إحياء نشيطاً. ولم يكن يساعده على ذلك كونه خليفة الإسلام فحسب، بل ما كان يبسطه ويبنيه من جميع ما تكنه وتظهره الدولة الغربية من أنواع العداء للمسلمين[4].

فقد كانت الدعوة للخلافة إحدى دعائم الجامعة الإسلامية. لذلك نجد القباني يركز على أهمية هذا المركز الإسلامي، لأنه اعتبر أن أي نوع من أنواع التضامن والرباط بين المسلمين لن يكون متيناً بدون الرجوع إلى مركز رئيسي واحد. فهو رغم اعتباره أن الأصلاح يكمن في «التمسك بالشريعة المطهرة»[5] والتضامن بين جميع الممالك الإسلامية، إلا أنه اعتبر أن الحكم السياسي الواحد المتمثل بالسلطان هو خير رباط للمسلمين، وأن قيام الخليفة واجب في الإسلام حتى تتحقق الأحكام، وتطبق الشريعة بوساطته فيقول:

«من المعلوم أن خمسة لا تصح للمسلمين إلا بالخليفة: الجمعة والحج والغزو واقامة الحدود، وفصل الأحكام»[6].

---

(١) ٧١٤ (٥ رجب ١٣٠٦ / ٨ ك١ ١٨٨٨).
(٢) ٧٨٨ (٢٨ شوال ١٣٠٧) ١٦ حزيران ١٨٩٠).
(٣) حاضر العالم الإسلامي، ص ٢٨٩.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣١٠.
(٥) ١١١٨ (٢٠ رمضان ١٣١٤ / ٢٣ نوار ١٨٩٨).
(٦) ٣٦٣ (١٢ صفر ١٢٩٩ / ٣ ك٢ ١٨٨١).

لذلك يرى أن غاية ما يريده المسلمون هو «الارتباط الديني مع مقام الخلافة الإسلامية الكبرى، وأن لا يتعرض لدينهم في شيء ما كلي أو جزئي وأن لا يتدخل في شؤونهم الذاتية»[1].

ولقد ظلت فكرة الارتباط بمقام الخلافة الإسلامية تتردد في مقالات القباني، خصوصاً في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر وما بعدها، فاعتبر أنه لا بد للمسلمين من إمام، وهذا الإمام قد تمثل في شخص السلطان الذي هو خليفة المسلمين وصاحب السلطة الدينية: «فالسلطان هو خليفة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وهو صاحب السلطة الدينية على نيف وثلاثماية مليون من المسلمين»[2]. وهو يعتبر أن المسلمين كالجسد الواحد، يتألم الجميع لآلام الآخرين. ووحدتهم هذه تجعلهم قوة واحدة ضد أعدائهم، مرتبطين جميعا بمركز الخلافة الإسلامية الكبرى فيقول:

«ولا يخفى أن الإسلام جسم واحد إذا اشتكى عضو تألم له الآخر وكلهم مرتبطون بمقام الخلافة الكبرى ارتباطاً دينياً محكماً لا تزعزعه أراجيف المرجفين»[3].

ونلاحظ أن القباني قد حدّد سلطة الخليفة التي يتمتع بها بالسلطة الدينية. وركز عليها أكثر من تركيزه على السلطة السياسية. ومع ذلك نجده دائم الدعاء للسلطان ودائم الذكر لمآثره وفضله على المسلمين. وفي جميع الأحوال لأن طاعته فرض عين على كل مسلم، ولم يتطرق القباني إلى قضية استبداد السلطان الحاكم، فهو يرى أن المسلمين ملتزمون بطاعة حاكمهم دائماً، بغض النظر إن كان قراره نابعا عن يقين صحيح، أم خوفاً من الرقابة. في حين نرى أن الأفغاني مثلاً اعتبر أن المسلمين غير ملزمين على كل حال بطاعة حاكمهم، مع يقينه أن الحاكم المستبد يستطيع إذا حسنت نواياه أن يحقق الكثير من الخير وبسرعة[4].

أما من الناحية الدينية، فإن سلطة السلطان فيها ثابتة عند الأفغاني وعند الشيخ محمد عبده، فلقد ذكر الأفغاني هذه السلطة الدينية التي يتمتع بها السلطان فقال:

«كنا على يقين ولا نزال عليه أن الذات الشاهانية هي الأب الأكبر لعموم المسلمين وهي الكافلة للشريعة الحافظة للدين»[5].

وكذلك رأى الإمام محمد عبده الرؤية نفسها في «سلطة الخليفة واعتبر أن المحافظة على الدولة العثمانية هي ثالثة العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله وهي الحافظة لسلطان الدين وليس للدين سلطان في سواها[6]. وأن من أراد أن يعارض الخلافة فهو عدو للدين وللمسلمين فيقول في الخلافة:

---

(١) ١٠٧٠ (٢٤ رمضان ١٣١٣ / ٩ آذار ١٨٩٦).
(٢) ١٠٩٩ (٥ جمادي الأولى ١٣١٤ / ١٢ ت١ ١٨٩٦).
(٣) ١١٢١ (١٩ شوال ١٣١٤ / ٢٢ آذار ١٨٩٧).
(٤) البرت حوراني، المصدر نفسه، ص ١٤٦.
(٥) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ص ٥٠٢.
(٦) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، تحقيق محمد عماره، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٢، ص ١١٣.

«إنما الخلافة حفاظ الإسلام ودعامة الايمان فخاذلها محادّ لله ورسوله، ومن حادّ الله ورسوله فأولئك هم الظالمون»[1].

في حين نظر محمد رشيد رضا (١٨٦٥ - ١٩٢٥) نظرة أخرى إلى الخلافة، فهو لم يدع إلى الخليفة كحاكم مطلق، لأنه لم يعتقد أن من الممكن إعادة توحيد جميع أجزاء الأمة في دولة واحدة. لكن رأيه في وظيفة الخليفة الجوهرية لا تقوم على الحكم بل على سنّ الشرائع والسهر على تطبيقها، وفي رأيه أن الخليفة يجب أن يكون المجتهد الأكبر والرجل المؤهل بذكائه وبمراسه وبمساعدة العلماء لتطبيق مبادىء الإسلام على حاجات العالم الجديدة. وكان من الممكن عنده القبول بالخلافة العثمانية على أنها «خلافة بالضرورة» مع أنها لم تكن خلافة أصلية. إذ كان العثمانيون يفتقرون إلى معرفة اللغة العربية التي يمكن بها التفكير في عقائد الإسلام وشرائعه[2].

٢ - السكة الحجازية.

ولكي تتحق الرابطة الإسلامية لا بد من خطوة عملية يقوم بها السلطان لجمع شمل هذه الأمة، لذلك فكّر في إنشاء خط السكة الحديدية الحجازية بين مكة المكرمة ودار الخلافة في الآستانة. فلقد كان السلطان عبد الحميد حريصا على توسيع نفوذه المعنوي في جميع الممالك الإسلامية خدمة للإسلام وتوصلاً لغاياته السياسية، لذلك قرر سنة ١٩٠٠ م مد خط حديدي يصل الشام بالحجاز ويسهل السفر على الحجاج ويأتي الدولة والولايات بالفوائد المادية والمعنوية. ولم تبدأ الحكومة العمل إلا بعد أن أعلنت عن عزمها على ذلك في جميع الأقطار الإسلامية مما هو داخل تحت سيطرتها أو خارج عنها. وأبانوا ما ينتج عن ذلك من التسهيل لرواد الحج واستمطرت أكف المسلمين تعضيدا لهذا المشروع الديني المحض. فتحقق أمل السلطان وبدأت الاكتابات ترد من البلدان الإسلامية. وقد افتتح هو نفسه هذه الاكتابات ب ٣٢٠ ألف ليرة عثمانية وتابعه في ذلك الملوك والأمراء المسلمون. ولم تنقطع الإعانات مدة إنشاء الخط، ما دلّ على سريان روح التضامن في الشعوب الإسلامية[3]. ولكي يتم القباني مسيرة أهدافه الإسلامية وخدمته لدعوة الجامعة الإسلامية، قام يدعو لسنوات عدة على منبر جريدة **ثمرات الفنون** ويستدعي حمية أبناء الوطن للمساعدة المالية في سبيل تحقيق هذا المشروع الإسلامي الكبير، خدمة للدين وللدولة والوطن، من طريق تحسين الاقتصاد الوطني، إذ إن هذا العمل يسهّل كثيراً على الحجاج، ويقصر المسافات بين البلدان العثمانية، ويربطها بمقر الخلافة الإسلامية، ولقد تألفت لجنة من وجهاء مدينة بيروت للسعي في الاكتتاب لتكون المدينة مبدأ الطريق المذكورة لخط مركزها التجاري والاقتصادي. وكان القباني من هذه اللجنة ونال

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١٤.

(٢) البرت حوراني، المصدر نفسه، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٣) محمد كرد علي، **خطط الشام**، مطابع دار العلم، بيروت ١٩٧٢، الطبعة الثانية الجزء الخامس ص ١٧٠ - ١٧١.

على خدمته لهذا المشروع مدالية السكة الحجازية وذلك وفاء لما قدمه من خدمات عملية، وخطابية من طريق الجريدة، وكان من شأن هذه السكة اتساع العمران والأراضي الكائنة بين البلاد الشامية والحجاز وإدخال المدن التي تمر فيها في سعة من العيش.

ب - الجامعة العثمانية.

لم يكتف القباني بالوحدة الإسلامية فقط لمجابهة الاستعمار، بل دعا أيضا الجميع للانضمام تحت لواء الدولة العثمانية، حيث يشكلون أمة عثمانية واحدة، ولئن كانت الفكرة الإسلامية تهدف إلى رابطة واحدة هي الدين، فان الفكرة العثمانية تهدف إلى قومية سياسية واحدة هي «العثمانية». وكان الفرد في ضوء هذه الفكرة عثمانياً مهما كانت قوميته أو دينه، فهي فوق القوميات وفوق الدين وضمت داخل إطارها السياسي مختلف القوميات والأديان الموجودة ضمن الامبراطورية وفق نظام سياسي وأحد يخضع لسيطرة السلطان والدولة.

ولقد كان القباني عثماني السياسة متعصباً لعثمانيته أكثر من سواه من رجال الإصلاح آنذاك، فلقد رأى أن الوحدة الإسلامية لم تكن كافية بمفردها، إذ إن الامبراطورية العثمانية تضم عناصر غير مسلمة. فالاقتصار على الدعوة الإسلامية وحدها لا يكفي. وخاصة أن بذور الشقاق كانت تزرع من قبل الدول الأجنبية. لذلك توجه القباني إلى دعوة أخرى شاملة هي «الجامعة العثمانية» التي يمكن أن تضم جميع البلاد التابعة للدولة من عرب وأتراك ومن مسلمين ومسيحيين. فهذه هي القومية الوحيدة المقبولة والتي يمكن اعتمادها للحفاظ على الأمن والسلام في البلاد كافة.

ولقد سادت البلاد منذ منتصف القرن التاسع عشر بعض الحركات التي تدعو للقومية العربية وإن كانت على صعيد سري، إلا أن القباني لم يكن يرضى عن القومية العثمانية بديلاً، لأن من شأن هذه الحركة أن تثير بلبلة وفسادا وتعمل على زيادة الشرخ الكبير بين الدولة وولاياتها. وهو الذي عمل طوال حياته للمحافظة على الدولة والولاء لها.

فهو رغم عروبته الأصلية التي لم يفرط بها، يرفض مبدأ الاستقلال والتخلي عن سلطة الدولة العثمانية الإسلامية. وحين تأسست حركة بيروت الإصلاحية ١٩١٣ م نجده عضوا من الأعضاء المنتخبين للهيئة بغية التوصل إلى إصلاح بغير سلطة الاستبداد، ولا ينفصل عن الدولة الجامعة. ويتضح موقف القباني أكثر في مقال له يعرض فيه رأيه بجريدة **الاتحاد العربي** في سنة ١٨٨٢ م، يطالب فيها القباني لويس الصابونجي، أن يقدم ما فيه منفعة لعموم المسلمين، والمحافظة على حقوق السلطان. فحين يفعل ذلك تكون جريدته قد خدمت فعلاً الفكر العربي العام، لأن أمة العرب أجلّ من أن تخدعها الأوهام والتمويهات. ويستدل على رأيه بالآية الكريمة التالية: «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا». ويفسرها بالشمولية الإسلامية فإن أمر الله بالاعتصام موجه إلى كل مسلم مهما كانت جنسيته وليس إلى كل عربي[1].

---

(١) ٣٨٣ (١٢ رجب ١٢٩٩ / ٢٥ أيار ١٨٨٢).

فالقباني يرفض العروبة من غير وجهة الدين، لأن الدين لم يفرق بين القوميات بل دعا الجميع للاعتصام بحبل الله. فلا مجال إذاً لإثارة النعرات وإقامة شعار الجنسية والقومية.

كذلك فان القباني لم يغيّر في سياسته رغم ظهور الدعوات القومية في عام ١٩٠٨ م. إلا أنه أعلن عن ظهور جمعية «الاخاء العربي العثماني» فأخذت تظهر على صفحات الجريدة لفظة العرب لأول مرة بالصفة القومية. لكن ذلك لم يكن له أي مدلول على اتجاه قومي عربي عند القباني، بل نلاحظ بوادر خط توافقي ظهر عنده خاصة حين قال:

«إن العرب والترك وما ينطوي ضمنهما من الأقوام والملل والنحل قد أضحوا جميعهم بحكم القانون الأساسي مرتبطين برباط الاتحاد»[١].

ولقد بذل القباني جهده للتوكيد على الروابط العديدة التي تربط بين التركي والعربي، وأهمها الروابط الدينية والهوية العثمانية. وكان القباني يريد إبراز تلك الصلات لتأكيد العلاقة مع الدولة، ولتجنب التهم وإثارة النزاعات القومية التي كانت تزحف بسرعة على أفكار كثير من الناس مسلمين ومسيحيين في هذه البلاد. وذلك قبل أن تتحول «جمعية الاتحاد والترقي» عن سياستها الظاهرة المعنونة بالحرية والعدالة والمساواة إلى سياستها الباطنة الأخرى التي تهدف إلى تتريك البلاد التابعة للدولة العثمانية.

وفي المقال الذي كتبه القباني يظهر فيه فضل الدولة التركية على الأمة الإسلامية ومحافظتها على الدين الإسلامي والروابط مع العرب، ويرى أن كل من خرج عن هذه السياسة عربياً أو تركياً يعتبر جاحداً للجامعة العثمانية ويعتبر دخيلاً ومنافقاً فيقول القباني:

«نقصد بالترك أولئك القوم الكرام الأشداء الرحماء الذين يشكلون السلطنة العثمانية الذين جمعوا شمل الأمة الإسلامية... ولقد سار الترك والعرب زمنا طويلا جنبا إلى جنب، وكان للعرب أمراء وحكام وقواد، إلا أن الترك حافظوا على العلوم الدينية محافظتهم على سائر العلوم العصرية... التركي الأصيل يعظم أبناء العرب ويحترمهم، والترك الصرف يتبركون بكل متعمم من أبناء العرب لذلك إذا وجد من يمس بكرامة العرب ممن يتكلم التركية ويكتب عنها فاعلم أنه دخيل منافق... وكذلك إذا وجد من يمس هذه الجامعة العثمانية المعظمة ممن يتكلم العربية ويكتب بها فهو دخيل أيضاً»[٢].

وفي هذا المقال يتضح اتجاه القباني السياسي، حيث أراد الإصلاح من طريق توجيه الرأي العام نحو خط سياسي واحد يجمعهم مع الدولة العثمانية وتختفي معه النزعات القومية الداخلية، فلكل عروبته الخاصة به، ولكل تركيته الخاصة به أما الجميع فهم عثمانيون. فهذه القومية الوحيدة المقبولة، فالقباني لم

---

(١) ١٦٨٠ (١ شعبان ١٣٢٦ / ٤ أيلول ١٩٠٨) ص ٦.
(٢) ١٦٨٤ (١٧ رمضان ١٣٢٦ هـ / ١٢ ت١ ١٩٠٨) ص ١ .

ينادِ بالعروبة ولم يناد بالترك، وإنما اقتفى خطاً سياسياً توافقياً بين العرب والترك الذين كان لهم الفضل في جمع شمل الأمة الإسلامية وذلك بعد طردهم للمماليك، وانتشال المسلمين من مرحلة الانحطاط والذل التي مروا بها في تلك الفترة، إذ استرجع الاتراك الأمر وكان لهم الفضل في اعزاز المسلمين بعد أن أذلهم هولاكو من سنة ١٢٥٨ م إلى ١٥١٧ م. فالترك حين أخذوا السلطة لم ينتزعوها من العرب وانما من المماليك. ولقد حمت الدولة العثمانية العالم الإسلامي خلال أربعة قرون من الخطر الأوروبي الذي كان يتهددها. إذ ما كادت الدولة العثمانية تدخل في مرحلة الضعف في القرن التاسع عشر حتى بدأت الدول الأوروبية وخاصة فرنسا وبريطانيا تنفذ عملياً مطامعها ومشاريعها الاستعمارية، لذلك نرى القباني انطلاقا من الخطر الأقوى المداهم للممالك الإسلامية والعربية، لم يجد سوى الدولة العثمانية هي القادرة على حماية الممالك والتمسك بها. ما دامت دولة إسلامية.

ولكي تستكمل الدعوة العثمانية نظامها، لا بد من هوية واحدة يشترك فيها جميع المواطنين الذين يعيشون تحت ظل الدولة، لذلك فلقد أطلق السلطان عبد الحميد اسم «عثماني» على أفراد التبعة العثمانية، فكان موقف القباني من الشاكرين لهذه المنحة التي أعطاها السلطان فقال:

«فحضرة السلطان تفضل بأحسن تدبير لجمع الوحدة القومية وذلك باطلاق اسم العثماني الجليل على كل من تظله راية الدولة العلية، وتمتع بالعدالة السنية تأليفاً لجموعهم المتفرقة وتعزيزهم. ولقد شكرنا وشكر كل عاقل منصف قريب وبعيد هذا التدبير السديد الموجب لنجاح الوطن ورفع شأن جميع أفراده»[١].

وبعد استكمال الهوية الواحدة، لا بد من نشر لغة رسمية واحدة، لذلك أمر السلطان بتعميم اللغة التركية في جميع المدارس، ورأى القباني أن هذا الأمر من المآثر المشكورة للسلطان لما فيه من فوائد مادية ومعنوية يتمتع بها جميع المواطنين في الأمبراطورية العثمانية، بحيث تجمعهم دولة واحدة ولغة واحدة رسمية يتداولون بها في جميع أمورهم فيقول القباني:

«ولما كان اللسان العثماني هو اللسان الرسمي في كل أنحاء البلاد المحروسة فكان تعميمه فيها باعثاً لا ريب للفوائد المادية والمعنوية والأدبية فضلاً عن الفوائد التجارية التي يتمتع بخيراتها وبركاتها أبناء الوطن»[٢].

ونلاحظ أن الشيخ محمد عبده، قد ذكر أهمية اللغة التركية الرسمية في البلاد التي تجمع بين سائر الممالك العثمانية، ضمن وحدة سياسية وفي ظل دولة واحدة بالإضافة إلى الفائدة العلمية التي تنتج من تعلم هذه اللغة بالاطلاع على معارف الأفاضل والعلماء الذين تكلموا بها فيقول الإمام:

---

(١) ١٠٠٥ (٢١ جمادي الأولى ١٣١٢ / ١٩ ت٢ ١٨٩٤).
(٢) ١٠٠٥ (٢١ جمادي الأولى ١٣١٢ / ١٩ ت٢ ١٨٩٤).

«إنه لا يتيسر لنا العلم إلا بتعلم لغتين اللغة التركية لأنها لغة دولة قامت بشأن الممالك الإسلامية ما يقرب من سبعة قرون، وقد تكلم فيها من الأفاضل والعلماء جم غفير، نحن في حاجة إلى الاستفادة من معارفهم ثم هي اللغة الرسمية في الممالك العثمانية فيها حياتنا السياسية وبها نقف على هدى مولانا الخليفة الأعظم أيده الله بنصره.. واللغة العربية وهي لغة القرآن الشريف..»[1].

وهكذا كان الاهتمام بتعلم اللغة التركية وتعميمها من متممات الدعوة للجامعة العثمانية، بحيث تكون اللغة الرسمية في الامبراطورية العثمانية. كما أن أي دولة حاكمة لا بد أن تفرض لغتها على ولاياتها ليتم التفاهم مع الشعوب التابعة لها وتتوثق الصلة فيما بينهم.

ويتبين لنا أن الفكرة العثمانية ارتبطت بركنين أساسيين هما الهوية العثمانية واللغة العثمانية الرسمية، وبهذا تتحقق الوحدة السياسية للامبراطورية. ولقد شكلت هذه الفكرة دعامة قوية للدولة لأن مصيرها كان مرتبطاً بمصير الأمبراطورية العثمانية. فما إن تفككت الدولة حتى انهارت معها الفكرة العثمانية ولم تعد تمثل شيئاً، خصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ م.

ج - الإصلاح الإداري

عبّر القباني في المقالات السياسية عن طرح سياسي للإصلاح يكمن في تحسين إدارة المأمور الذي يجب عليه أن يكون مستقيماً وأميناً، وأن يكون من ذوي الكفاءة، وأن يحكم العدل في إجراء الحقوق والواجبات، وأن لا يفرض الضرائب الباهظة على صغار الفلاحين. ودعا إلى حرية المواطن في القول والعمل ما لم تخالف تلك الحرية القوانين الشرعية، كما دعا الدولة للقيام بواجباتها نحو هذا المواطن.

وغض القباني النظر عن قضية استبداد هذا السلطان الحاكم وطريقة المسلمين في التعامل معه، لكنه لم يغض النظر عن استبداد المأمورين الذين هم الحكام المحليون، وطالبهم بإجراء الإصلاحات، كما رفض ظلمهم واستبدادهم بالشعب، واعتبر أن قول الحق فيهم حين يحيدون عن الشرع هو من واجب المسلم لأن الشريعة الإسلامية ترفض الظلم، وتعاقب الظالمين. إلا أن حرية القباني في الكتابة كانت مقيدة، لذلك لم يتح له الكتابة بصراحة ووضوح عن نظريته الإصلاحية في هذه الأمور، وتركزت مقالاته الانتقادية للمأمورين في السنوات التالية: ١٨٧٨، ١٨٧٩، ١٨٨٠، ١٨٨١، ١٩٠٨. وفي السنوات الأخيرة أخذت الجريدة تشعر بنوع من الحرية وخصوصاً في السنة ١٩٠٨ م بعد الانقلاب على السلطان وإعادة العمل بالدستور.

وإننا نجد أحياناً في بعض مقالات القباني تحليلاً للمشكلة السياسية، فهناك مجموعة مقالات تعالج قضية ظلم للمأمورين واستبدادهم، وترى أن الإصلاح يكمن في استئصال هؤلاء المفسدين فهم أصل كل

---

(١) الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، ص ١١٤.

شر في الدولة لأنهم لا يقيمون الحقوق ولا يرحمون الضعفاء، فيجب على المأمور أن يكون مستقيماً حتى تستقيم أحوال المجتمع والدولة. لأنه المسؤول المباشر لديها، وعليه الأمر والنهي، فإذا كان مستبداً لا يرحم المواطن بل يحمّله فوق طاقته، فإنه يجعل المواطن يلجأ إلى القيام بأمور تنافي القانون.

لذلك، يطالب القباني بإصلاح أحوال المأمورين، وذلك بتولية المأمور الذي يصلح للأمر والنهي، وخاصة بعد أن كثرت مطالب الدول الأوروبية بإجراء الإصلاح في الولايات بينما تنظر الدولة إلى الأمر الأساسي والأولي الذي يجب فعله فيقول القباني:

«الدول تطالب بالإصلاح والأمور سهلة العلاج، غير أننا نتكاسل ولا نعتني بما يستأصل ذلك من أصله. ونغض النظر عن المأمورين الذين هم سبب كل شر وأصل كل فساد، بارتكاباتهم الفظيعة وأعمالهم المغايرة، واستبدادهم بظلم العباد، وتأخير إقامة حقوق المظلومين فضلاً عن تضييعها وإهانة أصحابها[1].

فهؤلاء المأمورون المستبدون هم السبب في تأخير البلاد وابتعادها عن التقدم المطلوب، إذ لا يراعون مصالحهم وخصوصياتهم، كما يقول القباني:

«قد أصبحت حالنا شر حال وآلنا أقبح مآل، ووصلنا إلى ما أقصانا عن التقدم أمام خطوة واحدة بما هو حاصل الآن من الارتباك والوهن من جور الاستبداد ومراعاة الخصوصي»[2].

فالمشكلة الأساسية في نظر القباني، هي إصلاح المأمورين لأن الفساد يكمن فيهم. فان الظلم يسبب الفساد، ومراعاة الخصوصيات تسبب الوهن والضعف في الدولة، لذلك يعرض حلولاً لهذه المشاكل تكمن في تولية ذوي الكفاءة ومراعاة الحقوق المتساوية وعدم زيادة الضرائب والحاصل لديه «إن إصلاح المأمورين هو حقيقة الإصلاح والا فلا ينبغي أن نتكلم بهذه المادة»[3].

ولقد نذر القباني نفسه لخدمة الناس والمدافعة عن حقوقهم، فهو لا يتأخر عن نصرة المظلومين من السكان الذين يعانون من الاستبداد فيذكر ذلك في جريدته بحرية وبدون خوف من معاقبة الحكام، فيشكو من الإهمال والشره في وضع الضرائب والتمويه بالإصلاح مع إثقال المواطن بالضرائب، ما يزيد البلاد بلاء ويؤخرها عن التقدم[4].

لذلك وجب التخلص من هذه الضائقة فيقول:

«الاهمال هو مادة تحول دون نجاح الآمال.. ومن ذلك ترك ما هو ألزم إلى التزام ما ليس يلزم، والشره في وضع الضرائب بما يحمل على زيادة النوائب وتسمية ما هو غاية بالافساد إصلاحاً»[5].

---

(١) ١٩٢ (٢٤ شوال ١٢٩٥) ٢١ ت١ ١٨٧٨).
(٢) ١٤٢ (١١ محرم ١٢٩٥ / ١٧ ك٢ ١٨٧٨).
(٣) ١٩٢ (٢٤ شوال ١٢٩٥ / ٢١ ت١ ١٨٧٨).
(٤) ٢٨٢ (١٥ جمادي الثانية ١٢٩٧ / ٢٤ أيار ١٨٨٠).
(٥) ٢٨٢ (١٥ جمادي الثانية ١٢٩٧ / ٢٤ أيار ١٨٨٠).

ويرى أن إرادة الإصلاح تكمن في مراعاة الحقوق والواجبات، والمحافظة عليها، فإنه لا سبيل لإصلاح أحوال الدولة إذا لم تطبق الأحكام على وجهها الصحيح، وإذا لم تراع المصالح العمومية دون الشخصية، وبذلك يتم التكافل في المجتمع ويكون عمل الجميع للمصلحة الجماعية فيقول القباني:

«يجب العدل في الأقوال والأفعال، والاتفاق على تقديم الأهم على المهم، وتفضيل المصلحة العامة على الخاصة، وعمل الواحد للكل بدون العكس، وأن يرحم القوي الضعيف، وينتصف للمظلوم من الظالم»[1].

ومن حقوق المواطن على الدولة أن ينال شيئاً من الحرية ضمن دائرة الشريعة والقانون، فيرى القباني ضرورة إقامة العدالة بين الرئيس والمرؤوس، وإجراء الأحكام بالتساوي بين الجميع؛ وبدون تميز. لأن للمواطن حق الحرية بالتكلم والكتابة في وطنه. ولا بد من مراعاة حقوق هذا المواطن، لأن الإنسان المقيد الحرية لا يستطيع أن يقدم شيئاً لوطنه، لذلك فإن من حقوق المواطن على دولته كما يرى القباني تكمن في ما يلي:

«أن لا ينفى المرء من وطنه، ولا يعاقب إلا بحكم مطابق لأصول المملكة، وأن لا يكتم الإنسان رأيه في ما يفوه به، أو يكتبه ما لم يخرج عن دائرة الشريعة والقانون. فان للمواطن حدود لا يجب أن يتعداها، ولكن له حقوق لا يجب أن يحرم منها فإذا حرم من هذه الحقوق يعتبر ظلماً له، لذلك يتابع القباني فيقول:

«إن التضيق في ما يجوز فعله بدون وجه عادل، يعد حرماناً للحقوق المتساوية بين الرئيس والمرؤوس، والشريف والمشروف عليه»[2].

ولا ينسى القباني واجبات الدولة نحو هذا المواطن الذي له حقوق عليها، فالمطلوب من الدولة التي تحكم البلاد أن تدافع عنها وتحمي المواطنين وتنظر في ما يؤلف بينهم ويجعلهم عصبة واحدة، فكما هناك واجبات على المواطن فإن على الدولة أيضا واجبات تجاهه، لذلك نجد القباني يقول:

«أما المملكة فعليها مدار جمع شمل الجميع وهي القطب الذي يقوم عليه انتظام أعمال وأحوال الأفراد المذكورة من الذود عنهم وحمايتهم والنظر فيما يربط العلائق الداخلية بين الأفراد حتى يكونوا عصبة واحدة»[3].

ونلاحظ أن القباني يعرض المشكلة السياسية أكثر مما يسهم في حلها، فهو حين يقول بمبدأ العدل والمساواة باعتبارهما أساساً لمنع الظلم لم يحدد الطرق الكفيلة بتحقيق ذلك، فنحن نجده في أكثر الأحيان محذراً موقظاً أكثر مما نجده باحثاً سياسياً. فهو وإن كان قد استطاع تحقيق الترابط والانسجام بين آرائه في مفهومه للبنية السياسية، إلا أنه لم يعطنا مذهباً سياسياً متكاملاً، فهو يرى أن البنية السياسية تقوم على أساس

---

(١) ٢٨٦ (١٤ رجب ١٢٩٧ / ٢١ حزيران ١٨٨٠).

(٢) ٢٨٤ (٣٠ جمادي الثانية ١٢٩٧ / ٧ حزيران ١٨٨٠).

(٣) ٣٣٣ (٢ رجب ١٢٩٨ / ٣٠ أيار ١٨٨١).

التماسك والترابط في المجتمع بفرض هوية واحدة هي الهوية العثمانية والتمسك بدين واحد يجمع بين سائر الممالك الإسلامية ويكون على رأسهم خليفة واحد. ورأى وجوب العدالة والمساواة في مبدأ الحكم فالرئيس يجب أن يراعي هذه العدالة في رئاسته وعلى المرؤوس أن يطيع حاكمه، وينفذ واجباته. أما المأمور فيجب أن يكون كفؤاً ومستقيماً، وبهذه الأسس يتحقق الإصلاح. وإذا كان الشيخ القباني قد وقف موقفاً تقليدياً في ترديد أفكار الوحدة الإسلامية والخلافة والفكرة العثمانية، ولم تحتو أفكاره شيئاً جديداً في هذه الأمور، لكن كان له الفضل في إشاعة هذه الأفكار في المجتمع، بحيث شكّل لها دعماً قوياً على الصعيد السياسي والإصلاحي.

ثانياً: الإصلاح الاجتماعي التربوي.

توجه اهتمام القباني وتفكيره إلى موضوع التربية والتعليم وكيفية إصلاحهما. تركزت مواضيعه المهتمة بالتربية والتعليم خصوصاً في السنوات التالية ١٨٧٥ ، ١٨٧٩ ١٨٨٠، ١٨٨١، ١٨٩١ ثم افتتح باباً خاصاً للتربية والتعليم سنة ١٨٩٨م، وهذا ليس بعيدا عنه، إذ إنه قد عمل مديراً للمعارف لمدة ست سنوات وكانت له اليد الطولى في تحسين المكاتب. فلقد قدم لوائح لمساعدة التعليم وتطويره في البلاد، وألّف كتاباً للأطفال سماه «كتاب الهجاء» ضمنه معظم آرائه التربوية والتعليمية. كما كان لاتصاله بالشيخ محمد عبده - حين كان في بيروت - تأثير في زيادة حماسه العلمي والتربوي، رغم أن القباني كان قد بدأ العمل في تأسيس جريدة ثمرات الفنون سنة ١٨٧٥، وفي تأسيس جمعية المقاصد ١٨٧٨ م قبل قدوم الشيخ محمد عبده إلى بيروت سنة ١٨٨٥ م.

ونظراً لكثرة المدارس الأجنبية والإرساليات التبشيرية في البلاد، واندفاع المسلمين بكثرة لإدخال أولادهم إلى هذه المدارس، أخذ القباني يحذر من هذا الخطر الفكري على عقول أولاد المسلمين، الذي من شأنه تعليم المبادىء الفاسدة وإبعادهم عن دينهم، وكان القباني كالطبيب الماهر يشخّص الداء ويصف الدواء فلا يكتفي بالتحذير، بل يدعو لإنشاء المدارس الإسلامية التي تقوم بمهمة تربية أبناء المسلمين التربية الصحيحة المطلوبة، وسد الطريق أمام المدارس الأجنبية وما تشكله من خطر على البلاد عامة. كما أن من شأن المدرسة أن تربي الأطفال وتعلمهم على المبادىء التي يوافق عليها الشرع، فيشكو من كثرة المدارس عند الطوائف غير المسلمة حيث يتخرج العديد من الشبان والشابات فينادي كالمستغيث قائلاً:

«فهل من كريم يجيب نداء هذا المستغيث، وأهل حمية يسعون في تحصيل الوسائل لإيجاد مدرسة ترفع عنا عار التأخر واهمال الواجب، ترضع أولادنا لبن المعارف ولبان المبادىء التي يوافق عليها شرعنا»[1].

---

(١) العدد ٣٣٦ (٢٣ رجب ١٢٩٨ / ٢٠ حزيران ١٨٨١ م).

ثم يحض الأغنياء بهذا النداء لأنهم أقدر على المساعدة في هذا السبيل فيقول متابعاً «هذا نداء آمل يرجو الاجابة يستلفت إلى هذا المشروع نظر الأغنياء والفضلاء والنبهاء فلا تجعلوا الجواب رجع الصدى»[1].

ولم يرض القباني أن تكون فئة من أبناء الوطن متفوقة على أخرى، لأن الجميع أبناء وطن واحد، فهم كالجسم الواحد. لذلك يجب أن يكون هذا الجسم متحلياً بزينة واحدة متساوية في القيمة، لا أن تكون متفاوتة. فلذلك هو يدعو للاقتداء بالغير من أبناء الوطن الذين سبقوا لنيل المعارف وفتح المدارس فيقول:

«فهل يليق أن تكون أعضاء ذلك الجسم مزيناً بمحاسن الصفات والبعض الآخر مزملا بخرق مختلفة، بل من الضروري لزوم ملايمة حلية جميع الأعضاء والاجتهاد لتحسين هيأة جميع الجسم. ولا يخفى أنه لا يحصل ذلك إلا بالتفقد لاتمام اللوازم الضرورية وغيرها لتحصيل الملايمة. وهذه اللوازم هي تحسين حالة المدارس وإيصالها إلى حالة الكمال»[2].

وتلتقي هذه الدعوة لافتتاح المكاتب والمدارس أسوة بالغير من أبناء الوطن، مع دعوة الشيخ محمد عبده، الذي دعا أيضاً الأغنياء لافتتاح المدارس لتتم بذلك رتبة المساواة مع أبناء البلاد فيقول:

«إن على الأغنياء منا الذين يخافون من تغلب الغير عليهم وتطاول الأيدي الظالمة إليهم أكثر من الفقراء، أن يتألفوا ويتحدوا ويبذلوا من أموالهم في سبيل افتتاح المدارس والمكاتب واتساع دوائر التعليم حتى تعم التربية.. فيوجد من أبناء البلاد من يضارع بني غيرها من الأمم فتكون عند ذلك معهم في رتبة المساواة لهم ما لنا وعليهم ما علينا»[3].

فلذلك، يجب أن تشترك جميع أجزاء الوطن في خدمته بحسب الطاقة وإلا صار الذنب مشتركاً، لأن محبة الوطن تربط جميع أجزائه وتجعلهم جزءاً واحداً. وبإصلاح التربية تصلح أحوال المتجمع. وذلك حين تكون كلها في الاتجاه التربوي نفسه نحو محبة الوطن فيقول:

«إن العقول البشرية متى رسخت فيها الواجبات الوطنية منذ نعومة الأظفار وبلغت ما يناسبها من المعارف، تغلبت على كل شيء يقاوم ما رسخ. وقد قيل من شبّ على شيء شاب عليه»[4].

وأهم شيء في سبيل التقدم والإصلاح في رأي القباني هو العلم، فحين يتم التعليم بشكله الجدي والصحيح فإن البلاد سوف تسير على مسار التقدم ولا شك. فبالعلم يستطيع المرء أن يخدم وطنه ويفهم واجباته وحقوقه وتزول أسباب التأخر عنه فيقول:

---

(١) العدد نفسه.

(٢) العدد ٢٦٥ (١٤ صفر ١٢٩٧) ٢٦ ك٢ ١٨٨٠).

(٣) الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، ص ١٥٥.

(٤) العدد ٢٨٤ (٣٠ جمادي الثانية ١٢٩٧) ٧ حزيران ١٨٨٠).

«وبقوة العلم والمعرفة تزول تلك الأسباب، ويتولد معرفة الواجبات التي لها والتي عليها»[1].

كما يلوم القباني الأهالي على تقصيرهم في واجباتهم الوطنية، وهذا التقصير منشؤه عدم العلم والمعرفة بواجباتهم كما يذكر:

«إن جهل الأهالي وعدم معرفتهم بواجباتهم يقضي بتأخير البلاد وسبب ذلك عدم انتشار المعارف»[2].

وكما يقول في مكان آخر:

«فانه لا شيء أفضل من العلم بفروعه، والذي من ثمراته العمران ونجاح الزراعة والتجارة وازدياد الثروة العمومية»[3].

فيظهر لنا القباني منهجياً في دعوته التربوية، فهو يدعو لافتتاح المدارس حتى تعم التربية في سائر البلاد وتتهذب بوساطتها الأخلاق وتنمو المدارك فيعرف كل فرد حقه وواجبه نحو وطنه، فيساعد وطنه على تحسين اقتصاده، وزيادة ثروته العمومية، وبذلك يرقى الوطن. لذلك نراه في مرحلة أخرى يدعو إلى تأليف الندوات العلمية حتى يتم تعميم المعرفة وتوضع العلاجات الناجعة لأمراض الجهل السارية في المجتمع، ومن ذلك يقول:

«دعونا لتأليف الندوات العلمية، ونعيد ذلك بالصوت بما هو أجهر: يا قوم لا بد لكم من ندوات علمية تمخض فيها الارادة في العلم وتقوى فيها السواعد»[4].

أما المنهج التربوي عند القباني، فكان منهجاً تجديدياً فدعا للتوسع في كل ما من شأنه أن يوحد التربية بجعلها تربية موحدة قائمة على احترام المبادى العثمانية وإلى تحسين وتعديل طرق التعليم في المكاتب حتى ينشأ الجميع على المستوى التعليمي نفسه والأهداف التربوية نفسها:

«إن مقصدنا الوحيد أن وطننا العزيز يستلزم أن يكون جميع أبناءه عثمانيين بمشرب واحد، وأفكار ملائمة لخدمة مصلحة وطنهم المحبوب بالعمومية التي ضمنها سعادة كل فرد بين أفراد الوطن. لذلك نقول بلزوم تعديل طرق التعليم في المكاتب بصورة توافق احتياجاتنا الملية والوطنية..»[5].

أما الوسيلة التي يجب اتباعها لتوحيد التربية، فهي اعتماد منهج تربوي واحد في دراسة المقررات التعليمية الواجب تدريسها للتلميذ، فعلى تلك المدارس أن تعلم اللغات العربية والتركية والأجنبية، وعليها أن تضع برنامجاً واحداً لتدريس التاريخ والجغرافية، مما يفيد الأبناء علماً وثقافة فيقول:

---

(١) ٧٥٥ (٣ ربيع الأول ١٣٠٧ / ٢٨ ت١ ١٨٨٩).
(٢) ٢٦٠ (٩ محرم ١٢٩٧ / ٢٢ ك١ ١٨٧٩).
(٣) ٢٢٢ (٩ ربيع الثاني ١٢٩٦ / ٢١ آذار ١٨٧٩).
(٤) ١٢٣٢ (١٩ محرم ١٣١٧ / ٢٩ أيار ١٨٩٩).
(٥) ٨١٥ (١٧ جمادي الأولى ١٣٠٨ / ٢٩ ك١ ١٨٩٠).

«يا حبذا لو صُرف الاهتمام بالدرجة الأولى في المكاتب العثمانية بتعلم اللغة العثمانية واللغة العربية والتاريخ والجغرافية العثمانية، ولا نقول باهمال تعليم اللغات الأجنبية، لأن تعلمها من الأمور المهمة، بل نقول أنه لا يلزم أن نشغل أولادنا بتعلمها قبل أن يتعلموا لغتهم الرسمية ولغتهم الدينية وتقليدات وطنهم الملية»[1].

ولقد حرص القباني على تعلم اللغة التركية الرسمية الجامعة لسائر البلاد المنضوية تحت لوائها، كما حرص على الاهتمام باللغة العربية التي هي لغة الدين الجامعة لسائر المسلمين في جميع الممالك العثمانية. إلا أن تعلم اللغة التركية لا يغني عن العربية والاهتمام بها. فلقد اهتم القباني في مقالات عديدة بضرورة تعلم اللغة العربية، ورفض أن يكون تعلم اللغة العربية باللسان التركي كما يفعل في بعض المدارس لأن ذلك يسيء إلى العربية، فيقول آسفاً لهذه الطريقة في التعليم:

«نعم لقد فتحت بعض المكاتب الرسمية في دمشق وبيروت والقدس الشريف ولكن للأسف كان تعليم العربية فيه باللسان التركي»[2].

كما قام القباني بمهمة الدعوة لترقي المعارف خدمة لأبناء الوطن، فأعلن عن استعداد الجريدة لنشر كل ما يتعلق في هذا الموضوع لتكون فائدته عمومية. فحث أصحاب الأقلام أن يكتبوا في المواضيع التي تفيد التربية والتعليم معلناً ما يلي:

«ونعلن استعداد الثمرات لخدمة كل من يهمه ترقي المعارف وخدمة وطنه باخلاص، فنرجو من أصحاب الأقلام أن يراسلونا بما يقتضي الحال في هذا الخصوص مع إظهار أفكارهم النيّرة»[3].

وكان القباني يقوم بنشر كل ما يتعلق بالتربية والتعليم، وأخبار المدارس واحتفالاتها، ومناهجها، وبدء افتتاحها. فكان للجريدة من خلال دعواته المساهمة الكبرى في افتتاح المدارس. بعد أن كانت البلاد تعيش في حالة من الجهالة ونقص في المدارس وضعف في طريقة التعليم وسوء في التربية فافتتحت إثر تلك الدعوات بعض المدارس، وذكر القباني هذا التطور الذي حصل فقال:

«بيد أن هذه المكاتب لم يكن لها أثر في الولايات إلا بعد أن قامت ثمرات الفنون تندب حالة التعليم والتربية في الولايات»[4].

وبالفعل كان القباني أول من أطل على المسلمين من خلال جريدته بالدعوة للاهتمام بالتربية، والتعليم، وقام بنفسه بهذه المهمة، فكان أول رئيس لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت التي افتتحت أعمالها بإنشاء المدارس الإسلامية التي تربي الأجيال على المبادىء الإسلامية الصحيحة.

---

(1) العدد نفسه.
(2) ١٦٨٤ (١٧ رمضان ١٣٢٦ / ١٢ ت١ ١٩٠٨).
(3) ٢٥٠ (٢٧ شوال ١٢٩٦ / ١٤ ت١ سنة ١٨٧٩).
(4) ١٦٧٨ (٤ شعبان ١٣٢٦ / ٣١ آب ٩٠٨) ص ٢.

ثالثاً - إصلاح الوضع الاقتصادي.

خصص القباني كثيرا من مقالاته الافتتاحية لموضوع الاقتصاد الوطني[1]. فلقد أدرك القباني أن المشكلة الأساسية للإصلاح تكمن في مقاومة الخطر الأجنبي الذي يسعى بقوته السياسية والاقتصادية لمد جذوره إلى الممالك العثمانية، وأن العقبة هي تفوق الغرب اقتصادياً. وكان يعلم أن أوروبا وصلت إلى مرحلتها المتطورة بفضل العلم والمعرفة، وبعد الثورة الصناعة والتقنية التي حدثت فيها، ومن هنا اتجه تفكيره نحو قضية النهضة الاجتماعية التي تحدث من طريق تحسين مستويات المجتمع الاقتصادي. ولا ننسى أن القباني كان قد عمل رئيساً للمجلس البلدي في بيروت، وكانت له إصلاحات عديدة في المدينة. فكانت لديه البنية الفكرية التي يستطيع على أساسها طرح بنوده الإصلاحية على المستوى الاقتصادي. كما ساهم في إحدى مراحل حياته بإنشاء شركة للتنقيب عن البترول. أما فكره الإصلاحي فيكمن في إعادة التوازن الاقتصادي للبلاد من طريق تحسين الزراعة والصناعة والتجارة.

فاعتبر القباني أن إصلاح الاقتصاد هو جزء من إصلاح البلاد عامة، إذ إن البلاد الفقيرة اقتصاديا لا تستطيع أن تقدم لأبنائها ما يحتاجونه في سبيل التقدم والتطور، على عكس البلاد المرتاحة اقتصادياً فهي تؤمن لأبنائها كل الوسائل التي تساعدهم على العطاء والإنتاج. لذلك نجد القباني لا يدع فرصة ولا سانحة إلا ويدعو فيها لتحسين الاقتصاد والاعتماد على الصناعة الوطنية التي تشكل الدعامة الأساسية في تشييد اقتصاد وطني متين. بينما هي في حالتها الراهنة سيئة وذلك بسبب تهافت الناس على الصناعة الأجنبية، وإهمالهم لمحاصيل بلادهم التي يأخذها الأجانب. فيطالب بإعمال الهمة واتخاذ الوسائل التي تسحن اقتصاد البلاد، لا سيما أن موارد البلاد جيدة ومفيدة، وأنه يمكن الاستغناء عن الأجانب، والاعتماد على الصناعة المحلية وترويجها بما يعود بالنفع على الوطن، فهناك الكثير من أبناء الوطن يتهافتون على الواردات الأجنبية ويهملون ما تنتجه أراضيهم:

«فكيف صار أكلنا من الرز الافرنجي الذي لا يطيب مع تهافتنا على تكثير التجارة منه بما هو عجيب حتى كادت تنحصر التجارة بصنفه ويهمل العطف على أرز بلادنا»[2].

فإن هذا الإهمال لموارد البلاد من شأنه أن يجعل البضاعة الوطنية تكسد وتتلف من دون أن تجد سوقا لها بينما تحسن البضاعة الأجنبية بوساطة أيادي أهل هذه البلاد.

ويقوم راثياً الحالة الاقتصادية المتدهورة في البلاد، ويطالب بتحسينها في سبيل التقدم فيقول:

---

(١) المقالات الافتتاحية التي اهتمت بالاقتصاد الوطني تركزت خصيصاً في السنوات التالية: ١٨٧٦ - ١٨٧٨ - ١٨٧٩ - ١٨٨٠ - ١٨٨١ - ١٨٨٨ - ١٨٨٩ - ١٨٩٦ - ١٨٩٧ م.

(٢) العدد ٥١ (١٢ ربيع الأول ١٢٩٣ / ٦ نيسان ١٨٧٦).

«صناعتنا عدم، وتجارتنا ساعية للاضمحلال، وزراعتنا جارية على الأصول القديمة. فما لم نتقن الفنون الصناعية، ونحسن الزراعة، وندرك طرق التجارة، فلا يتأتى لنا أن نخطو خطوة واحدة في سبيل التقدم»[1].

ثم يعرض القباني الوسائل التي يمكن بها تحسين الوضع الزراعي في البلاد، فهذه الزراعة مثلا التي تعتمد على نتاج أرض الوطن، من الواجب الاهتمام بها وتحسينها وتطويرها وعدم تركها للموت والتلف بغية الحصول على وظائف أخرى في المدن. وترك الأراضي والمناظر الطبيعية والهواء النقي والماء العذب لأجل التعيش بالأعمال الشاقة مثل الفعلة والحمّالين. فيقول مطالباً مدير الزراعة الاهتمام بالأمر:

«فيجب على مدير الزراعة الاهتمام بأحوال الزراعة والزرّاع، ويجب على المزارعين عدم ترك أراضيهم وقراهم»[2].

لأنه حين يقف على الأسباب التي تجعلهم يتركون أراضيهم يستطيع أن يشخص الداء ويصف الدواء الناجع، فلا يدع للفلاحين عذراً بتركهم أراضيهم التي تنتج لهم الخيرات، خاصة وأن الزراعة أساس الثروة العمومية فيقول:

«الزراعة أساس الثروة العمومية، وجميع مواردنا منها لذلك وجب الاعتناء بترقي الزراعة وانشاء المكاتب الزراعية، وادخال المعلومات الزراعية الجديدة في دروس المكاتب الابتدائية، وإثبات مزية الزراعة لاستدرار خيراتها وتعميم بركاتها، فهي تفيض على الأوطان معين نتاجها»[3].

فلقد نبّه القباني بفكره المتطور إلى وجود أساليب حديثة تستطيع القيام بتحسين حالة الزراعة، وما على المسؤولين إلا اتباع الأسس الحديثة التي من شأنها ترقية الزراعة، والاكتفاء منها من دون الرجوع إلى البضاعة المستوردة. فحين تنشأ المكاتب الزراعية ويدرّس فيها المعلومات الحديثة، لا شك أن الأراضي سوف تعطي أكثر فأكثر وسيعم نتاجها جميع الوطن.

كما هناك أساليب عدة للوصول إلى الإصلاح الاقتصادي وذلك بالبحث عن موارد البلاد الطبيعية، وعدم الكسل والتهاون، لأنه كما قال القباني:

«فإن الاشتغال بالقيل والقال حال أوطاننا دون نجاح الآمال، وقد ألهانا التكاثر في هذا العصر من الفساد عن ورود كوثر الاخلاص بما فيه نفع البلاد»[4].

---

(١) العدد ٢٦١ (١٦ محرم ١٢٩٧ هـ / ١٩ ك١ ١٨٧٩).
(٢) العدد ٧٥٦ (١٠ ربيع الأول ١٣٠٧ / ٥ ت٢ ١٨٨٩).
(٣) العدد ٧٥٥ (٣ ربيع الأول ١٣٠٧ / ٢٨ ت١ ١٨٨٩).
(٤) العدد ٥١ (١٢ ربيع الأول / ٦ نيسان ١٨٧٦).

فإن أراضي الوطن غنية، ولكن المهم البحث والتنقيب عنها، وحين يعثر عليها يجب المحافظة عليها «فان العاقل من يحرص على حقوق وطنه ليحرص الآخر على حقوقه»[1].

فمتى وجدت الموارد يجب أن يفوض العمل بها إلى الأكفاء ليستطيعوا القيام بمهمتهم خير قيام وأنفعه فيقول:

«يجب البحث والتنقيب عن موارد الثروة الطبيعية التي اشتملت عليها أراضينا، ليعيش الفقير من العمل بها.. وتفويض تلك الأعمال لأيدي أمناء عفيفين حريصين على كل ما فيه صالح الدولة والملة والوطن. ولا ينكر عارف غنى أرضنا بما فيها من المعادن، وبعد من الكسل إن لم نقل من العجز عدم البحث عن أسباب ثروتنا وتقدمنا»[2].

فلقد كثرت البضائع الأجنبية في البلاد، وزاد الإهمال والتهاون في إتقان الصناعة الوطنية، بحيث صار الأجنبي يأتي البلاد فيأخذ مواردها الطبيعية ويصنّعها في بلاده، ثم يبيعهم إياها مصنّعة بأثمان غالية، حتى أصبح الصناعيون في البلاد عمّالاً لمعامل أوروبا:

«فلو كان الاهتمام بالصناعة كما يجب، وتحسين الزراعة والتجارة لأمكن الاستغناء عن الأجانب، فنحن نرسل إليهم القطن والصوف والحرير، وهم يوجعونها إلينا أثواباً جديدة نشتريها منهم بأغلى ثمن»[3].

إضافة إلى هذا، فإن مصنوعات البلاد هي أجود المصنوعات التي تأتي من معامل أوروبا كما يقول القباني:

«إن منسوجات بلادنا العثمانية حريرية كانت أو صوفية أو قطنية هي أجود وأمتن مما يعمل في معامل أوروبا، فضلاً عن بخس أثمانها بالنسبة إلى تلك»[4].

ويوجه القباني اللوم إلى الأغنياء من أهالي البلاد لأنهم باهمالهم لاحياء صناعة بلادهم سهّلوا على الأجانب ترويج بضائعهم، مما جعل الصنّاع يتهاونون بأمر صناعتهم ويقلل نشاطهم فيها فلو ألف الأغنياء الشركات العمومية لوجد الكثير من الناس يساهمون فيها ويشتركون معهم[5].

وهناك علاج آخر جديد في نوعه لحل الأزمة الاقتصادية توصل القباني إلى طرحه، لكي يستفيد منه

---

(١) العدد ٧٥٥ (٣ ربيع الأول ١٣٠٧ / ٢٨ ت١ ١٨٨٩).
(٢) العدد ١٥٠ (١٠ ربيع الأول ١٢٩٥ / ١٤ آذار ١٨٧٨).
(٣) العدد ٢٦٠ (٩ محرم ١٢٩٧ / ٢٢ ك١ ١٨٧٩).
(٤) العدد ١١٤٩ (٧ جمادي الأولى ١٣١٥ / ٤ ت١ ١٨٩٧).
(٥) ٧٥٥ (٣ ربيع الأول ٣٠٧ / ٢٨ ت١ ١٨٨٩).

سائر أبناء البلاد العثمانية عامة ألا وهي فكرة إشادة المخازن العمومية، فنلاحظ أن القباني في هذه الفكرة قد ربط المصير السياسي للدولة العثماني بمصيرها الاقتصادي. فكان في نظرته شمولياً يهدف للخير العام والمصلحة المشتركة، فنجده يقول:

«إن أنفع علاج وأجداه هو اشادة مخازن عمومية في كل بلدة من البلاد العثمانية باسم «الصنائع الوطنية» يستورد إليها منسوجات الوطن ومصنوعاته من دار السعادة وبروسة وأنقرة وحلب والشام وغيرها من البلاد العثمانية، ويشترك فيها من يشاء من أولي الغيرة الوطنية، وأن يبتاع المساهمون ما يحتاجونه إليه من المخازن الوطنية، فيقبل القوم على الصناعة، ويضطر الصنّاع لتحسين صناعتهم»[1].

كما دعا القباني إلى مشروع جديد لترقي الصنائع الوطنية بإنشاء معمل للخزف والزجاج من طريق تأليف جمعية لترقي الصنائع الوطنية، وكل ما يبعث على إعانة أصحاب الحرف الصناعية فيقول:

«اعتمدنا أن نستدعي غيرة وحمية أبناء الوطن الذين يهمهم تقدمه على تأليف شركة تجمع رأس مال كافياً لايجاد معمل للخزف والزجاج، ويخصص من أرباح تلك الشركة المذكورة مبلغ معلوم لاعانة ترقي بقية الصنائع»[2].

ومن المطالب الاقتصادية التي من شأنها تطوير البلاد وتحسينها، هي النظر في وسائل العمران والأحوال الاجتماعية التي يعاني منها كثير من أهل الوطن وتكمن في فتح الطرق، وتنظيم الأسواق، وإنارة الطرقات والزواريب بالغاز كما يلزم:

«إنشاء مستشفى وطني للفقراء والفقيرات، ودار يتعيش بها العجزة الذين لا كسب لهم ولا معين، ودار صناعة للأقوياء الذين يقلقون راحة الناس بالشحاذة، واجبارهم على الصنائع حتى يأكلون طعامهم بعرق الجبين، ويرتاح الناس من تعجيزهم وسعيهم بما يفسد الأخلاق»[3].

ويجب إضافة إلى ذلك اهتمام الدولة بتشجيع العلم، والاهتمام بأهل الاختراع في البلاد، لتمكينهم من العطاء أكثر وتشجيع سواهم للاقتداء بهم، فهناك شخص يدعى الخواجة الياس أجيا الساعاتي أخترع آلة عجيبة ولم يلاق المكافأة التي يستحقها من الدولة، فينتقد القباني هذا الحاصل ويقول:

«وإنّا لنخجل أن نقول أنه جوزي على ذلك بما هو دون مصاريف سفره إلى الآستانة، وإقامته بها مما يوجب عدم الرغبة في ذلك»[4].

---

(١) ١١٤٩ (٧ جمادي الأولى ١٣١٥ / ٤ ت١ ١٨٩٧).

(٢) ٢٨١ (٨ جمادي الثانية ١٢٩٧ / ١٧ أيار ١٨٨٠).

(٣) ٧٠٦ (١٤ ربيع الأول ٣٠٦ / ٢٠ ت١ ١٨٨٨).

(٤) ٢٤٨ (١٣ شوال ١٢٩٦ / ٢٩ أيلول ١٨٧٩).

فلقد عرف القباني أن غياب الدولة عما يحدث في ممالكها من تطورات واختراعات من شأنه أن يقلل الاهتمام لذلك لعدم التجاوب والمكافأة الحسنة.

وبناء على الحمية الشديدة التي تمتع بها القباني في خدمة المنتجات الوطنية وضع الإعلان التالي:

«إن إدارة جريدتنا تتعهد بارسال نسخة مدة سنة من أعدادها مجاناً لمن يتحرى أحسن وسيلة وأنفعها لرواج الصنائع الداخلية، كما أنها تنشر مع الممنونية رسائل الأدباء بهذا الشأن خدمة للوطن وبنيه وسلفا تمحضهم الشكر والثناء»[1].

رابعاً: ردات الفعل على مقالات القباني.

هذه هي المبادىء التي نادى بها القباني على صفحات **ثمرات الفنون** وعاش على أمل تحقيقها، فإذا كان الأمل في إصلاح الحكم ضائعاً، فلا بد من التوجه إلى المجتمع وإصلاح ما فسد فيه والسير به نحو الأفضل.

كما تبلورت شخصية القباني من خلال مقالاته العديدة، فنجده مسلماً حريصاً على إسلامه وعلى تضامن جميع المسلمين ضمن الوحدة الإسلامية، وعثمانياً يطالب بوحدة الدولة وارتباطها بالممالك التابعة لها ضمن الجامعة العثمانية. ولبنانياً وطنياً يحرص على تحقيق المساواة بين مختلف أبناء وطنه في العمل والتربية والمنافع الاقتصادية.

ولقد كانت أهداف الجريدة: خدمة الدولة والدين والوطن، فعمل القباني على تحقيق هذه الأهداف من طريق المقالات العديدة التي تشهد عليها وتؤيدها أفكاره الإصلاحية.

فمن جهة الإصلاح السياسي نستطيع أن نعتبر القباني رجل شعارات سياسية، إذ كان يدأب على الدعوة للاتحاد والتضامن والوفاق ويكرر النداءات والتحذيرات من الاستعمار وأساليبه. وكان تقليدياً في مواقفه السياسية متأثراً برجال الإصلاح الإسلاميين، لكن هذا لا ينفي عنه الفضل في إعطائه لتلك الأفكار والمواقف القوة والزخم حتى تستطيع متابعة تأثيرها في المجتمع.

ولقد لاقت مقالاته تأثيراً في نفوس بعض المواطنين خصوصاً الدعوة للاتحاد العثماني، فكنا نجد العديد من المواقف اللبنانية التي ترفض التخلي عن الروابط مع الدولة العثمانية. كما أن فكرة الاتحاد الإسلامي لا تزال تطرح إلى هذا اليوم عند كثير من المسلمين. وإن كانت شعلتها قد انطفأت في مرحلة من المراحل بسبب الاستعمار الغربي وانتشار الأفكار القومية.

ولقد تأثر بأفكار القباني العثمانية العديد من الكتّاب الذين حملوا لواء الدعوة إليها، وإن لم تستطع تلك

---

(١) ١١٤٩ (٧ جمادي الأولى ١٣١٥ / ٤ ت١ ١٨٩٧).

الأفكار الاستمرار بعد الحرب العالمية الأولى، حيث انهارت مع انهيار الدولة. ولكن أول المتأثرين بفكر القباني العثماني هو الشيخ أحمد طبارة الذي أنشأ جريدة **الاتحاد العثماني** سنة ١٩٠٨ م، وكانت تدعو للوحدة العثمانية وكانت خطتها قائمة على:

«خدمة الجامعة العثمانية على الإطلاق في جمع كلمتها ورفع شأنها، معتمدة في ذلك على قول الصدق والاعتدال في نشر الأخبار»[١].

ومن الملاحظ أن كثيراً من جرائد بيروت قد انتهجت الخطة التي تقوم على مبادىء العثمانية، مثل جريدة **صدى الجامعة العثمانية**[٢]، وجريدة **الإخاء العثماني**[٣].

كما نلاحظ أن أكثر الذين كتبوا في جريدة **ثمرات الفنون** كانت لهم المساهمة الكبرى في تأسيس حركة بيروت الإصلاحية التي تألفت في سنة ١٩١٣ م. إذ إن أفكار القباني وسياسته الإصلاحية في الجريدة كان لها من السعة والانتشار بحيث دخلت عقول كبار المواطنين والأدباء والعلماء. فقامت فئة كبيرة من المسلمين والمسيحيين في بيروت بالدعوة إلى حركة إصلاحية شارك فيها عدد كبير من كتّاب الجريدة أمثال: الشيخ أحمد طبارة ومحي الدين الخياط، ومصطفى الغلاييني، وعبد الباسط فتح الله، وعبد الباسط الأنسي. وكانوا يريدون الإصلاح مع إبقاء الروابط مع الدولة العثمانية. إلا أن وجهات نظر البيروتيين في هذه الحركة كانت مختلفة، كما يذكر محمد جميل بيهم لوجود فئة ذات وزن كانت حريصة على التخلص من الحكم العثماني والسعي للاستقلال تحت الحماية الفرنسية، بينما كان المسلمون من جهة أخرى مع حرصهم على اللامركزية وتأمين حقوق العرب في السلطنة يضنون بالدولة العثمانية ولا يرضون عنها بديلا[٤].

وكان للقباني وجريدته تأثير في شيوع الأفكار العثمانية والتمسك بها. ولكن بعد الحرب العالمية انهارت الأفكار العثمانية مع انهيار الدولة، وشاعت الأفكار القومية المختلفة التي حلت محلها.

وهناك الدعوة التربوية التي نجح بها القباني نجاحاً ظهرت نتائجه في مدارس المقاصد العديدة التي فتحت وأخذت توسع في نشاطاتها التربوية حتى كبرت وزهت واستمرت إلى عصرنا الحالي. ثم هناك المدارس الإسلامية الأخرى التي أنشئت أيضاً ومنها: المدرسة العثمانية التي تأسست سنة ١٩٠٨ برئاسة الشيخ أحمد عباس الأزهري ومؤازرة الشيخ القباني. ثم تحولت إلى كلية إسلامية كبرى فيما بعد. كما أخذت الدولة تهتم بتوسيع نشاطها التربوي عبر إنشاء المكاتب الإعدادية والسلطانية. فكان القباني يدرك أن

---

(١) ١٦٨٢ (٣ رمضان ١٣٢٦ / ٢٨ أيلول ٩٠٨) ص ٥.

(٢) صدى الجامعة العثمانية، أسسها عبد الكريم أبو النصر في بيروت سنة ١٩١٠ م.

(٣) جريدة الأخاء العثماني، أسسها محمد شاكر الطيبي في بيروت سنة ١٩١١ م.

(٤) محمد جميل بيهم، قوافل العروبة ومواكبها، مطبعة الكشاف، بيروت ١٩٤٨ م الجزء الثاني، ص ٢٢ - ٢٣.

الجهل لا يؤدي إلا إلى فساد الأخلاق والتربية، وأن المدرسة هي خير مكان لصقل العقول وتنظيفها، حيث كان كثير من الأولاد يرتادون الشوارع والأزقة ولا يذهبون إلى المدارس. فلاقت دعوته تأثيراً في النفوس جعل الكثير من الأهالي يرسلون أولادهم إلى المدارس، للتعويض على أولادهم ما فقدوه من العلم والعرفان، لأن ضمانة الارتقاء في المجتمع تكمن في العلم وتحصيله والمثابرة عليه.

كما نادى القباني عبر صفحات جريدته بضم التعليم الصناعي للمدارس العلمية، لأن البلاد تفتقر إلى الصناعات. فأُنشىء فيما بعد «مكتب التجارة والصنائع الحميدي» في بيروت سنة ١٩٠٨ م لتعليم الطلبة الصنائع والفنون وتأمين مستقبلهم ومعاشهم. كذلك أُنشئت مدرسة الصنائع في بيروت سنة ١٨٩٢ م بحيث منحت الدولة حق إنشاء هذه المدرسة لبعض وجهاء المسلمين في بيروت وأبقت لنفسها حق النظارة والنفقات.

وبناء على سياسة القباني وخطته، أخذت الرسائل تصل إلى الجريدة من مختلف البلدان تهنئها على الجهد والعمل الوطني، ومن هذه الرسائل:

- رسالة من الأمير شكيب أرسلان يهنىء الثمرات على عودتها بعد احتجاب قصير قائلاً:

«ابتدىء بتهنئة الثمرات بل بتهنئة الوطنية على عودتها» ثم يشكر جهدها وعمل صاحبها وقال داعياً لها «فلا عُدمنا اجتلاءها ولا حُرمنا من الثمرات اجتنائها»[1].

وفي رسالة أحد القراء في المغرب يثني على خطة الثمرات في سياستها الإسلامية فيقول شاكراً القباني وداعياً له:

«قد سرّ جميع المسلمين في هذا القطر ما تنشرونه من المواعظ والخطب فيما يتعلق بالمسلمين والدفاع عنهم جازاكم الله عن هذه الأمة، وأجزل لكم ولأمثالكم ولنا معكم أجراً»[2].

ومن الرسائل أيضاً رسالة من أحد القرّاء في مكة المكرمة يقول:

«لقد كانت ثمراتكم باكورة في سوق التمدن العصري والنهضة الجديدة بما أنها قامت زمناً طويلاً بخدمة الجامعة العثمانية، والتربية والتعليم وهما من أمهات العلم الاجتماعي»[3].

ونلاحظ أن هذه الرسائل ذات دلالة على تجاوب القرّاء مع الجريدة، حيث كانوا يوافقون الثمرات على سياستها، ويرون فيها جريدة ذات هدف وغاية وهما مصلحة البلاد عامة ووحدته.

---

(١) ٨٩٨ (١٢ ربيع الأنور ١٣١٠ / ٣ ت١ ١٨٩٢).

(٢) ١٢٢٨ (٢١ ذي الحجة ١٣١٦ / ١ نوار ١٨٩٩).

(٣) ١٦٢١ (٤ جمادي الثانية ١٣٢٥ / ١٤ تموز ١٩٠٧).

وحين مُنعت الثمرات من دخول الجزائر بسبب مقال كتبه عن موضوع «الاتحاد الإسلامي» قامت جريدة **المعلومات** التركية تناصرها وتندد بسياسة الحكومة الفرنسية في الجزائر وتقول:

«ساءنا والله ما نشرته إحدى صحف مصر بأن الحكومة الفرنساوية في الجزائر قد منعت جريدة **ثمرات الفنون** إلى ولاية الجزائر لما ذكرته في بعض مقالاتها من وجوب التعاون والاتحاد في الأمة الإسلامية، ثم استغربنا صدور ذلك من حكومة لا تزال تنادي بحرية المطبوعات وبعدم التعرض للمذاهب والأديان.

ثم يختم كلامه بالثناء على القباني فيقول:

- إن رجلاً خدم الآداب خمسا وعشرين سنة أو تزيد كصاحب الثمرات لا يكون جزاء إحسانه عندها الاحسان[1]...

ومن الصحف التي كانت تؤيد الثمرات في سياستها وتناصر القباني في مبدئه السياسي جريدة: **لسان الحال**[2] **وجريدة لبنان**[3] **وجريدة بيروت**[4]، حيث كانت تلك الصحف ترسل إلى الثمرات عبارات المدح والثناء، وهذا ما نلاحظه بعد غياب الجريدة عن الصدور.

وكان هناك من لم يرض عن سياسة القباني ومواقفه خصوصاً تعصبه للدولة العثمانية، وهذه الفئات عبّرت عن رأيها عن طريق الصحف التي تنطق باسمها. فقامت بانتقاد الثمرات ورفض سياستها، كما قامت هي بدورها بالتصدي للاتهامات التي كانت توجه إليها.

ومن تلك الصحف التي حملت على الثمرات وانتقدتها جريدة **البشير** الكاثوليكية وجريدة **الصدى**، وجريدة **الأهرام**.

أما البشير فرفضت سياسة الثمرات وأجرت معها سجالات عديدة، حيث اعتبرت أن للثمرات أخطاء كثيرة وهفوات عديدة لا تحصى، وأهم مسألة قامت بينهما كانت مسألة دينية تتعلق بالرق، فكانت الثمرات تعبّر عن الرأي الإسلامي، في حين كانت **البشير** تعبّر عن الرأي المسيحي الكاثوليكي.

ومما ذكرته **البشير** في انتقادها للثمرات: «انها لو شاءت تنفيذ كل ما تأتيه الثمرات من الهفوات لضاقت أعمدتها دون استيعابها، لكنها التزمت الصفح لأن الصفح من شيم الكرام[5].

---

(١) ١٢٧٥ (٢ ذي الحجة ١٣١٧ / ٢ نيسان ١٩٠٠) ص ٤.

(٢) **لسان الحال** جريدة سياسية تجارية علمية زراعية صناعية لخليل سركيس أنشأها في بيروت سنة ١٨٧٧ م.

(٣) **لبنان**، جريدة سياسية أسبوعية تجارية علمية وتاريخية أنشأها ابراهيم الأسود في بيروت سنة ١٨٩١ م.

(٤) **بيروت**، جريدة سياسية أصدرها محمد رشيد الدنا في بيروت سنة ١٨٨٦.

(٥) ٧٥١ (٤ صفر ١٣٠٧ / ٣٠ إاوا ١٨٨٩).

أما جريدة **الصدى**، فكانت تعيب الثمرات على مواقفها السياسية وترفضها، والمعلوم أن **الصدى** كانت تنطق بلسان الجمهورية الفرنسية حيث جعلتها لسان حالها ترويجا لمصالحها السياسية والتجارية والاقتصادية في الشرق الأدنى[1]. وكانت الصدى تعادي المسلمين إذ ذكر عن لسان أحد محرريها، كما جاء في الثمرات - بشأن ولاية سلانيك[2]، أنه لو كان له الأمر المطلق لأخرج ما عدا المسلمين منها وهدمها على من بقي فيها، لذلك قد أجابته الثمرات بقولها:

دخيل الصدى جهلا تصدى بلؤمه	على صانع يحكي الحقائق للهوى
وقد علم القوم الأفاضل أنني	أنا الصانع المحكي والآخر الصدى[3]

أما **الأهرام** التي تصدر في مصر لسليم وبشارة تقلا، فقد اتهمت الثمرات بعدم الدقة في نشرها للأخبار وأنها إنما تعمل على ذلك لتلقى الرضى فقط من الدولة، وأنها ترفض آراء الثمرات وأخبارها، كما أضافت بأن جريدة الثمرات هي جريدة مجموعة من بساتين الأعصر المظلمة وقالت: «إنه على بعد ٣٦٠ ميلاً في الممالك العثمانية المحروسة تنشر جريدة اسمها **ثمرات الفنون** وهو تعريف بديع مبتكر يدرك به الثمرات من يكون في القسم الغامر من الكرة الارضية، وقد اختلف وظائف للجرائد ألزمته العمل بها من نشر ما كان يسرع إلى نشره كيف ما كان، لتحوز جريدته القبول وتصير موثوقاً بها»[4].

وهكذا ظهرت ردات الفعل السلبية ضد **ثمرات الفنون** وضد سياسة صاحبها القباني المتعصبة للإسلام وللدولة العثمانية، وتكتمها عن نشر بعض الأخبار والحوادث التي تجري في ممالك الدولة، بينما ترى الجرائد الأخرى أن في عملها هذا تملقاً وخداعاً. كما أن القباني كان يتكلم باسم الدين الإسلامي ويدعو للوحدة الإسلامية، وهذا الأمر يشكل خطراً على هذه الصحف، لأن اتحاد المسلمين يجعل منهم قوة كبيرة نافذة السيطرة، وهذا ما لا يرضى عنه قسم كبير من الذين يرفضون هذا الاتحاد ويرفضون القوة التي تدعمه والمتمثلة بالدولة العثمانية.

سادساً - أبرز كتّاب الجريدة.

ضمت جريدة ثمرات الفنون نخبة كبيرة من الكتّاب البارزين في ذلك العصر. فإن أغلب الذين اشتركوا في تحرير الجريدة كان لهم أثر فكري واضح في لبنان والعالم العربي. فلا نكاد نجد شخصية من هؤلاء الكتاب إلا وكان الإسهام الفكري والثقافي رائدها، إن على صعيد العمل السياسي أو الأدبي أو التربوي. ولم تقتصر الثمرات على الكتّاب اللبنانيين فقط، بل شارك فيها بعض العلماء من الأقطار العربية المجاورة

---

(١) فيليب دي طرازي، **تاريخ الصحافة العربية** ج ٢، ص ٢٥٣.

(٢) اليونان حالياً، وكان النزاع قائماً بينها وبين الدولة العثمانية سنة ١٨٧١ م.

(٣) ٧٨ (٢٤ رمضان ١٢٩٣ / ١٢ ت١ ١٨٧٦) ص ٢.

(٤) ١٣٦ (١ ذي الحجة ١٢٩٤ / ٦ ك١ ١٨٧٧).

مثل الإمام محمد عبده من مصر، والأديب محمد نورى الكيلاني من حماه وغيرهما، فكان منهم الفقيه والأديب والشاعر والمربي. وكانت **ثمرات الفنون** حقلاً نمت فيه أفكار هذه النخبة العظيمة من الكتّاب. ويسجل للقباني الفضل الأكبر في جمع أصحاب هذه الأفكار إلى جريدته ونشر كتاباتهم.

فنجد مثلاً من كتّاب الأدب والشعر في الجريدة الشيخ ابراهيم الأحدب، وهو من أبرز أركان النهضة العلمية في لبنان، فلقد امتدت شهرته من طرابلس إلى بيروت ومصر واستانبول وغيرها، وكذلك هناك الحاج حسين بيهم، وهو الذي تولى رئاسة الجمعية العلمية السورية وأنشأ لها مجلتها.

وللشيخ مصطفى الرافعي، والشيخ مصطفى الغلاييني، بعض القصائد الشعرية في الجريدة، فكان الأول عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، والثاني صاحب مجلة النبراس وأحد فقهاء بيروت وشعرائها.

كما شارك في الجريدة عدد من الأدباء، منهم الأديب أسعد داغر وهو من مشاهير كتّاب الجريدة وأحد أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق. وهناك الشيخ عبد الباسط فتح الله المعلم والمربي، وهو الذي ساهم مع الشيخ أحمد عباس الأزهري في تأسيس «المدرسة العثمانية».

كما كان للشيخ الأمام محمد عبده رائد الإصلاح الديني والتربوي في العالم العربي والإسلامي بعض المقالات المفيدة في الجريدة خصوصا في المواضيع الدينية، وهناك الشيخ حسين الجسر وهو الذي اشتهر بتحرير جريدة **طرابلس**، ويميل إلى العلوم الفلسفية والعقلية وترك كتبا قيّمة في الموضوعات الدينية والأدبية.

ومن الكتّاب أيضا هناك عبد الوهاب التنير، وفؤاد شهابي حيث تركزت اهتماماتهما على النواحي الزراعية والاقتصادية في الجريدة.

واشتهر محمد نوري الكيلاني بالمواضيع القانونية، وهو الذي تولّى محكمة الجزاء في الدولة العثمانية.

فنلاحظ أن الجريدة قد ضمت الشخصيات الكبيرة على صعيد الفكر الثقافي والاجتماعي وقدّمت مادة فكرية قيّمة، لذلك لا بد لنا أن نأتي على التعريف ببعض هذه الشخصيات المهمة لنقف على مقدار أهميتها وعملها في المجتمع، ومقدار اهتمام جريدة **ثمرات الفنون** بالكتّاب الذين تنشر لهم مقالاتهم، بحيث عكست الصورة الفكرية للمجتمع الإسلامي واللبناني في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وقد جعلت ترتيب التراجم وفقاً للجانب الفكري أو الأدبي أو الفقهي الذي عُني كل منهم بالكتابة فيه، حتى ولو كانت لشخصيته العامة جوانب أخرى اشتهر بها، وعلى سبيل المثال، فإن الشيخ ابراهيم الأحدب قد عني بقضايا الفقه والسياسة والأدب وغيرهما من القضايا العامة، إلا أنه في الجريدة قد غلبت عليه شخصية الأديب، وعلى ذلك كان ترتيبه في الترجمة مع الأدباء، وكذلك كان الأمر بالنسبة لباقي الكتّاب.

ومن أشهر الأدباء والشعراء في الجريدة، نذكر الشيخ ابراهيم الأحدب، والحاج حسين بيهم، والشيخ مصطفى الرافعي، والشيخ مصطفى الغلاييني.

الشيخ ابراهيم الأحدب (١٢٤٢ - ١٣٠٨ هـ) (١٨٢٦ - ١٨٩١ م)

أشهر كتّاب الجريدة وأبرزهم، وهو أحد أركان النهضة العلمية في القرن التاسع عشر. ولد سنة ١٨٢٦ م في طرابلس، وتلقى العلوم اللسانية والأدبية في بيروت ولازم كبار العلماء، كان نابغة في حفظ أشعار المتقدمين والمتأخرين، عكف على التدريس فأقبل عليه الطلبة من كل مكان. عيّن سنة ١٨٥٢ م مستشاراً في الأحكام الشرعية في الشوف. وبعد ثمانية أعوام انتدبته حكومة بيروت وعيته نائبا في المحكمة الشرعية، ثم صار بعدها رئيساً لكتّاب المحكمة نيفا وثلاثين سنة. وفي هذه المدة تولى تحرير جريدة **ثمرات الفنون** فأودعها كثيرا من المقامات البديعية والرسائل الأدبية والفصول الحكمية مما لو جمعت لبلغت مجلدات.

انتخب عضواً في مجلس المعارف في بيروت، وكان له من علم الأدب أوفر نصيب. نظم القصائد الشائعة في مدح أمراء العرب ووزرائهم وكبارهم[١]. ولقد خلف الشيخ تراثاً لا يستهان به إلى جانب عدد من المخطوطات يزيد على الألف بين كتاب ورسالة نقلها بخط يده[٢]. أشهر مؤلفاته: «ديوان شعر»، وكتاب «فرائد الأطواق في أجياد محاسن الأخلاق» و«فرائد اللآل في مجمع الأمثال» و«كشف الأرب عن سر الأدب». وبلغت رواياته عشرين رواية بعضها مبتكر، وبعضها مأخوذ من التاريخ أو مترجم[٣]، ويقول الدكتور «محمد نجم» عن مسرحيات الأحدب:

«لعل الأحدب الذي أسهم بفكره الإصلاحي في فصوله ومقالاته في **ثمرات الفنون** اعتبر المسرحية إسهاماً آخر في حركة الإصلاح، ومشاركة واجبة في حركة اليقظة الإسلامية آنذاك، إضافة للهوى الشخصي والقدرة الابداعية التي كان يحسّها الأحدب في نفسه، والميل إلى فن القصص وعناية بالأمثال والمقامات[٤].

(ولقد نشرت الجريدة العديد من الإعلانات عن مسرحيات الأحدب وكتبه) توفي في ٢٢ رجب ١٣٠٨ هـ / ١٨٩١ م ودفن في الباشورة.

---

(١) خير الدين الزركلي، **الأعلام**، الجزء الأول، ص ٥٥. وفيليب طرازى، **تاريخ الصحافة العربية**، ج ٢، ص ١٠١ - ١٠٤.

(٢) زينب الفاروط **الشيخ ابراهيم الأحدب**، حياته ومؤلفاته، دار الإنشاء للصحافة والطباعة بيروت الأولى ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ٤١.

(٣) **الأعلام**، الجزء الأول، ص ٥٥.

(٤) **مسرحيات الشيخ ابراهيم الأحدب**، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ١٦.

الحاج حسين بيهم (١٢٤٩ - ١٢٩٨ هـ) (١٨٣٣ - ١٨٨١ م)

هو الحاج حسين بن السيد عمر بن السيد الحسين بيهم العيتاني الشافعي، ولد سنة ١٢٤٩ هـ/ ١٨٣٣ م في بيروت. كان منذ حداثة سنه كلفاً بتحصيل المعارف والاجتماع بأهل الأدب والفضل، فقرأ على جهابذة زمانه كالشيخ عبد الله خالد والشيخ محمد الحوت وبرع بفنون الانشاء على اختلافها. نظم الشعر وكان يقوله ارتجالا في محافل الوزراء والكبراء والأدباء. وزاول التجارة لفترة يسيرة، تقلد في حياته وظائف شتى لدى الدولة فوجهت إليه رئاسة الأحكام العدلية ثم نظارة الخارجية، وعُيّن عضواً في مجلس إيالة صيدا، وفي محكمة استئناف التجارة في المجلس البلدي.

اشتهر بأصول السياسة والصلاح ومناصرة العلماء. تولى سنة ١٨٦٩ م رئاسة الجمعية العلمية السورية وأنشأ لها مجلتها. مثّل بلاده سنة ١٨٧٨ م في مجلس النواب العثماني. كما أدى لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية خدمات جليلة. توفي سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م[١].

له في جريدة ثمرات الفنون قصائد مدحية عدة.

الشيخ مصطفى الرافعي (١٢٩٧ - ١٣٥٦ هـ/ ١٨٨٠ - ١٩٣٧)

مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن محمد سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، أديب وشاعر أصله من طرابلس الشام، وولد في هيتم من قرى مديرية القليوبية، درس المرحلة الابتدائية في مدرسة دمنهور، ثم في المنصورة، ونال الشهادة الابتدائية. ثم عيّن كاتباً في محكمة طنطا الأهلية، وأصيب بصم فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به، انتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق، وتوفي في طنطا بمصر سنة ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٧م، ودفن في مقبرة الأسرة الرافعية. من آثاره: ديوان شعر في ثلاثة أجزاء، تاريخ آداب العرب في جزئين، السحاب الأحمر، «المساكين» وإعجاز القرآن[٢]. وله في الثمرات قصيدة في وصف القطار وأخرى في وصف الطبيعة.

الشيخ مصطفى الغلاييني (١٣٠٣ - ١٣٦٢ هـ/ ١٨٨٥ - ١٩٤٤م)

هو علاّمة بيروت وأديبها وشاعرها وخطيبها في عهد الدستور العثماني، وخطيب الجيش الرابع في الحرب العالمية الأولى، سافر إلى مصر فقرأ في الجامع الأزهر ثم عاد إلى بيروت، وكان أستاذ اللغة العربية في الكلية الإسلامية والمدرسة السلطانية، أصدر عقب إعلان الدستور مجلة النبراس. اعتقلته السلطات المنتدبة في سجنها العسكري في بيروت ١٩٢٤ م. وانتخب سنة ١٩٣٣ قاضيا لمدينة بيروت ثم

---

(١) فيليب دي طرازي، **تاريخ الصحافة العربية**، ج ١، ص ١١٧ - ١١٨، أدهم الجندي، **أعلام الأدب والفن**، مطبعة مجلة صوت سورية، دمشق ١٩٥٤ م ج ٢، ص ٣٣٢.

(٢) رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، ج ١٢، ص ٢٥٦.

مستشاراً في محكمة الاستئناف الشرعية. له مؤلفات عديدة منها: «الإسلام روح المدنية» ردّ به على اللورد كرومر، و«أريج الزهر»، «أسهل منال لتعليم الأطفال»، «جامع دروس العربية» و«نظرات في اللغة والأدب». توفي إثر مرض عانى منه شهوراً سنة ١٩٤٤ م [١].

له بعض القصائد في الثمرات منها قصيدة السموأل وقصيدة مدح السلطان. ومن أشهر الأدباء الذين كانت لهم المقالات المختصة بالمواضيع الاجتماعية والتربوية هما: الأديب أسعد داغر، والكاتب عبد الباسط فتح الله.

أسعد داغر (١٢٧٧ - ١٣٥٤) (١٨٦٠ - ١٩٣٥)

أسعد بن خليل داغر، أديب وصحافي. ولد في كفرشيما بلبنان، وتعلم في الجامعة الأميركية في بيروت، اشتغل بالتدريس في مدرسة للأميركيين باللاذقية ثم انتقل إلى مصر فعمل في تحرير جريدة المقطم مدة عامين. عيّن في وكالة حكومة السودان سنة ١٩٢٤ م. ثم انقطع بعدها للأدب. انتخب عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق وتوفي في القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م.

من آثاره: تذكرة الكاتب في أغلاط الكتاب والمحررين وتصحيحها. منظومة تاريخ الحرب الكبرى، مثلث خراب الديار: السكر والزنا والقمار. ديوان شعر و«حالة الأمم وبني اسرائيل»، «مذكرات غليوم الثاني» و«تاريخ وليم الظافر»[٢].

ولقد أودع جريدة **ثمرات الفنون** كثيراً من أفكاره التربوية الهادفة لإصلاح التعليم في المدارس، وتربية الأبناء وتوجيههم توجيها وطنيا سليما. كما اهتم بضرورة تأهيل المعلمين للقيام بمهمتهم خير قيام لأن نجاح الأوطان يكون بالعلم والاجتهاد. وبهذا يكون الأول بالمستقبل وخاصة حين يتم الاتحاد الوطني.

عبد الباسط فتح الله (١٢٨٨ - ١٣٤٨ هـ) (١٨٧١ - ١٩٢٩م)

ولد عبد الباسط في بيروت عام ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م، دخل المدرسة السلطانية وكان من أساتذته فيها الشيخ محمد عبده. عيّن بوظيفة محاسب في المجلس البلدي ثم تعيّن عضوا في محكمة الاستئناف. وسمي عضوا في الهيئة البلدية. تعاون مع الشيخ أحمد عباس في تأسيس «المدرسة العثمانية». وكان يلقي فيها المحاضرات الأدبية ويعطي الدروس في الجغرافية والطبيعيات والتعريب وعلوم اللغة. أسس مع جماعة من المفكرين «جمعية ثمرة الاحسان» بغية تحسين حالة المرأة المسلمة. وأنشأ لها مدرسة حوت العدد الجم من البنات (ونلاحظ أن مقالاته في ثمرات الفنون تتعلق أيضاً بموضوع المرأة كما في موضوع مسألة النساء الذي ترجمه عن كتاب ارنست لوكوفي وعلق عليه ثم أتبعه بموضوع مساواة النساء). انتخب

---

(١) أدهم الجندي، أعلام الأدب والفن، ج ٢، ص ٣٩٢.

(٢) الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٣٠٠، ورضا كحالة معجم المؤلفين، الجزء الثاني ص ٢٤٦.

لتدريس العلوم العربية والدينية في المدرسة الرشدية العسكرية عام ١٣٠٠ هـ. وكان يغتنم الفرص لبث الأفكار الصحيحة والمبادىء السليمة، ويلفت الأنظار إلى حقائق الأمور والمصلحة العامة والاعتدال في الأخذ بالجديد والمحافظة على القديم. عزب بعض الكتب منها: كتاب التدريس العلمي لبول برت الفرنسي، وكتاب فلسفة السياسة لغوستاف لوبون، ورسالة «مسألة النساء» لارنست لوكوفي، كانت حياته كلها علماً وعملاً وجهاداً، ودعوة إلى الحق والثبات والصبر. توفي في سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م [١].

وكانت مقالاته في **ثمرات الفنون** تتضمن مواضيع إجتماعية وتربوية مثل موضوع التعليم وتلبية حاجات المجتمع، مسألة النساء، المرأة والمحاماة، وموضوع يتعلق بالتحذير من الاستعمار ومعرفة أسراره.

ومن علماء الشريعة والفقه نذكر الشيخ حسين الجسر والشيخ محمد عبده وقد اختصا بالمقالات الدينية أكثر من المواضيع الأخرى.

الشيخ حسين الجسر (١٢٦١ - ١٣٢٧ هـ) (١٨٤٥ - ١٩٠٩ م)

حسين بن محمد بن مصطفى الجسر. ولد في بيت علم في طرابلس سنة ١٢٦١ هـ/ ١٨٤٥ م. وتلقى مبادىء العلم على صهره الشيخ عبد القادر الرافعي وأتم تعليمه في الأزهر وعاد إلى بلده يشتغل بالمطالعة والكتابة والتأليف. ولديه ميل على الخصوص إلى العلوم الفلسفية والعقلية، جعل وجهة عمله تطبيق العلوم الطبيعية والفلسفية على القواعد الدينية الإسلامية. اشتهر بتحرير جريدة **طرابلس** مدة خمسة عشر عاما. توفي سنة ٣٢٧ هـ/ ١٩٠٩ م [٢].

وقد خلف كتباً منها: رياض طرابلس: وهي مجموعة في عشرة أجزاء كبيرة جمع فيها نخبة ما كتبه في جريدته من المقالات العلمية والأدبية والاجتماعية، وله رسائل مختلفة في موضوعات أدبية وسياسية. و«الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية» و«الحصون الحميدية» وهو في العقائد الإسلامية، بالإضافة إلى مؤلفات عديدة غير مطبوعة [٣].

وله في جريدة **ثمرات الفنون** بعض القصائد الاجتماعية، وموضوعا تعدد الزوجات والطلاق، وهما من المواضيع المهمة المطروقة في ذلك العصر.

الشيخ الامام محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ) (١٨٤٩ - ١٩٠٥ م)

محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، ولد سنة ١٢٦٦ هـ/ ١٨٤٩ م. وتتلخص رسالة حياته في أمرين: الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، ثم

---

(١) **الأعلام**، ج ٣، ص ٢٧٠، أدهم الجندي، **أعلام الأدب والفن**، الجزء الثاني، ص ٣٨٠.

(٢) **الأعلام**، الجزء الثاني ص ٢٥٨، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج ٢، ص ٥٨٩ - ٥٩٠.

(٣) خالد زيادة، **الشيخ حسين الجسر حياته ومؤلفاته**، بيروت دار الانشاء، الطبعة الأولى ١٩٨١ م ص ٧٩.

التميز بين ما للحكومة وما للشعب من حقوق وواجبات. عمل في التعليم بعد أن تعلم بالجامع الأزهر. ناوأ الانكليز في احتلالهم بلاده وشارك في الثورة العرابية فسجن مدة ثلاثة أشهر، ثم نفي إلى بلاد الشام سنة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م. سافر إلى باريس وأصدر مع الأفغاني العروة الوثقى. ثم عاد إلى بروت واشتغل بالتدريس[١]. وفي سنة ١٣٠٣ هـ دعي للتدريس في المدرسة السلطانية في بيروت وذلك لإحياء علوم اللغة والدين فأصلح إدارتها بالاتفاق مع مديرها ووضع قانوناً جديداً للدروس، وزاد في العلوم علم التوحيد ومعاملات الفقه والتاريخ الإسلامي والمنطق والإنشاء. وفي بيروت أقام صداقة مع الشيخ عبد القادر قباني، وسكن في حي زقاق البلاط قريبا من منازل آل حماده والقباني[٢]. وكتب في جريدة الثمرات مقالات عديدة ومهمة[٣]. ثم سمح له بالعودة إلى مصر فعاد سنة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ م تولى منصب القضاء ثم جعل مستشاراً في محكمة الاستئناف فمفتياً للديار المصرية سنة ١٣١٧ هـ. توفي في الاسكندرية ودفن في القاهرة[٤].

ومن فئة الكتّاب المختصين بالمواضيع العلمية اشتهر عبد الوهاب التنير، وفؤاد الشهابي.

عبد الوهاب التنير (١٢٦٨ - ١٣٣٧ هـ) (١٨٥٢ - ١٩١٨)

عبد الوهاب بن سليم التنير، ولد في بيروت سنة ١٢٦٨ هـ / ١٨٥٢ م وتعلّم العربية والانكليزية، واشتغل في شركة ماء بيروت ما يقرب من ربع قرن، توفي في بيروت في أواخر سنة ١٩١٨ م. من آثاره: الإسلام حافظ الذمم بين الأمم[٥].

واشتهر في الجريدة بكتابة المواضيع التي تتعلق بالزراعة، كما كتب موضوعاً كبيراً في صناعة الفخار.

فؤاد الشهابي (١٢٩٥ - ٠٠٠ هـ) (١٨٧٨ ....م)

فؤاد بن سليم بن فارس الشهابي المخزومي، القرشي. فاضل من أبناء لبنان ولد في حاصبيا، وتقلب في وظائف عديدة. من آثاره: الروض النضير في تربية دود الحرير، حياة سورية المادية عن التربية العلمية لدود الحرير[٦].

اشتهر في الجريدة بالمقالات الزراعية، وخصوصاً في موضوع تربية دود الحرير.

ومن فئة الكتّاب المختصين بالمواضيع القانونية:

---

(١) رضا كحاله معجم المؤلفين، ج ٨، ص ٨١.
(٢) محمد رشيد رضا تاريخ الامام، المجلد الأول، الجزء الأول، ص ٣١١، و٤٠٠.
(٣) له مقالات عديدة منها: فلسفة التربية، نص الخطاب الذي ألقاه في المدرسة السلطانية، تفسير سورة العصر، تفسير سورة الفاتحة، طبيعة الإسلام وأصوله العلم والتعليم وغيرها.
(٤) الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٢٥٢.
(٥) رضا كحاله معجم المؤلفين، ج ٦، ص ٢٢١ - ٢٢٢.
(٦) رضا كحاله معجم المؤلفين، ج ٨، ص ٨١.

محمد نوري باشا الكيلاني ١٢٥٢ هـ - ١٣٢٦ هـ)(١٨٣٦ - ١٩٠٨م)

محمد نوري باشا بن أحمد بن عبد الوهاب الكيلاني ولد في مدينة حماه سنة ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦ م تعلّم القرآن الكريم والكتابة مع دراسة النحو وفروع الفقه الحنفي. وتلقى علوما شتى على أعلام عصره في حماه وحلب. وأجازه شيوخه إجازة عامة في الرواية عنهم. تولى عدة أعمال في أزمنة مختلفة كان في جميعها مثال الجد والعفة منها: نقابة الأشراف وعضوية مجلس الدعاوى، وعضوية مجلس الإدارة ورئاسة البلدية ومأمورية النفوس ورئاسة محكمة الجزاء. سافر إلى الآستانة بطلب من السلطان عبد الحميد الثاني، وعيّن في دائرة الرسومات. ووجهت إليه رتبة (ميرميران). له مؤلفات عديدة منها: ذيل على تاريخ أبي الفداء ملك حماه سماه المعتبر على تكملة المختصر من أخبار البشر، أحسن ما قنيت، تاريخ أهل البيت، الكواكب الدرية في السلسلة المحمدية وأهلها الجيلانية. وله ديوان شعر محفوظ وله «البديعية النورية في مدح خير البرية».

توفي في حماه سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م، ودُفن في مقبرة الأسرة الكيلانية [١]. أهم المواضيع التي كتبها في جريدة ثمرات الفنون هي «أصول المحاكمات الجزائية» في سلسلة مقالات متعددة.

---

(١) أعلام الأدب والفن، ج ٢، ص ٣٩.

الخاتمة

بعد أن استعرضنا في هذه الرسالة حياة القباني وأعماله وما تركه من مقالات، يبرز لنا باعتباره رجل فكر سياسي وإجتماعي وذلك من خلال ما قدّمه من خدمات للمجتمع اللبناني بعامة وللمسلمين بخاصة.

فقد أثبت لنا عبد القادر القباني أن المسلمين لم يكونوا غائبين عن المساهمة الحضارية والثقافية، فنجده قد وضع الحجر الأساسي لبناء جمعية المقاصد الإسلامية، عاملاً بذلك على إعادة التوازن إلى المجتمع اللبناني، من طريق إصلاح الوضع الاجتماعي التربوي للمسلمين عندما بدأت كل طائفة تسعى للاستقلال بمدارسها الخاصة.

كما برز نشاطه العملي، من خلال المراكز والمناصب الإدارية التي استلمها، ومنها رئاسته لبلدية بيروت وقيامه بالإصلاحات العديدة، وكذلك رئاسته لمديرية الأوقاف الإسلامية، فيظهر لنا رجلا ديناميكيا لا يحب التوقف عن العمل، فهو في **ثمرات الفنون** يقوم بدور المرشد أو القائد الذي يقف على المشاكل التي تعاني منها البلاد، ولا سيما السياسية والاجتماعية، فيحاول تغييرها حتى أصبحت فكرة «الإصلاح» هي الهم الأوحد لديه.

ويعتبر القباني مثال الرجل المسلم الذي يحفظ دينه، ويدعو للمحافظة عليه وحمايته من الأعداء. ومثال الرجل الوطني الذي يدعو للألفة والتضامن بين أبناء الوطن كافة. كما نجده عثمانياً يدعو للمحافظة على الدولة العثمانية التي هي دولة الجميع.

ولكن من المآخذ عليه أنه لم يتابع مسيرته العلمية فكان في كل مجال يضع اللبنة الأولى للعمل الجماعي ثم ينتقل إلى عمل غيره. فهو وبعد **ثمرات الفنون** لم نعد نسمع عنه أي عمل سياسي آخر، فإن رجلاً قد أدّى عملاً ضخماً كالثمرات لا ينبغي أن يخفت صوته على مسرح الأوضاع السياسية وهو الذي استمر مدة خمس وثلاثين سنة ينادي بالإصلاحات ويدافع عنها بقوة، فإذا بحثنا عن القباني بعد **ثمرات الفنون** نجده يتابع أعمالاً تجارية.

ثم أثناء الحرب العالمية الأولى، والثورة العربية الكبرى لا نجد له أي تحرك سياسي أو اجتماعي، بل كان يراقب وهو صامت. فربما تكون المصادر قد أغفلته أو أن العمل قد أنهكه، وتقدمت به السن بحيث لم يعد قادراً على النضال والأعمال الإصلاحية.

من المرجح أن انهيار الدولة العثمانية وانقلاب الوضع السياسي كان له تأثير على نفس القباني جعله يقف عاجزاً عن تحقيق المبادىء التي نادى بها كثيراً، للمحافظة على هذه الدولة وإعادة التوازن إليها. فاختار أن يكون بعيداً عن الأوضاع والتحركات السياسية الجديدة.

أما ثمرات الفنون فهي أكبر عمل ثقافي وسياسي قام به القباني وأكبر مساهمة فعلية في النهضة العلمية. لكن هذه الجريدة قد تناساها الكثيرون وأغفلت أهميتها بعض الدراسات التي تهتم بالصحافة.

ولقد كانت هذه الجريدة دليلاً قوياً على مقدرة المسلمين في لبنان على العطاء والاستمرار، حيث اشرك فيها عدد كبير من الكتّاب في لبنان والعالم العربي، ولاقت رواجاً عند المسلمين حتى صار انتشارها أوسع كثيراً من حدود البلاد السورية، وهذا دليل نشاط وحيوية وقدرة على التجديد تشهد للقباني بسعة الآفاق الفكرية.

فلقد تميزت الثمرات بالميزة التوجيهية التربوية إلى جانب كونها جريدة إخبارية. فلقد قامت بحملة ضد المفاسد الأخلاقية وما يتبعها من آفات على المجتمع وبحملة تربوية نجحت بها نجاحاً ظهرت آثاره في المكاتب الإسلامية العديدة التي فتحت. كما لم تنس الجريدة المرأة فنجحت في تحسين أحوالها من خلال النداءات الكثيرة التي قامت بها. ولعل القباني أول رجل مسلم في لبنان ينادي بتعليم المرأة، وذلك قبل صدور كتاب محمد جميل بيهم «المرأة في التاريخ والشرائع». ثم وجدنا أثر ذلك فيما بعد بظهور الجمعيات النسائية التي قامت بها نساء مسلمات عديدات.

كما يعود للجريدة الفضل في ربط اللبنانيين ببعض عبر الدعوات الكثيرة للتكاتف والتعاضد، ظهرت آثارها في الجمعيات الوطنية العديدة التي تشكلت من مسلمين ومسيحيين، أهمها «جمعية بيروت الإصلاحية»، والتي شارك فيها عدد كبير من كتّاب جريدة **ثمرات الفنون**.

ولا ننسى دورها الثقافي في إطلاع القرّاء على الجديد في مجال العلوم العصرية ففتحت بذلك أبواب المدنية أمام الجميع حتى ينهلوا من معينها.

وكانت الثمرات الوسيط بين المسلمين في لبنان وسائر المناطق الإسلامية الأخرى، حيث كانت تنقل أخبارهم من سائر أنحاء العالم وتدعوهم للوحدة الإسلامية..

وتعتبر سجلاً حافلاً لجميع الحوادث التي كانت تجري في ذلك الوقت. ونستطيع من خلالها أن نزيل بعض الأفكار العالقة في أذهاننا أيام الدراسة المتوسطة والثانوية عن قسوة الحكم العثماني وظلمه، من دون الإتيان على ذكر الإصلاحات التي جرت في ذلك العهد، والحريات التي تمتعت بها بعض الولايات وبعض النواحي. فلقد كان جبل لبنان مثلا يتمتع بامتيازات خاصة ضمنتها له الدول الأجنبية، بالإضافة إلى أن المسلمين كانوا يشعرون دائماً أن الدولة دولتهم، ولم يكونوا يرغبون في التخلي أو الانفصال عنها، إلا في الفترة الأخيرة بعد أن تسلمت جمعية الاتحاد والترقي الحكم وسيطر العنصر الطوراني وقام بمحاولة لتتريك البلدان العربية.

أما السلطان عبد الحميد الذي يلقبونه بالسلطان الأحمر، فلقد أجرى إصلاحات عديدة تربوية وعمرانية

وعسكرية. فإذا عدنا إلى ثمرات الفنون، لوجدنا ذلك جلياً، فلقد قام هذا السلطان بإيفاء الديون المتراكمة على الدولة منذ أيام السلاطين السابقين، واعتنى بالجيش فعزز أركانه من طريق تحسين القوى البحرية والحربية، واعتنى بالعلوم والمعارف، فأنشأ المدارس العالية بين الملكية، والعسكرية، والحربية، والهندسية، والقضائية والزراعية والصناعية. وأسس كلية كبرى للعلوم والفنون، وشيّد الملاجىء الخيرية، ودور الاستشفاء. بالإضافة إلى الفضل الكبير الذي يجب أن يسجله له العرب والمسلمون في عملية ربط العالم الإسلامي ببعضه من طريق السكة الحجازية. هذا الخط الذي سعى في خرابه الكثيرون ودُمّر بأيدي العرب أنفسهم.

كما لا ننسى أن مدينة بيروت وحدها تشهد على الإصلاحات العديدة التي جرت في العهد العثماني. فهناك طرق شُقَّتْ ومدارس فُتِحَت، وآثار تُرِكَتْ، ذَكَرَتها الجريدة. ومنها «السبيل الحميدي» الذي أنشىء بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على اعتلاء السلطان عبد الحميد العرش، ومن الأمور التي تشهد على تقدم بيروت الحضاري زيارة الأمبراطور غليوم الثاني لهذه المدينة التي كانت في أبهى حلتها آنذاك.

كذلك تظهر الجريدة حركة الاعتناء بالفنون، حيث أخذ المسرح ينشط بصورة واضحة، وكذلك الأمر بالنسبة للصحافة، كما نلاحظ نشاط المسلمين وأدوارهم الكبيرة في النهضة العلمية، على يد الشيخ ابراهيم الأحدب، والشيخ حسين الجسر، والشيخ أحمد طبارة، والشيخ يوسف الأسير، والشيخ عبد الباسط فتح الله، وغيرهم، فكل شخصية من هؤلاء كان لها إنتاج فكري مرموق.

أما المآخذ على الجريدة، فهي شدة التملق للسلطان بغض النظر عن الصدق في ذلك أو لا. وكذلك فقد كانت أغلب مقالاتها تؤخذ عن الصحف الأخرى المحلية وغير المحلية، وخصوصاً في المواضيع العلمية. كما يؤخذ عليها التعتيم على الأحداث التي كانت تجري في بعض المناطق، مثل الحوادث في مصر والسودان والحجاز، ولكن يشفع لها أن الرقابة الصحافية هي التي كانت تحظر على الجرائد ذكر هذه الحوادث التي لا ترغب السلطة الحاكمة في إشاعتها.

الملاحق

الملحق رقم ١ ثمرات الفنون العدد ١٢٣٠ «الموسم الفضي» الاحتفال بمرور ٢٥ سنة على إصدارها.



العدد ١٢٣٠ السنة السادسة والعشرون

ثمرات الفنون

١٢٩٢

صحيفة سياسية علمية ادبية تصدر يوم الاثنين من كل اسبوع

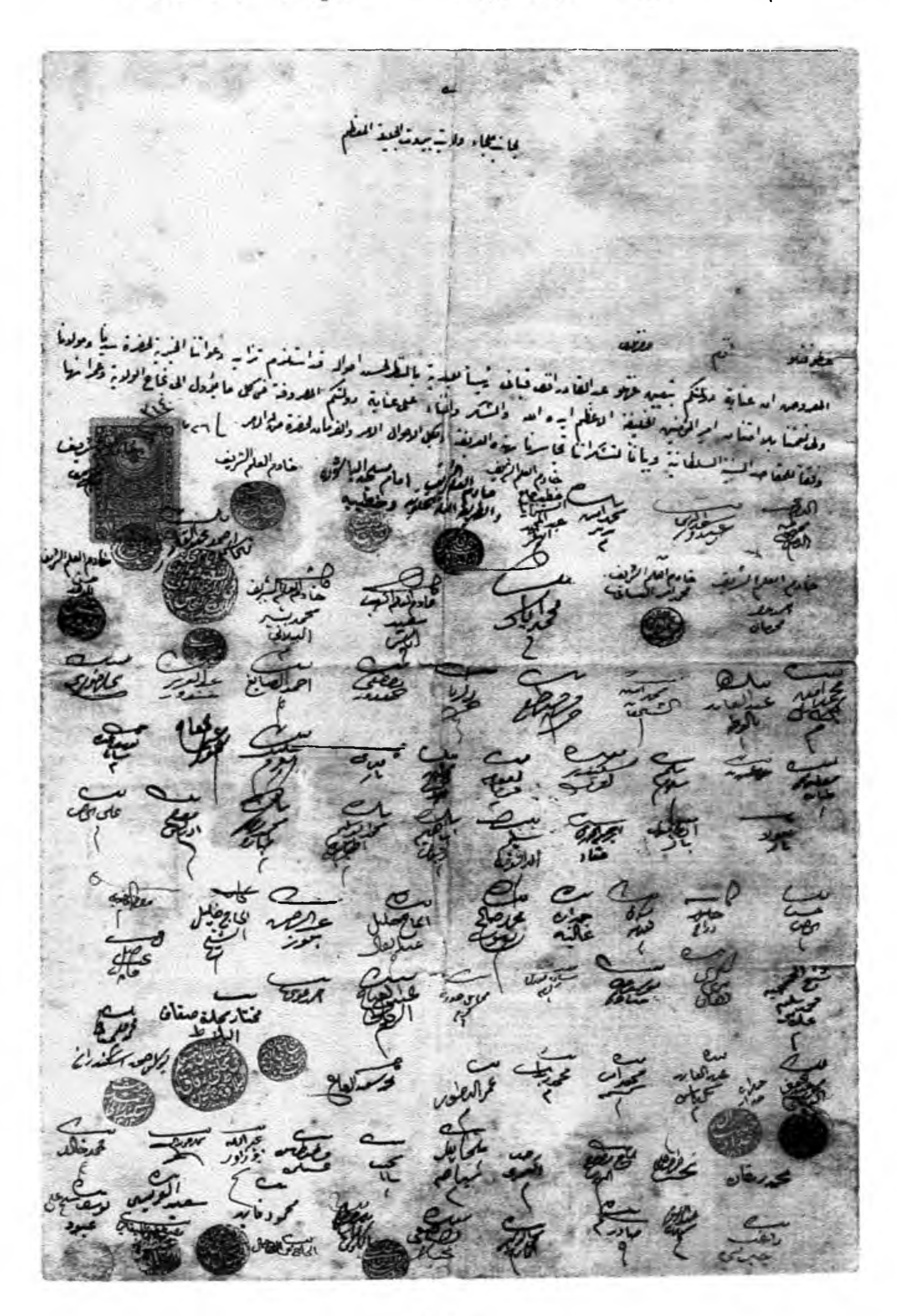
بيروت الاثنين في ٥ محرم الحرام سنة ١٣١٧ — ١٨٩٩

موسمنا الفضي

﴿ السنة السادسة والعشرون ﴾

﴿ ثمرات الفنون ﴾

الملحق رقم ٢ صورة عريضة تطالب بتعيين عبد القادر القباني رئيسا لبلدية بيروت.



المصادر والمراجع

أبو مرعي، محمد = **«حرية الصحافة في لبنان من العهد العثماني حتى اليوم»**، مؤسسة مطابع معتوق، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٠ م.

أرسلان، شكيب = **«السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة»**، مطبعة ابن زيدون، دمشق، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٧ م

الأسود، إبراهيم = **«الرحلة الأمبراطورية في الممالك العثمانية»**، المطبعة العثمانية، بعبدا، لبنان، ١٨٩٨

الياس، جوزيف = **«تصور الصحافة السورية في مائة عام»**، دار النضال، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٢ م جزءان

أمين، أحمد = **«زعماء الإسلام في العصر الحديث»**، دار الكتاب العربي، بيروت، لات.

أنطونيوس، جورج = **«يقظة العرب»**، ترجمة ناصر الدين الأسد والدكتور إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الأولى ١٩٦٢ م

أيبش، يوسف = **«رحلات الإمام محمد رشيد رضا»**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٧١ م

بيهم، محمد جميل = «**العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب**»، بيروت ١٣٧٦ هـ، ١٩٥٧، لام

بيهم، محمد جميل = «**فلسفة التاريخ العثماني**»، شركة فرج الله للمطبوعات، بيروت لبنان ٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م. جزءان

تدمري، عمر عبد السلام = «**موسوعة علماء المسلمين في لبنان**»، بيروت لبنان المجلد الثالث، الجزء الخامس، تحت الطبع.

الجزري، عز الدين ابن الأثير = «**اللباب في تهذيب الأنساب**»، دار صادر بيروت، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م

الجندي، أدهم = «**إعلام الأدب والفن**»، مطبعة مجلة صوت سورية دمشق، سنة ١٩٥٤م، جزءان

حتي، فيليب = «**تاريخ لبنان**»، دار الثقافة بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٩٧٢ م.

حتي، فيليب = «**تاريخ العرب**»، ترجمة إدوار جرجي وجبرائيل جبور، دار غندور، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٧٤ م

الحصري، ساطع = «**البلاد العربية والدولة العثمانية**»، معهد الدراسات العربية العالمية ١٩٥٧ م

حتي، إسماعيل = «**لبنان مباحث علمية إجتماعية**»، المطبعة الأدبية، بيروت سنة ١٣٣٤ هـ

حلاق، حسان = «**بيروت المحروسة في العهد العثماني**»، الدار الجامعية، بيروت، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٧ م

حلاق، حسان = «**مذكرات سليم علي سلام (١٨٦٨ - ١٩٣٨)**»، الدار الجامعية، بيروت، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٢ م

حوراني، ألبرت = «**الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩٣٩ م**»، دار النهار، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧ م

الرفاعي، شمس الدين = **«تاريخ الصحافة السورية ١٨٠٠ - ١٩١٨ م.»** طبع دار المعارف بمصر القاهرة، ١٩٦٩ م، جزءان

رضا، محمد رشيد = **«تاريخ الأستاذ الإمام»**، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٠/ ١٩٣١

زركلي، خير الدين = **«الإعلام»**، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠

زياده، خالد = **«الشيخ حسين الجسر حياته وفكره»**، دار الإنشاء بيروت الطبع.ة الأولى ١٩٨٢ م

زيدان، جرجي = **«تاريخ آداب اللغة الغربية»**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، ٤ أجزاء

زين، زين نور الدين = **«نشوء القومية العربية»**، دار النهار، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٧٩ م

سامي، عبد الرحمن = **«القول الحق في بيروت ودمشق»**، دار الرائد، بيروت لبنان ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م

ستودارد، لو تروب = **«حاضر العالم الإسلامي»**، نقله للعربية عجاج نويهض، دار الفكر اللبناني، الطبعة الرابعة، ١٩٧٣، بيروت، أربعة أجزاء

شدياق، سليم = **«كنز الرغائب في منتخبات الجوانب»**، مطبعة الجوانب الاستانة، الطبعة الأولى، ١٢٩٥ هـ

داغر، يوسف أسعد = **«مصادر الدراسة الأدبية»**، المكتبة الشرقية بيروت ١٩٧٢ م

داغر، يوسف أسعد = **«قاموس الصحافة اللبنانية، ١٨٥٨ - ١٩٧٤ م»** - المطبعة الكاثوليكية بيروت، ١٩٧٨ م

صابات، خليل = **«تاريخ الطباعة في الشرق العربي»**، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٨ م

صليبي، كمال = **«تاريخ لبنان الحديث»**، دار النهار، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٧٨ م

طرازي، فيليب = **«تاريخ الصحافة العربية»**، المطبعة الأدبية، بيروت ١٩١٣، أربعة أجزاء

عزوزي، محمد العربي = **«اتحاف ذوي العناية»**، مطبعة الإنصاف، بيروت، لبنان، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م

عماره، محمد = **«الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني»**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر دار الكتاب العرب، لات.

عماره، محمد = **«الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده»**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٧٢

عوض، عبد العزيز محمد = **«الإدارة العثمانية في ولاية سورية»**، دار المعارف، مصر لات

فريد بك، محمد = **«تاريخ الدولة العلية العثمانية»**، دار الجيل، بيروت ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م

القاروط، زينب = **«الشيخ ابراهيم الأحدب، حياته ومؤلفاته»**، دار الإنشاء، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨١ م

القاياتي، محمد عبد الجواد = **«نفحة البشام في رحلة الشام»**، ذار الرائد العربي، بيروت لبنان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠ م.

القباني، عبد القادر = **«كتاب الهجاء»**، مطبعة جمعية الفتوة، ١٢٩٦ هـ

القباني، عبد القادر = **«رسالة إلى السيدة عنبره سلام سنة ١٩٢٨م»**، مخطوطة لدى الرئيس صائب سلام

كحالة، عمر رضا = **«معجم المؤلفين»**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، لات، ٥ أجزاء

كرد علي، محمد = **«خطط الشام»** ، مطابع دار القلم بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٧٢ م ستة أجزاء

كرملي، انستاس = «**النقود العربية وعلم النحيات**»، المطبعة العصرية، القاهرة سنة ١٩٣٩

مروه، أديب = «**الصحافة العربية نشأتها، وتطورها**»، دار مكتبة الحياة، بيروت الطبعة الأولى ١٩٦١ م

مسعود، جبران = «**لبنان والنهضة العربية الحديثة**»، بيت الحكمة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٦٧

المقدس، أنيس الخوري = «**الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث**»، جامعة بيروت الأميركية منشورات كلية العلوم والآداب

المقدس، أنيس الخوري = «**سلسلة العلوم الشرقية**»، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٥٢ م. جزءان

نجم، محمد يوسف = «**مسرحيات الشيخ ابراهيم الأحدب**»، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م

اليازجي، كمال = «**رواد النهضة الأدبية في لبنان الحديث، ١٨٠٠ - ١٩٠٠**»، مكتبة رأس بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٢م



الفهرس

